

اغتنام فعل الخيرات في المواسم والمناسبات

تأليف/

أبي عبدالرحمن موفق بن أحمد بن علي الفاضلي

تقديم الشيخ الفاضل/

أبي عبدالله طارق بن محمد الخياط البعداني

والشيخ الفاضل/

أبي أحمد علوي الأحمد

حفظهما الله تعالى

مقدمة الشيخ طارق البعداني

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .
أما بعد:-

فقد قرأت رسالةً نافعةً لأخينا الداعي إلى الله المبارك، أبي عبد الرحمن موفق بن أحمد بن علي الفاضلي، المسماة بـ (اغتنام فعل الخيرات في المواسم والمناسبات).
فأوصي نفسي وسائر المسلمين باغتنام هذه الخيرات.

قال تعالى: { قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ } [يونس : ٥٨].
فأسأل الله أن ينفع بهذه الرسالة وبكاتبها الإسلام والمسلمين ، وأن يوفقه لمزيد من الخير، وأن يعيذه من الفتن المضلة، وأن يعينه على مواصلة السير في هذا الطريق، فإن الاستمرار في طلب العلم فيه بركة وخير، والانشغال عنه فيه ضير ومذهب لبركة العلم ، وكذلك مما يذهب بركة العلم الإقبال على الدنيا والركون إليها والتحزب ، فإن ضرره عظيم على الفرد والمجتمع، وفقنا الله وإياكم وسائر المسلمين لفعل الطاعات واغتنام الخيرات.

كتبه أبو عبدالله /طارق الخياط - اليمن - مدينة إب - دار الشرف - مسجد التوحيد.

بتاريخ ١٤٤٠/٤/١٣ هـ ليلة الخميس.

مقدمة الشيخ علوي الأحمدى

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا، أما بعد:

فقد روى الإمام مسلم - رحمه الله تعالى - في صحيحه من حديث معقل بن يسار - رضي الله عنه - أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "العبادة في الهرج كهجرة إلي"، فالعقل يهتم بما خلق لأجله خصوصًا في مواسم الخير التي تضاعف فيها الأجور وتحط فيها الأوزار، كما قال الله عز وجل: { فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ } [البقرة: ١٤٨].

والواجب أن يحرص العبد على إحسان العمل؛ بأن يكون على توحيد وسنة، بعيدًا عن الشراكيات والبدع والمخالفات، فالقليل من العبادة على سنة خير من الاجتهاد على هوى وبدعة. هذا وقد قرأت ما كتبه أخونا الفاضل موفق بن أحمد الفاضلي في ((اغتنام فعل الخيرات في المواسم والمناسبات)) فألفيته كتابًا نافعًا يزخر بآيات القرآن العظيم، وأحاديث النبي الكريم عليه أفضل الصلاة والتسليم وكلام أهل العلم من الجديد والقديم. فجزى الله مؤلفه خير الجزاء، ونفع به الإسلام والمسلمين، إنه ولي ذلك والقادر عليه، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

يامن ينافس في عَلا الجنات *** ويودُّ معفرةً لذي الزلات
ها قد بدا عَلمُ الرّهان فسارِ عَنْ *** في مطلبِ الغفرانِ والحسناتِ
واقرا كتابًا نافعًا في بابهِ *** يدعى اغتنامَ الفعلِ للخيراتِ
في موسمٍ يُرجى عظيمُ ثوابهِ *** من ربنا ذي الفضلِ والبركاتِ

كتبه علوي بن أحمد الأحمدى ٤/جمادى الأولى/١٤٤٠

بسم الله الرحمن الرحيم المقدمة

الحمد لله رب العالمين، ولا عدوان إلا على الظالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله ولي الصالحين، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله إمام الأولين والآخرين، وسيد الأنبياء والمرسلين، وقائد الغر المحجلين، وشفيع رب العالمين، بعثه الله رحمة للعالمين؛ ليخرجهم من الظلمات إلى النور، فشرح الله به الصدور، وأمات به الشرور، وهو البشير النذير، والسراج المنير، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين.

أما بعد:

فيقول الله عز وجل في محكم التنزيل: {مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلُهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ} [الأنعام: ١٦٠]

فمن فضل الله على الناس ولكن أكثر الناس لا يعلمون، أن جعل لهم الأعمال الصالحة بأضعاف أضعافها، فيعملون ويسارعون في الخيرات، ويتزودون للدار الآخرة؛ ليفوزوا بالدرجات، ويسلموا من الدركات، فجعل الحسنه بعشر أمثالها إلى أضعاف كثيرة، ومن نوى خيرا كُتب له خيرا وإن لم يعملها، بل ومن رحمته أنه جعل السيئة بمثلها فقط، ولم يجعلها بعشر بمقابل أن الحسنه بعشر أمثالها، ولولا ذلك لم يدخل الجنة أحد لكثرة ذنوب العباد.

فقد روى البخاري ومسلم عن ابن عباس - رضي الله عنهما - عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فيما يروى عن ربه تبارك وتعالى قال: «إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ ثُمَّ بَيَّنَّ ذَلِكَ فَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللَّهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً وَإِنْ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عِنْدَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ إِلَى سَبْعِمِائَةٍ ضِعْفٍ إِلَى أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ وَإِنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللَّهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً وَإِنْ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللَّهُ سَيِّئَةً وَاحِدَةً».

وعن أبي هريرة قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِذَا أَحْسَنَ أَحَدُكُمْ إِسْلَامَهُ فَكُلُّ حَسَنَةٍ يَعْمَلُهَا تُكْتَبُ لَهُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِمِائَةٍ ضِعْفٍ وَكُلُّ سَيِّئَةٍ يَعْمَلُهَا تُكْتَبُ لَهُ بِمِثْلِهَا". متفق عليه واللفظ للبخاري

ومن رحمته أن جعل السيئة بمثلها وربما غفرها بكرمه ومنه .

فقد روى مسلم عن أبي ذر - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - «يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَأَزِيدُ، وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَجَزَاؤُهُ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا أَوْ أَغْفِرُ، وَمَنْ تَقَرَّبَ مِنِّي شَبِيرًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ ذِرَاعًا، وَمَنْ تَقَرَّبَ مِنِّي ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعًا، وَمَنْ أَتَانِي يَمْسِيهِ أَتَيْتُهُ هَرَوْلَةً، وَمَنْ لَقِيَنِي بِقُرَابِ الْأَرْضِ خَطِيئَةً لَا يُشْرِكُ بِي شَيْئًا لَقِيَنِي بِمِثْلِهَا مَغْفِرَةً».

ومن فضل الله على الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون، أن زادهم من فضله مواسم مباركة، فجعل لهم أزمنة مباركة، وأمكنة مباركة، وأعمالا مباركة، تضاعف فيها الحسنات، وتزيد فيها الدرجات، وتكفر فيها السيئات فوق ما يتصوره العباد، وفوق ما يزيد على مضاعفة الحسنه بعشر أمثالها، ومع هذا ترى كثيرا من الناس غافلين عن هذا، وزاهدين عن السباق في هذه التجارة العظيمة.

فإن الله تعالى نفحات رحمانية، ومواسم خيرية، في أماكن وأزمنة مخصوصة، وأعمال عظيمة، لا تبلغها أعمالهم في غيرها، جعلها الله رحمة لعباده، فمن أصاب شيئا منها نال خيرا كثيرا، فينبغي على المسلم أن يتحرى هذه المواسم، وأن يتفرغ للعبادات فيها، وسيرى أجرها ونزرها في الدار الآخرة، فيرفعه الله بها الدرجات العلى، فقد روى الطبراني عن أنس - رضي الله عنه - مرفوعا "افعلوا الخير دهركم، و

تعرضوا لنفحات رحمة الله ، فإن الله نفحات من رحمته يصيب بها من يشاء من عباده و سلوا الله أن يستر عوراتكم و أن يؤمن روعاتكم " (١)

وقد جمعت هنا ما تيسر من هذه المواسم الخيرية ، والأعمال المباركة، وسأشير في هذا البحث المتواضع إلى هذه المواسم والمناسبات والأعمال التي تتضاعف فيها الأجور والحسنات، وسأنتقي الأهم منها والأكثر أجورا، وإلا فإن باب الخير واسع لا يدخل تحت الحصر، والموفق من وفقه الله تعالى لطاعته فسابق في عبادته ، واغتنم هذه المواسم في مرضاته.

وأسميت هذه الرسالة : (اغتنام فعل الخيرات في المواسم والمناسبات) وسأنبه على بعض الأخطاء والتخصيصات لبعض الأوقات والأماكن التي اعتقد بعض الناس الفضل فيها، وخصوصا بعبادات بدون دليل اعتمادا على أحاديث ضعيفة أو اجتهدات مخالفة للسنة، ويكفي العبد ما ثبت في السنة ففيه الخير الكثير لمن وفقه الله ، ولن يحصي العبد ذلك، ولكن المقاربة والسداد.

قال ابن مسعود رضي الله عنه :- "الاقتصاد في السنة خير من الاجتهاد في البدعة" (٢)

وبما أن عمر الإنسان قصير، والأعمال كثيرة، فبإمكانه أن يختار من هذه الأعمال ما يرفع الله بها الدرجات العالية، ويسكنه المنازل الرفيعة، ويغفر له الذنوب الكثيرة ، مع الإخلاص والاحتساب بإذن الله رب العالمين.

وقد قسمت هذه المواسم إلى ثلاثة أقسام ، وهي:

الأول :الأزمنة المباركة.

الثاني:الأمكنة المباركة.

الثالث:الأعمال المباركة.

فحري بالمؤمن أن يغتنمها بما يقربه إلى الله ويفوز برضوانه وينجو من سخطه ونيرانه. فنسأل الله العظيم أن يعيننا على طاعته، وأن يجنبنا معصيته ، وأن يوفقنا لما يحبه ويرضاه ،وأن يجنبنا مايسخطه ويأباه،والحمد لله رب العالمين.

المؤلف

(١) حسن:حسنة الألباني في السلسلة الصحيحة (٤ / ٥١١) برقم (١٨٩٠) .

(٢) انظر اعتقاد أهل السنة - للالكاني - (١ / ٥٥)

منهجي في تأليف الرسالة:

استعنت بالله تعالى ثم قمت بذكر الأعمال المباركة، أو الأماكن المباركة، أو الأزمنة المباركة، وأحث على المسارعة بالخيريات فيها، ثم أذكر فضائل هذا الزمان أو المكان أو العمل، وأذكر الأجور المترتبة على ذلك، ترغيباً للقارئ لأجل اغتنامه في طاعة الله والمسارة بالخيريات فيه، وأسرد الأدلة من الكتاب والسنة، والآثار والأقوال من كلام السلف وأهل العلم من مفسري القرآن وشراح الأحاديث في ذلك مشيراً إلى المصادر والمراجع غالباً لمن أراد الرجوع إلى الفائدة من مصدرها .

وأما الأحاديث فقد التزمت ألا أورد فيها إلا ما صح عن النبي صلى الله عليه وسلم، معتمداً في ذلك بعد الله تعالى على تخريجات الألباني - رحمه الله - وتحقيقاته وعزوه إلى كتب السنة، لما له من باع وقدم سبق في هذا الفن الذي خدم فيه الإسلام والمسلمين، وقد صارت غالب الكتب عالية على تحقيقاته، وكذلك ما تيسر من تحقیقات الإمام الوادعي - رحمه الله - فهو خير خلف لخير سلف، فله قدم راسخة في هذا الفن وكثير من الفنون، والفضل لله ثم له في نشر السنة في البلاد اليمنية في هذا الزمان، حتى انتشرت دعوته في كثير من البلدان واستفاد كثير من الناس من دعوته، فرحم الله الشيخين رحمة واسعة، وقد يسر الله بالرجوع في بعض الأحاديث إلى كتاب الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين للإمام الوادعي، فأذكر حكم العلامتين الألباني والوادعي على الحديث ليزداد القارئ طمأنينة في صحة الحديث، وما كان في الصحيحين أو أحدهما فإنني أكتفي بعزوه إليهما أو إلى أحدهما، لأن هذين الكتابين تلقتهما الأمة بالقبول، وهما أصح الكتب بعد كتاب الله تعالى، فلا يلتفت إلى من تنقصهما أو قدح فيهما من الشواذ، وأما ما كان خارج الصحيحين فإنني أعزوه إلى كتب السنة الوارد فيها كلها أو أكثرها، ثم أذكر حكم الألباني والوادعي أو أحدهما على الحديث.

وكنيت أكتفي بذكر أحد المخرجين للحديث، وما بقي أذكرهم أو أكثرهم في الحاشية مع حكم العلامتين الألباني والوادعي على الحديث، وأما ما أخرجه الشيخان: البخاري ومسلم أو أحدهما، فكنت أكتفي بذكرهما أو أحدهما مع الحديث دون ذكرهما في الحاشية، وكذلك أقوال المفسرين أكتفيت بذكر التفسير مع الآية المراد تفسيرها دون الإشارة إلى المصدر أو الصفحة؛ لمعرفة موضع الآية وسهولة الرجوع إليها وإلى تفسيرها، وأما مصادر أقوال أهل العلم فكنت أذكرها أو أكثرها في الحاشية والله الحمد والمنة.

مدخل وتمهيد

روى الحاكم عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجل وهو يعظه:

" اغتتم خمسا قبل خمس، شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك" ^(١).

حث النبي صلى الله عليه وسلم الرجل على الغنائم الخمس بقوله: (اغتنم..) وهو من الغنيمة، يحثه على اغتنام هذه الفرص الخمس، قبل أن تعقبها خمس تحول بين العبد وبين غنيمته، وقد كان السلف الصالح يغتتمونها بالطاعات، وكانوا يسمون أيام الشتاء ب(الغنيمة الباردة) لطول لياليه وقصر أيامه، فيغتتمون لياليه بالقيام وتلاوة القرآن، ويغتتمون قصر أيامه وبردها بالصيام. وجاء في الحديث " الصوم في الشتاء الغنيمة الباردة " ^(٢).

وأعظم غنيمة في الدنيا هي اغتنام الأعمال الصالحة في هذه الأبواب الخمسة، وأعظم غنيمة في الآخرة هي جنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين، وقد دل النبي صلى الله عليه وسلم على أبوابها، فينبغي على العبد أن يسارع ويدخل في هذه الأبواب قبل أن تغلق دونه.

فأولها: الشباب: فيغتتم العبد شبابه في طاعة الله، من إقام الصلاة، وقيام الليل، وصيام النهار، والجهاد في سبيل الله، وحفظ القرآن ونحو ذلك، قبل أن يهجم عليه الهرم والكبر فيعجز عن العمل، ولهذا أخبر المصطفى صلى الله عليه وسلم أن الشاب الصالح من السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله كما في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه.

وثانيها: الصحة: فيغتتمها العبد بطاعة الله، قبل أن يقعه المرض، فيتمنى صحة ساعة واحدة ليقوم بها الليل، أو عافية يوم واحد ليصوم فيه لله تعالى، ولهذا فإن العبد يتحسر يوم القيامة على كل ساعة لم يذكر الله فيها، فقد روى أبو داود عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَنْ قَعَدَ مَقْعَدًا لَمْ يَذْكُرِ اللَّهَ فِيهِ كَانَتْ عَلَيْهِ مِنَ اللَّهِ تِرَةٌ، وَمَنْ قَامَ مَقَامًا لَمْ يَذْكُرِ اللَّهَ فِيهِ كَانَتْ عَلَيْهِ مِنَ اللَّهِ تِرَةٌ، وَمَنْ اضْطَجَعَ مَضْجَعًا لَمْ يَذْكُرِ اللَّهَ فِيهِ كَانَتْ عَلَيْهِ مِنَ اللَّهِ تِرَةٌ» ^(٣) ومعنى ترة: أي حسرة.

وثالثها: الغنى: فيغتتمه العبد في أبواب الخير، فيتصدق وينفق ما استطاع، قبل أن ينزل به الفقر، فيقول ياليت لي مالا فأنفقه في سبيل الله، ولهذا فإن أول ما يتمنى العبد عند الموت أن يرجع إلى الدنيا ليتصدق، لما علم من فضل الصدقة، قال تعالى: { وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ } [المنافقون : ١٠]

رابعها: الفراغ: فيغتتم العبد فراغه في ذكر الله وفي فعل الخيرات قبل أن يشغل بمسئولية أو نحوها، فيتمنى الفراغ؛ ليعوض مافات أو يصلح ما أفسد، وسيندم على صحته وفراغه غاية الندم، كما في صحيح البخاري عن ابن عباس، رضي الله عنهما، قال: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " نِعْمَتَانِ مَغْبُوتٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ الصَّحَّةُ وَالْفَرَاغُ ".

(١) صحيح: صححه الإمام الألباني - رحمه الله في صحيح الترغيب والترهيب - (٣ / ١٦٨) (٣٣٥٥) - وهو عند البيهقي

(٢) رواه أحمد وغيره وحسنه الألباني في " السلسلة الصحيحة (٤ / ٥٥٤) (١٩٢٢)

(٣) صحيح: انظر صحيح الترغيب والترهيب - (٢ / ١٠٠) (١٥١٢) و السلسلة الصحيحة (١ / ١١٧) (٧٨) ورواه أحمد وابن أبي الدنيا والنسائي وابن حبان

خامسها: الحياة ، وهي آخر باب، وهي خلاصة جميع الأبواب وخاتمتها، فليغتنمها العبد قبل أن يأتيه هادم اللذات ومفرق الجماعات، فيقول: { رَبِّ ارْجِعُونِ * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ } [المؤمنون : ٩٩ ، ١٠٠]

فقد كَانَ ابْنُ عُمرَ - رضي الله عنهما - يَقُولُ : "إِذَا أَمْسَيْتَ فَلَا تَتَنَظَّرِ الصَّبَاحَ ، وَإِذَا أَصْبَحْتَ فَلَا تَتَنَظَّرِ الْمَسَاءَ وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِمَرَضِكَ وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ". رواه البخاري.

قال المناوي رحمه الله في قوله صلى الله عليه وسلم:

(اغتنم خمسا قبل خمس) أي: افعل خمسة أشياء قبل حصول خمسة أشياء :

(حياتك قبل موتك) يعني اغتنم ما تلقى نفعه بعد موتك فإن من مات انقطع عمله ، وفاته أملة وحق ندمه وتوالى همه، فاقترض منك لك.

(وصحتك قبل سقمك) أي: اغتنم العمل ، حال الصحة فقد يمنع مانع كمرض فتتقدم المعاد بغير زاد.

(وفراغك قبل شغلك) أي: اغتنم فراغك في هذه الدار قبل شغلك بأهوال القيامة التي أول منازلها القبر، فاغتنم فرصة الإمكان لعلك تسلم من العذاب والهوان.

(وشبابك قبل هرمك) أي: اغتنم الطاعة حال قدرتك قبل هجوم عجز الكبر عليك، فتندم على ما فرطت في جنب الله.

(وغناك قبل فقرك) أي: اغتنم التصديق بفضول مالك قبل عروض جائحة تفقرك فتصير فقيرا في الدنيا والآخرة، فهذه الخمسة لا يعرف قدرها إلا بعد زوالها.

ولهذا جاء في خبر سيجيء: "نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ" (١) اهـ

ولهذا يكون أكثر أمانى أهل النار، أن يرجعوا إلى الدنيا ليتزودوا من الأعمال الصالحة، وأكثر ما يندمون على تفويتهم لهذه الفرص وهذه الغنائم من الأعمال الصالحة والأوقات الفاضلة والأمكنة المباركة، قال تعالى مخبرا عن حالهم ومنتهى آمالهم: { وَلَوْ تَرَى إِذْ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَدِّبُ بِآيَاتِ رَبَّنَا وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ } (٢٧) [الأنعام : ٢٧]

وقال تعالى: { وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ } [فاطر : ٣٧]

فاغتنم الخيرات في جميع الحالات وفي سائر اللحظات، وسخر الحياة لما بعد الممات، وإياك والغفلة والتماذي، وإياك والتسويق، فإن الأمر جد، فانتقل بخير ما بحضرتك قبل الحسرة والندامة، وقبل أن تشاهد أهوال يوم القيامة، نسأل الله العافية والسلامة.

بسم الله الرحمن الرحيم

الباب الأول اغتنام الأزمنة المباركة:

إننا في هذا الباب بإذن الله تبارك وتعالى سنذكر ما ثبتت بركته من السنة الهجرية، ابتداء بالأشهر، ثم الأيام، ثم الساعات، وسنذكر الشهور التي ثبتت البركة فيها على غيرها كشهر رمضان، ثم نذكر الأيام والليالي التي ثبتت البركة فيها كأيام عشر ذي الحجة، والعشر الأواخر من رمضان، ثم نذكر الساعات التي ثبتت البركة فيها كأوقات الإجابة كما يلي:

الفصل الأول: اغتنام الأشهر المباركة:

وسنذكرها حسب ترتيبها في السنة كالتالي:

- ١- شهر الله المحرم.
- ٢- تنبيهات على شهر رجب.
- ٣- شهر شعبان.
- ٤- شهر رمضان.

المبحث الأول: اغتنام شهر الله المحرم:

فَضَّلَ اللهُ تَعَالَى شهرَ محرم، وجعل له مزية وفضيلة على كثير من الشهور، ولذلك نسبته النبي صلى الله عليه وسلم إلى الله بقوله: (شهر الله المحرم) كما سيأتي، وذلك لشرفه وفضله، وجعل للصيام فيه فضيلة عظيمة، وهو من الأشهر الحرم التي يجب تعظيمها، ويكون ذلك بالاجتهاد بالأعمال الصالحة فيها، واجتناب ما حرم الله فيها، وجعل الظلم فيها أقيح من غيرها.

قال تعالى: { إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ } [التوبة: ٣٦]

والأشهر الحرم قد بينها النبي صلى الله عليه وسلم بقوله كما في حديث أبي بكر - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " الزَّمَانُ قَدْ اسْتَدَارَ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ خَلَقَ اللهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ، السَّنَةُ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا، مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ، ثَلَاثَةٌ مُتَوَالِيَاتٌ: ذُو الْقَعْدَةِ وَذُو الْحِجَّةِ وَالْمَحْرَمُ، وَرَجَبُ مُضَرَ، الَّذِي بَيْنَ جُمَادَى وَشَعْبَانَ " رواه البخاري ومسلم

فانظر كيف ابتدأ الله تعالى السنة بشهر حرام وهو شهر الله المحرم، وهو أول أشهر السنة، وختمها بشهر حرام، وهو ذو الحجة، وجعل في وسطها شهرا حراما، وهو رجب، ليداوم العبد على الخيرات وتعظيم الحرمات في عامه كله، فينبغي على العبد أن يبدأ عامه بخير وأن يختمه بخير، فأعظم بالبداية وأكرم بالنهاية إذا كانتا في طاعة الله، فإن الأعمال بالخواتيم.

فالعامل الصالح في هذه الأشهر أعظم أجرا والمعاصي فيها أعظم وزرا.

قال المفسر البغوي - رحمه الله -: " قال قتادة: العمل الصالح أعظم أجرا في الأشهر الحرم والظلم فيهن أعظم من الظلم فيما سواهن وإن كان الظلم على كل حال عظيما " اهـ

والظلم يشمل الشرك والمعاصي وظلم الغير بالاعتداء على أموالهم وأنفسهم وأعراضهم، فإنه يحرم في هذه الأشهر وفي غيرها، إلا أنه في الأشهر الحرم أعظم حرمة، ومن هذه الأشهر شهر الله المحرم.

قال المفسر ابن كثير - رحمه الله -: لأنها أكد وأبلغ في الإثم. اهـ

وقال - رحمه الله -: وَقَالَ قَتَادَةُ فِي قَوْلِهِ: { فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ } إِنَّ الظُّلْمَ فِي الْأَشْهُرِ الْحُرُمِ أَعْظَمُ خَطِيئَةً وَوَزْرًا مِنَ الظُّلْمِ فِيمَا سِوَاهَا، وَإِنْ كَانَ الظُّلْمُ عَلَى كُلِّ حَالٍ عَظِيمًا، وَلَكِنَّ اللَّهَ يُعْظِمُ مِنْ أَمْرِه مَا يَشَاءُ. اهـ

فإن من الأعمال التي يضاعف أجرها في هذا الشهر لهُو الصيام، فيستحب الصيام في شهر الله المحرم استحبابا شديدا، وإنه لا يخفى على مسلم فضل الصيام، فإنه لا مثل له، وإنه لله وهو يجزي به، بمعنى أنه لا يعلم بمقدار ثوابه إلا الله سبحانه وتعالى، كما جاء مبينا في أحاديث سيأتي ذكرها في باب فضل الصيام واغتنامه إن شاء الله تعالى، وإنما كلامنا في هذا المبحث عن صيام شهر الله المحرم بخصوصه.

فقد روى الإمام مسلم رحمه الله عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَفْضَلُ الصِّيَامِ، بَعْدَ رَمَضَانَ، شَهْرُ اللهِ الْمُحَرَّمُ، وَأَفْضَلُ الصَّلَاةِ، بَعْدَ الْفَرِيضَةِ، صَلَاةُ اللَّيْلِ».

قال النووي - رحمه الله -: " فيه تصريح بأنه أفضل الشهور للصوم وقد سبق الجواب عن إكثار النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ صَوْمِ شَعْبَانَ ذُو الْمُحَرَّمِ وَذَكَرْنَا فِيهِ جَوَابَيْنِ: أَحَدُهُمَا: لَعَلَّهُ إِنَّمَا عَلِمَ فَضْلَهُ فِي آخِرِ حَيَاتِهِ .

وَالثَّانِي: لَعَلَّهُ كَانَ يَعْزِضُ فِيهِ أَعْدَارٌ مِنْ سَفَرٍ أَوْ مَرَضٍ أَوْ غَيْرِهِمَا^(١). اهـ

وإضافة النبي صلى الله عليه وسلم هذا الشهر إلى الله تعالى بقوله: "شهر الله". فهي إضافة تشريف.

قال ابن رجب رحمه الله: "وقد سمي النبي صلى الله عليه وسلم المحرم شهر الله وإضافته إلى الله تعالى تدل على شرفه وفضله فإن الله لا يضيف إليه إلا خواص خلقه. اهـ

فينبغي اغتنام هذا الشهر المبارك بالصيام، فيستحب صيامه كله لمن قدر عليه، ومن لم يستطع فليصم ماتيسر ليظفر بفضل هذا الشهر، فيصوم الإثنين والخميس والأيام البيض، وأقل القليل أن يصوم العبد يوم عاشوراء، وسيأتي ذكر فضل صيام هذه الأيام بخصوصها فإنها من المواسم الخيرية التي ينبغي اغتنامها بالصيام، وسنؤجلها إلى بابها إن شاء الله تعالى.

(١) شرح صحيح لمسلم (٣ / ٢٥١)

المبحث الثاني: بدع ومخالفات في شهر رجب:

شهر رجب كسائر الأشهر، لم يثبت شيء في فضله إلا أنه من الأشهر الحرم التي عظمها الله، فثبت فيه ما يثبت في غيره، ويحرم فيه ما يحرم في غيره، فشأنه كشأن سائر الأشهر الحرم، وقد اعتقد كثير من الناس أن لهذا الشهر فضلاً على غيره، فخصوه بعبادات وبدع ومحدثات ما أنزل الله بها من سلطان، اعتماداً على أحاديث ضعيفة وموضوعة، قد بين أهل الشأن حالها من المحدثين والعلماء الربانيين، وسنذكر بعضها للحذر منها، فإنه لم يثبت شيء من الأحاديث في فضل شهر رجب وفضل العبادات فيه، فكل ما ورد في فضله وفضل العبادة فيه من الأحاديث، فهي أحاديث ضعيفة ومكذوبة على رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يجوز العمل بها.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -: "لم يثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم في فضل شهر رجب حديث بل عامة الأحاديث المأثورة فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم كلها كذب. اهـ.

وقال الحافظ ابن حجر - رحمه الله -: لم يرد في فضل شهر رجب ولا صيامه ولا في صيام شيء منه معين ولا في قيام ليلة مخصوصة فيه حديث صحيح. اهـ
وقد ألف رسالة بعنوان: (تبیین العجب بما ورد في شهر رجب). بين فيها الأحاديث الضعيفة والمكذوبة في فضائل رجب وحذر من البدع التي أحدثت في هذا الشهر.

أحاديث لم تثبت في فضل شهر رجب:

الأحاديث الباطلة والمكذوبة على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم في فضائل شهر رجب كثيرة:
- منها: حديث: (خيرة الله من الشهور شهر رجب، وهو شهر الله، من عظم شهر الله رجب؛ عظم أمر الله...)

قال العلامة الألباني - رحمه الله -: هذا حديث موضوع. أي: مكذوب على النبي صلى الله عليه وسلم.^(١)
- ومنها حديث: (رجب شهر عظيم، يضاعف الله فيه الحسنات؛ فمن صام يوماً من رجب؛ فكأنما صام سنة...)

قال المحدث الألباني: هذا حديث موضوع.^(٢)

- ومنها حديث: «اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي رَجَبٍ وَشَعْبَانَ وَبَلِّغْنَا رَمَضَانَ».

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: هذا حديث موضوع.^(٣)

- ومنها حديث: (فضل شهر رجب على سائر الشهور كفضل القرآن على سائر الأذكار). قال الحافظ: حديث موضوع.

- ومنها حديث: (من فرج عن مؤمن في رجب كربة أعطاه الله في الفردوس الأعلى قصراً مد بصره). قال الحافظ ابن حجر: لا أصل له.

- ومنها حديث: (رجب شهر الله وشعبان شهري ورمضان شهر أمتي). قال الألباني: حديث ضعيف.^(١)

(١) انظر سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة - (١٣ / ٤١٠) (٦١٨٨)

(٢) انظر سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة - (١١ / ٦٩١) (٥٤١٣)

(٣) انظر حديث رقم: (٤٣٩٥) في ضعيف الجامع

وسنذكر بعض البدع والمخالفات التي أحدثها بعض المسلمين في شهر رجب للتحذير منها، لأن البدع أخطر على المسلمين من المعاصي.

قال سفيان بن عيينة رحمه الله: "البدعة أحب إلى إبليس من المعصية لأن المعصية يُتاب منها والبدعة لا يُتاب منها"^(٢)

والله سبحانه وتعالى قد نهانا عن البدع والمحدثات، وأمرنا أن نعبد الله كما أمرنا في كتابه وفي سنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وبين أن من عبد الله بالهوى والبدع فإن الله لا يقبل منه ذلك العمل ويأثم على مخالفته للسنة.

قال تعالى: {فَاسْتَفِمْ كَمَا أُمِرْتُ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ} [هود: ١١٢]
وقال تعالى: {فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمْ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ} [الشورى: ١٥]

فمن شاء أن يعبد الله ويتقرب إليه بأنواع من القربات والعبادات فليتعبد الله كما شرع، وفي جميع الأوقات بدون تخصيص لوقت من الأوقات بغير دليل، فإن تخصيص عبادة من العبادات في زمن معين أو في مكان معين بغير دليل بدعة محرمة ومردودة على صاحبها؛ لأن ذلك افتراء على الله واعتداء على الشرع.

فقد ثبت في الصحيحين عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ، فَهُوَ رَدٌّ» وفي رواية لمسلم: «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ». أي: مردود على صاحبه ومحبوط غير مقبول.

فنرى في هذا الشهر أناسًا يخصصون فيه عبادات ما أنزل الله بها من سلطان، كالصيام والصلاة والزيارات والاجتماعات وغير ذلك، فإن هذه الأعمال غير مشروعة، لأن شهر رجب كغيره من الشهور يشرع فيه ما يشرع في غيره، ويمنع فيه ما يمنع في غيره من البدع والمحدثات وغيرها، فيشرع فيه صيام الإثنين والخميس وصيام الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر من الشهر، ويشرع فيه قيام الليل وغير ذلك من العبادات المشروعة في غيره، أما تخصيصه بشيء من العبادات أو الصيام أو القيام فهذا ليس من السنة.

- فمن الناس من يخصص رجب بالصيام فلا تراه يصوم إلا في شهر رجب.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - : "وَأَمَّا صَوْمُ رَجَبٍ بِخُصُوصِهِ، فَأَحَادِيثُهُ كُلُّهَا ضَعِيفَةٌ، بَلْ مَوْضُوعَةٌ، لَا يَعْتَمِدُ أَهْلُ الْعِلْمِ عَلَى شَيْءٍ مِنْهَا، وَلَيْسَتْ مِنَ الضَّعِيفِ الَّذِي يُرْوَى فِي الْفَضَائِلِ، بَلْ عَامَّتُهَا مِنَ الْمَوْضُوعَاتِ الْمَكْذُوبَاتِ، وَأَكْثَرُ مَا رُويَ فِي ذَلِكَ أَنَّ {النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا دَخَلَ رَجَبٌ يَقُولُ: اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي رَجَبٍ، وَشَعْبَانَ، وَبَلْعَنَّا رَمَضَانَ}"

وَقَدْ رَوَى ابْنُ مَاجَهٍ فِي سُنَنِهِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ عَنْ {النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ نَهَى عَنْ صَوْمِ رَجَبٍ}، وَفِي إِسْنَادِهِ نَظَرٌ، لَكِنْ صَحَّ أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ كَانَ يَضْرِبُ أَيْدِي النَّاسِ؛ لِيَضَعُوا أَيْدِيَهُمْ فِي الطَّعَامِ فِي رَجَبٍ.

وَيَقُولُ: لَا تُشَبِّهُوهُ بِرَمَضَانَ"^(٣).

(١) انظر سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة - (٩ / ٣٩٠) (٤٤٠٠)

(٢) انظر مجموع الفتاوى لابن تيمية - (٩ / ١٠).

(٣) الفتاوى الكبرى - (٢ / ٤٧٨)

وقال تلميذه ابن القيم - رحمه الله - : وكل حديث في ذكر صوم رجب وصلاة بعض الليالي فيه فهو كذب مفترى، وقد نهى ابن عمر رضي الله عنه الذين يصومون في رجب وأمرهم بالفطر^(١). اهـ
وقال كثير من أهل العلم ببدعية تخصيص الصوم في شهر رجب، منهم شيخ الإسلام وابن رجب وابن حجر والألباني رحمهم الله جميعاً.
- ومن هذه البدع التي أحدثت في شهر رجب تخصيصه بالزيارات والضيافة والاحتفالات، فيحتفلون في هذا اليوم ويتزاورون، ويستضيف بعضهم بعضاً، ويصلون أرحامهم، ومن لم يصل رحمه في جمعة رجب خصوصاً أو في رجب عموماً فقد قطع رحمه.

بدع جمعة رجب:

وفي جمعة رجب يلبسون الثياب الجديدة، ويستعدون لها من يوم الخميس بالآغتسال والحناء، وربما اعتقد بعضهم أن ذلك سبب لذهاب بعض الأمراض، وهذه خرافات واعتقادات شركية وأعمال بدعية لا تجوز. وبعضهم ينادي ويقول: (يا خميس رجب أذهب عنا الحصة والجرب) وهذا شرك لأنه دعاء لغير الله عياداً بالله.

وكثير من الناس يصوم جمعة رجب، ويخصون ذلك اليوم بالصيام، وهؤلاء وقعوا في محذورين: المحذور الأول: أنهم خصوا أول جمعة من رجب، وهذا العمل محدث. والمحذور الثاني أنهم صاموا يوماً نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن صيامه مفرداً أو مخصصاً. فقد روى الإمام مسلم - رحمه الله - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «لَا تَخْتَصُّوا لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ بِقِيَامٍ مِنْ بَيْنِ اللَّيَالِي، وَلَا تَخْصُوا يَوْمَ الْجُمُعَةِ بِصِيَامٍ مِنْ بَيْنِ الْأَيَّامِ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ فِي صَوْمٍ يَصُومُهُ أَحَدُكُمْ».

وفي هذا اليوم يصلون صلاة الرغائب، وهي اثنتا عشرة ركعة أو نحوها، وذلك بين المغرب والعشاء، وهذه بدعة منكرة لم يفعلها النبي صلى الله عليه وسلم، فقد نقل شيخ الإسلام الاتفاق على أنها بدعة.

وقال ابن عثيمين - رحمه الله - : "وأما ما يسمى بصلاة الرغائب وهي ألف ركعة في ليلة أول رجب، أو في أول ليلة جمعة منه فأيضاً لا صحة له وليست مشروعاً"^(٢). اهـ.

وفي جمعة رجب يخصص بعض الناس زيارة مسجد الجند في تعز، فيحصل في ذلك الاجتماع مخالفات من اختلاط الرجال مع النساء، ومضغ شجرة القات في المسجد، ويحصل امتهان للمسجد ولشعائر الله، وغير ذلك.

- ومن تلك المخالفات، تخصيص الاجتماعات واللقاءات في بعض المساجد في جمعة رجب للذكر زعموا، وكل هذا من البدع والمحدثات التي ما أنزل الله بها من سلطان.

زيارة المسجد النبوي في شهر رجب:

ومن البدع في شهر رجب تخصيص زيارة المسجد النبوي، ولا دليل على ذلك، ولا شك أن زيارة المسجد النبوي قرينة عظيمة والصلاة فيه بألف صلاة لكن لا يجوز تخصيص زيارته في وقت من الأوقات بدون دليل، وإنما يشرع زيارته في أي وقت دون تخصيص.

(١) انظر نقد المنقول والمحك المميز بين المردود والمقبول - (١ / ٨٣)

(٢) مجموع فتاوى ورسائل العثيمين - (٢٢ / ٢٧٤)

زيارة المقابر في شهر رجب:

ومن البدع في رجب، تخصيص زيارة القبور، وهذا أيضا من البدع، بل ولا يجوز تخصيص يوم أو شهر لزيارة المقابر لا في رجب ولا في غيره، فبعض الناس لا يزور المقابر إلا يوم الجمعة أو في شهر رجب، وهذا العمل من البدع، فإنه يشرع زيارتها في جميع الأوقات؛ لأن تخصيص ليس من السنة ولم يفعله السلف الصالح.

دعوة المظلوم في شهر رجب:

ومن الاعتقادات البدعية في شهر رجب، الاعتقاد بأن دعوة المظلوم مستجابة، وهذا اعتقاد باطل، وهو من اعتقاد أهل الجاهلية، وهو أنهم كانوا يعتقدون أن دعوة المظلوم مستجابة في شهر رجب، ومن المعلوم بالشرع أن دعوة المظلوم مستجابة بدون تقييد إلا ما جاء مخصصا في بعض الأوقات، فإن الاستجابة فيها تكون أخرى، كآخر الليل، وبين الأذان والإقامة، وفي السجود وغير ذلك، أما في رجب فلم يأت دليل من الكتاب والسنة على أن رجبا من الأوقات التي يستجاب فيها الدعاء. وسيأتي فصل مستقل في أوقات الإجابة بإذن الله تعالى.

العمرة في شهر رجب:

ومن بدع رجب تخصيص العمرة فيه، وقد علم من الشرع أن العمرة في رمضان أفضل من غيره، ولم يأت تفضيلها أو تخصيصها في رجب، والعمرة في رجب جائزة لكن بدون تخصيص. فقد روى البخاري ومسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «فإنَّ عُمْرَةً فِي رَمَضَانَ تَقْضِي حَجَّةً أَوْ حَجَّةً مَعِي».

إخراج الزكاة في شهر رجب:

ومن التخصيصات المخالفة للشرع، أنهم يخصصون إخراج الزكاة في شهر رجب لفضيلة رجب زعموا، وهذا خلاف السنة، إذ لا دليل على ذلك، فالمشروع في الزكاة أنه متى حال عليها الحول، وبلغت النصاب أخرجت، سواء حال عليها الحول في رجب أو في شعبان أو في رمضان، فمتى ما بلغ المال النصاب ودار عليه الحول تعلق بالذمة، ووجب إخراج زكاته واستحقها الفقراء والمساكين وغيرهم من مصارف الزكاة، ولا يجوز تأخيرها عن وقتها.

الاحتفال بالإسراء والمعراج في ليلة ٢٧ من شهر رجب:

ومن البدع التي أحدثت في شهر رجب بدعة الاحتفال بالإسراء والمعراج، اعتقادا منهم أن ليلة الإسراء والمعراج هي ليلة السابع والعشرين من شهر رجب، وهذا لا دليل عليه، وقد اختلف أهل العلم في تحديدها بما حصله أنه لم يثبت أن ليلة الإسراء والمعراج ليلة السابع والعشرين، وعلى تقدير ثبوت ليلة الإسراء والمعراج في ليلة معينة من الليالي، فإنه لا يجوز الاحتفال بالإسراء والمعراج لعدم احتفال السلف بذلك، ولو كان خيرا لسبقونا إليه، فلم يحتفل النبي عليه الصلاة والسلام ولا صحابته الكرام ولا التابعون الأعلام بليلة من الليالي وجعلوها ليلة الإسراء والمعراج.

قال ابن عثيمين - رحمه الله -: "وأما الإسراء والمعراج الذي اشتهر عند كثير من الناس أو أكثرهم، أنه في رجب وفي ليلة السابع والعشرين منه، فهذا لا صحة له إطلاقا، وأظهر الأقوال أن الإسراء والمعراج كان في ربيع الأول، ثم إن إقامة الاحتفالات ليلة سبع وعشرين من رجب بدعة لا أصل لها".^(١) اهـ

(١) مجموع فتاوى ورسائل العثيمين - (٢٢ / ٢٧٤)

ذبيحة رجب:

ومن بدع رجب تخصيص ذبيحة تذبح في رجب تسمى الرجبية، وكان أهل الجاهلية يخصصون ذبيحة يذبحونها في رجب ويسمونها العتيرة، فنفاها النبي صلى الله عليه وسلم كما في البخاري ومسلم عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا فرع ولا عتيرة». والعتيرة، هي: ذبيحة كانوا يذبحونها في رجب، يعظمون شهر رجب؛ لأنه أول الأشهر الحرم. قال بعض أهل العلم: كانوا يذبحونها في العشر الأول من رجب ويسمونها الرجبية. اهـ
هذه أبرز البدع وأظهرها في هذا الشهر، وغيرها من البدع والاعتقادات الباطلة كثير، والمخالفات الحاصلة في هذا الشهر وفي غيره أكثر، وقد اقتصرنا على أهمها وأكثرها شيوعاً في شهر رجب.

المبحث الثالث: اغتنام شهر شعبان

إن من مواسم الخيرات التي حث عليها نبينا الكريم صلى الله عليه وسلم ،لهو صيام شهر شعبان فقد كان عليه الصلاة والسلام يجتهد في صيامه ،و يخصه بكثرة الصيام.

فقد روى البخاري ومسلم عن عائشة أم المؤمنين - رضي الله عنها- أنها قالت: " كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَصُومُ حَتَّى نَقُولَ: لَا يُفْطِرُ، وَيُفْطِرُ حَتَّى نَقُولَ: لَا يَصُومُ، وَمَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اسْتَكْمَلَ صِيَامَ شَهْرٍ قَطُّ إِلَّا رَمَضَانَ وَمَا رَأَيْتُهُ فِي شَهْرٍ أَكْثَرَ مِنْهُ صِيَامًا فِي شَعْبَانَ ".

وفي رواية: " وكان أحب الصوم إليه في شعبان" (١).

وروى البخاري ومسلم واللفظ للبخاري عن عائشة ، رضي الله عنها ، قالت : "لَمْ يَكُنِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَصُومُ شَهْرًا أَكْثَرَ مِنْ شَعْبَانَ فَإِنَّهُ كَانَ يَصُومُ شَعْبَانَ كُلَّهُ" الحديث.

وعند الترمذي عن أم سلمة - رضي الله عنها- قالت: " مَا رَأَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَصُومُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ إِلَّا شَعْبَانَ وَرَمَضَانَ" (٢).

وفي رواية عند النسائي عن أم سلمة - رضي الله عنها- عن النبي صلى الله عليه وسلم " أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَصُومُ مِنْ السَّنَةِ شَهْرًا تَامًّا إِلَّا شَعْبَانَ يَصِلُ بِهِ رَمَضَانَ" (٣).

ففي هذه الأحاديث بيان مشروعية الصيام في شهر شعبان ،ففي بعضها أنه صلى الله عليه وسلم كان يصوم الشهر كله ،وفي بعضها أنه كان يصوم أكثر الشهر، وجمع بعض أهل العلم بين هذه الأحاديث، فقالوا :كان أحيانا يصوم شعبان كله وأحيانا يصوم أكثره وأحيانا يصوم بعضه.

قال النووي - رحمه الله - : "قول عائشة - رضي الله عنها - : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصوم شعبان كله: أي غالبه. وقيل كان يصوم شعبان كله في وقت ويصوم بعضه في سنة أخرى" (٤). اهـ.

الحكمة من تخصيص شهر شعبان بالصيام:

خُصَّ شهر شعبان بكثرة الصيام لحكم عظيمة.

منها :استعدادا لرمضان، وتوطين النفس وتهيتها لصيامه ،فتكون مستعدة لصيام رمضان ويسهل عليها أدائه.

ومنها: قال بعض أهل العلم: تعظيما لرمضان، فيشبهه سنة الفرض للصلاة تعظيما لحقها،فيكون صيام شهر شعبان بمثابة النافلة للفريضة.

(١) رواه أحمد والطبراني وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب - (١ / ٢٤٧) (١٠٢٣)

(٢) ورواه النسائي وأبو داود وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب - (١ / ٢٤٨) (١٠٢٥)

(٣) وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب - (١ / ٢٤٨) (١٠٢٥)

(٤) شرح مسلم - (٤ / ١٦١):

ومنها: أن الناس يغفلون فيه، فكان للصيام فيه فضيلة عظيمة.
ومنها: أن الأعمال ترفع فيه.
ومنها: أن الله تعالى يغفر فيه لمن شاء من خلقه، وغير ذلك.

فقد روى النسائي عن أسامة بن زيد - رضي الله عنهما - قال: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَمْ أَرَكْ تَصُومُ شَهْرًا مِنَ الشُّهُورِ مَا تَصُومُ مِنْ شَعْبَانَ، قَالَ: «ذَلِكَ شَهْرٌ يَغْفُلُ النَّاسُ عَنْهُ بَيْنَ رَجَبٍ وَرَمَضَانَ، وَهُوَ شَهْرٌ تُرْفَعُ فِيهِ الْأَعْمَالُ إِلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ، فَأُجِبُ أَنْ يُرْفَعَ عَمَلِي وَأَنَا صَائِمٌ»^(١).

قال ابن الجوزي - رحمه الله -: " وكل شهر فيه يغفل الناس يكون فاضلا لقلة القائمين فيه " ^(٢) . اهـ
وقال بعضهم: يغفل الناس فيه لأنه بين شهرين عظيمين شهر رجب وشهر رمضان.

فكل زمان أو مكان يحصل فيه غفلة، فالأعمال فيه فاضلة، كالانشغال بالأعمال الصالحة أيام الفتن والناس مشغولون بالفتن.

ومن ذلك فضل دعاء السوق، فإن فيه أجورا عظيمة ومضاعفة، وذلك لغفلة الناس وانشغالهم بديناهم وبيعهم وشرائهم وغير ذلك، فقد روى الترمذي عن ابن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " من دخل السوق فقال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير كتب الله له ألف ألف حسنة ومحا عنه ألف ألف سيئة ورفع له ألف ألف درجة " ^(٣)

- ومن فضائل شهر شعبان أن الله سبحانه وتعالى يغفر لجميع خلقه إلا من شاء .

فقد روى الطبراني عن مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ وَأَبِي مُوسَى، رضي الله عنهما، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "يَطْلُعُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى خَلْقِهِ لَيْلَةَ النَّصَفِ مِنْ شَعْبَانَ فَيَغْفِرُ لِكُلِّ خَلْقٍ إِلَّا لِمُشْرِكٍ، أَوْ مُشَاجِرٍ" ^(٤).

قال المناوي في معنى: (أو مشاحن): أي، مخاصم ^(٥) . اهـ.
وقال بعضهم: أي: مبتدع فلا يغفر لهما.

ففيه خطر التخاصم والتهاجر، وخطر الابتداع في الدين، وخطر الشرك، وأن ذلك يحول بين العبد وبين مغفرة ذنوبه حتى يترك البدعة، أو يترك الشحاء ويتجنب الشرك.

فقد روى الإمام مسلم عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " تُعْرَضُ الْأَعْمَالُ فِي كُلِّ يَوْمٍ خَمِيسٍ وَاثْنَيْنِ، فَيَغْفِرُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ، لِكُلِّ أَمْرٍ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا، إِلَّا أَمْرًا كَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخِيهِ شَحْنَاءٌ، فَيَقَالُ: اتْرُكُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا، اتْرُكُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا " .

قال أبو داود: " فإذا كان الهجر لله فليس من هذا شيء، فإن النبي صلى الله عليه وسلم هجر بعض نسائه أربعين يوما، وابن عمر هجر ابنا له إلى أن مات " ^(٦) . اهـ

فمن هجر فاسقا أو مبتدعا لبدعته فلا يدخل في الحديث، أي لا يحرم من المغفرة، ولا يأت من هجره، فإن المبتدع يشرع هجره، لخطر بدعته، ويخشى عليه ألا يغفر له أو لا يوفق للتوبة.

(١) حسن: رواه أحمد وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب - (١ / ٢٤٧) (١٠٢٢)

(٢) كشف المشكل (١ / ١٢٢٤)

(٣) حسن: رواه أحمد والبيهقي والحاكم وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب - (٢ / ١٤٢) (١٦٩٤)

(٤) حسن صحيح: رواه ابن ماجه وابن حبان والبيهقي وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب - (١ / ٢٤٨) (١٠٢٦): حسن صحيح.

(٥) فيض القدير شرح الجامع الصغير - (٤ / ٦٠٢)

(٦) صحيح وضعيف سنن أبي داود - (١٠ / ٤١٦) (٤٩١٦)

فقد روى الطبراني عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن الله حجب التوبة عن كل صاحب بدعة حتى يدع بدعته"^(١).
قال بعض أهل العلم في معنى الحديث: أي: لا يوفق للتوبة.

الصيام من سرر شعبان

السرر هو الوسط، أي: وسط شعبان، وهي الأيام البيض وسميت بذلك لاستمرار القمر فيها.
وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يحث غيره على الصيام في شعبان لا سيما في وسطه، فقد روى البخاري ومسلم عن عمران بن حصين - رضي الله عنهما - أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لرجل: «هل صُمت من سرر هذا الشهر شيئاً؟» قال: لا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «فإذا أفطرت من رمضان، فصم يومين مكانه».

قال النووي: "قال الأوزاعي وأبو عبيد وجمهور العلماء من أهل اللغة والحديث والغريب: المراد بالسرر آخر الشهر، سُميت بذلك لاستمرار القمر فيها، قال القاضي: قال أبو عبيد وأهل اللغة: السرر آخر الشهر، قال: وأنكر بعضهم هذا، وقال: المراد وسط الشهر، قال: وسرار كل شيء وسطه، قال هذا القائل: لم يأت في صيام آخر الشهر نذب فلا يحمل الحديث عليه، بخلاف وسطه فإنها أيام البيض، وروى أبو داود عن الأوزاعي سرره: أوله، ونقل الخطابي عن الأوزاعي سرره: آخره، قال البيهقي في السنن الكبير بعد أن روى الروايتين عن الأوزاعي: الصحيح آخره، ولم يعرف الأزهري أن سرره أوله، قال الهروي: والذي يعرفه الناس أن سرره آخره، ويُعصد من فسره بوسطه الرواية السابقة في الباب قبله: "سرّة هذا الشهر"، وسرارة الوادي وسطه وخياره، وقال ابن السكيت: سرار الأرض: أكرمها ووسطها، وسرار كل شيء: وسطه وأفضله، فقد يكون سرار الشهر من هذا"^(٢).
والراجح أن سرر شعبان هو وسطه، وهو الذي مال إليه النووي.

وأيام البيض هي: الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر من الشهر، وسميت بالأيام البيض لأن لياليها بيضاء مقمرة، وذلك لأن القمر فيها مكتمل أو شبه مكتمل في بعضها.
وفي هذا الحديث جواز قضاء النافلة لمن فاتته.
قال بعض أهل العلم: قد علم النبي صلى الله عليه وسلم من هذا الرجل أنه كان يداوم على صيام النافلة فلما لم يصم أذن له بالقضاء.
وفيه فضيلة الصيام في شعبان ولذلك أمره بالقضاء بعد رمضان.

حكم صيام النصف من شعبان:

يجوز صيام شعبان كله أو أكثره أو نصفه أو أقل أو أكثر من ذلك، ويجوز الصيام من أوله أو آخره أو وسطه مالم يكن هناك تخصيص أو نحو ذلك.
وأما حديث: (إذا انتصف شعبان فلا تصوموا)، فقد قال الإمام أحمد: هذا حديث منكر. اهـ
وعلى تقدير ثبوته، فإن النهي محمول على التخصيص، لا سيما آخر الشهر، أو محمول على النهي عن استقبال رمضان بصيام يوم أو يومين، أو النهي عن تخصيص النصف الثاني من شعبان.

فقد روى الإمام البخاري عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: «لا يتقدم أحدكم رمضان بصوم يوم أو يومين، إلا أن يكون رجلاً كان يصوم صومه، فلْيَصُمْ ذَلِكَ الْيَوْمَ».

(١) حسن: حسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب - (١ / ١٢) (٥٤)

(٢) شرح مسلم (٤ / ١٨١)

بمعنى أنه لا يجوز استقبال شهر رمضان بصيام يوم أو يومين إلا أن يكون العبد معتادا صيام ذلك اليوم فوافق مجيئه قبل رمضان بيوم أو يومين ،كصيام الإثنين والخميس أو وافق نذرا أو كفارة أو قضاء، فيجوز صيامه لهذا الغرض ولو قبل رمضان بيوم أو يومين.

والحكمة من هذا النهي ،قال أهل العلم كما ذكره الحافظ ابن حجر: لئلا يختلط الفرض بالنفل. وقال بعضهم: لأن حكم الصيام معلق بالرؤية، فمن تقدمه بيوم أو يومين، فقد حاول الطعن في ذلك الحكم. وذكروا أشياء غير هذا، فالذي يلزمنا هو الانقياد والامتثال، والوقوف عند النهي بالاجتناب، وعند الأمر بالامتثال، سواء علمنا الحكمة أم لم نعلمها ،فما علينا إلا السمع والطاعة ،وأن نقول: (سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا).

حكم تخصيص ليلة النصف ويوم النصف من شعبان:

وأما تخصيص ليلة النصف من شعبان بالقيام، أو يوم النصف من شعبان بالصيام فإنه لم يثبت في ذلك حديث ، فإن الحديث في ذلك موضوع ومكذوب على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو حديث: " إِذَا كَانَتْ لَيْلَةُ النَّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ فَقُومُوا لَيْلَهَا وَصُومُوا يَوْمَهَا فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَنْزِلُ فِيهَا لُغُوبِ الشَّمْسِ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَيَقُولُ: أَلَا مِنْ مُسْتَغْفِرٍ فَأَغْفِرَ لَهُ؟ أَلَا مُسْتَرْزِقٌ فَأَرْزُقَهُ؟ أَلَا مُبْتَغَى فَاغْفِيَهُ؟ أَلَا كَذَا أَلَا كَذَا حَتَّى يَطْلُعَ الْفَجْرُ "

قال العلامة الألباني: الحديث موضوع. اهـ (١). أي مكذوب على نبينا صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم. ولم يثبت شيء في تخصيص ليلة النصف من شعبان بقيام.

وأما الحديث المتقدم "يَطْلُعُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى خَلْقِهِ لَيْلَةَ النَّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ فَيَغْفِرُ لَجَمِيعِ خَلْقِهِ إِلَّا لِمُشْرِكٍ ، أَوْ مُشَاحِنٍ" فإنه حسن، حسنه العلامة الألباني كما تقدم، لكن ليس فيه تخصيص عبادة أو الحث عليها ولم يأمرنا النبي صلى الله عليه وسلم أن نتعبد لله في هذه الليلة بخصوصها، وإنما فيه أن الله يغفر لعباده المؤمنين فيها إلا المشرك والمشاحن.

ومن الناس من يخصص الثلاثة الأيام البيض من شعبان فيصومها، ويسمونها ب(الشعبانية) فالقول في هذه المسألة كالقول في سابقتها ،وهو أنه يشرع صيام الثلاثة البيض من كل شهر ،بدون تخصيص ،أما تخصيص هذه الأيام بصيام في هذا الشهر دون غيره من الشهور فإنه من المحدثات.

(١) انظر سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة - (٥ / ١٥٤) (٢١٣٢) - وضعيف الترغيب والترهيب - (١ / ١٥٦) (٦٢٣).

المبحث الرابع: اغتنام شهر رمضان المبارك

إنه لا يخفى على مسلم فضل شهر رمضان المبارك، وأنه أفضل الشهور، لما اشتمل عليه من العبادات العظيمة، من الصيام والقيام والصدقات وتلاوة القرآن وغير ذلك، وخصت العبادات فيه بزيادة فضل وأجر على غيره من الشهور لفضله وشرفه، فهو الشهر الذي نزل فيه القرآن الكريم، وفيه ليلة هي خير من ألف شهر، وهو الشهر الذي تفتح فيه أبواب الجنان، وتغلق فيه أبواب النيران، وتغل فيه المردة والشياطين، وتفتح فيه أبواب السماوات، وتنزل فيه الرحمات، وتكثر فيه البركات، وتضاعف فيه الحسنات، وتغفر فيه الذنوب والسيئات، وتستجاب فيه الدعوات، وتعتق فيه رقاب من النار، فحري بالمؤمن أن يغتني هذا الشهر بالطاعات، وأن يتقرب فيه إلى رب البريات، فقد كان نبينا صلى الله عليه وسلم يجتهد فيه بالقيام والاعتكاف والذكر وقراءة القرآن والصدقات وغيرها من القربات.

فكان يجتهد في رمضان ما لا يجتهد في غيره، لما روى البخاري ومسلم عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَجْوَدَ النَّاسِ، وَكَانَ أَجْوَدَ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ، وَكَانَ يَلْقَاهُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ فَيُدَارِسُهُ الْقُرْآنَ، فَلَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَجْوَدَ بِالْخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ».

يعني أنه كان أسرع من الريح في مسارعه في الخيرات، لا سيما في شهر رمضان، فالريح المرسلة هي التي تأتي بالغيث فيعم الأرض الميتة وغير الميتة، ورسول الله صلى الله عليه وسلم خيره وبره يعم الفقير والغني والمحتاج وصاحب الكفاية أكثر من الغيث.

قال ابن عثيمين رحمه الله تعالى: "كان أجود الناس بماله وبدنه وعمله ودعوته ونصيحته وكل ما ينفع الخلق، وكان أجود ما يكون في رمضان، لأن رمضان شهر الجود ويجود الله فيه على العباد والعباد الموفقون يجودون على إخوانهم والله تعالى جواد يحب الجود.." اهـ^(١)

وكان نبينا صلى الله عليه وسلم يبشر أصحابه بقدوم شهر رمضان، فيستبشرون ويفرحون به ويستعدون له، فقد روى الإمام أحمد عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أتاكم شهر رمضان، شهر مبارك، فرض الله عليكم صيامه، تفتح فيه أبواب الجنة، وتغلق فيه أبواب الجحيم، وتغل فيه مردة الشياطين، وفيه ليلة هي خير من ألف شهر من حرم خيرها فقد حرم"^(٢)

وأخرج الإمام البخاري ومسلم عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «إِذَا جَاءَ رَمَضَانُ فَتُحْتَبَرُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ، وَتُغْلَقُ أَبْوَابُ النَّارِ، وَتُفْتَحُ أَبْوَابُ الْجَهَنَّمَ» وفي رواية عند البخاري «إِذَا دَخَلَ شَهْرُ رَمَضَانَ فَتُحْتَبَرُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ، وَتُغْلَقُ أَبْوَابُ جَهَنَّمَ، وَتُسَلِّطُ الشَّيَاطِينُ»

وفي رواية لمسلم: "فُتِّحَتْ أَبْوَابُ الرَّحْمَةِ".
ففي شهر رمضان المبارك تفتح أبواب الجنات، وأبواب السماوات وأبواب الرحمات.

(١) شرح رياض الصالحين - (١ / ١٤٠٢)

(٢) ورواه النسائي والبيهقي وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب - (١ / ٢٤١) (٩٩٩)

معنى فتح الأبواب وتصفيد الشياطين :

قال ابن بطال - رحمه الله - : " ويكون المعنى في فتح أبواب الجنة، ما فتح الله على العباد فيه من الأعمال المستوجب بها الجنة من الصلاة والصيام وتلاوة القرآن، وأن الطريق إلى الجنة في رمضان أسهل، والأعمال فيه أسرع إلى القبول، وكذلك أبواب النار تغلق بما قطع عنهم من المعاصي، وترك الأعمال المستوجب بها النار، ولقلة ما يؤاخذ الله العباد بأعمالهم السيئة، يستنقذ منها ببركة الشهر أقوامًا ويهب المسيء للمحسن، ويتجاوز عن السيئات فهذا معنى الغلق، وكذلك قوله: (سلسلت الشياطين) ، يعنى: أن الله يعصم فيه المسلمين أو أكثرهم في الأغلب عن المعاصي والميل إلى وسوسة الشياطين وغرورهم ذكره الداودي والمهلب". اهـ^(١).

وقال العلامة العثيمين - رحمه الله - : "هذه ثلاثة أشياء تكون في رمضان:
الأول: تفتح أبواب الجنة ترغيباً للعاملين بها بكثرة الطاعات من صلاة وصدقة وذكر وقراءة للقرآن وغير ذلك .

والثاني: تغلق أبواب النيران وذلك لقلة المعاصي فيه من المؤمنين.
الثالث: وصفت الشياطين يعني المردة منهم ، وهم أشد الشياطين عداوة و عدوانا على بني آدم ، والتصفيد معناه: الغل ،يعني تثقل أيديهم حتى لا يخلصوا إلى ما كانوا يخلصون إليه في غيره". اهـ^(٢).

وقال بعض أهل العلم تفتح أبواب الجنة وتغلق أبواب النار لكثرة الثواب والعفو، وكثرة الطاعات وقلة المعاصي.

فعلى هذا فإن الذي يعمل المعاصي في هذا الشهر مع ضعف الداعي إليها ، فإنه يدل على خبث طبعه، وشر نفسه، وخلل في صومه، لأنه لم يراع شروط الصيام وآدابه ،فهذا من شياطين الإنس، لأن شياطين الجن مقيدة.

قال الحافظ: " وقال القرطبي: فإن قيل كيف نرى الشرور والمعاصي واقعة في رمضان كثيرا، فلو صفت الشياطين لم يقع ذلك ؟فالجواب: أنها إنما تقل عن الصائمين الصوم الذي حوفظ على شروطه وروعيت آدابه، أو المصنف بعض الشياطين وهم المردة لا كلهم كما تقدم في بعض الروايات، أو المقصود تقليل الشرور فيه وهذا أمر محسوس فإن وقوع ذلك فيه أقل من غيره إذ لا يلزم من تصفيد جميعهم أن لا يقع شر ولا معصية لأن لذلك أسبابا غير الشياطين كالنفوس الخبيثة والعادات القبيحة والشياطين الإنسية.

وقال غيره في تصفيد الشياطين في رمضان إشارة إلى رفع عذر المكلف كأنه يقال له قد كفت الشياطين عنك فلا تعتل بهم في ترك الطاعة ولا فعل المعصية.

وقال الحلبي يحتمل أن يكون المراد من الشياطين مسترقوا السمع منهم، وأن تسلسلهم يقع في ليالي رمضان دون أيامه لأنهم كانوا منعوا في زمن نزول القرآن من استراق السمع فزيدوا التسلسل مبالغة في الحفظ ،ويحتمل أن يكون المراد أن الشياطين لا يخلصون من افتتان المسلمين إلى ما يخلصون إليه في غيره ؛لاشتغالهم بالصيام الذي فيه قمع الشهوات وبقراءة القرآن والذكر، وقال غيره المراد بالشياطين بعضهم وهم المردة منهم" اهـ^(٣).

(١) شرح صحيح البخارى (٤ / ٢٠)

(٢) شرح رياض الصالحين - (١ / ١٣٩٩)

(٣) فتح الباري : (٤ / ١١٤)

فعلى العبد أن يغتنم هذا الشهر بطاعة ربه؛ حيث إن الشياطين مقيدة، وأبواب الجنة مفتحة، وأبواب النار مغلقة، والأعمال مسهلة، والأمور ميسرة، والأجور مضاعفة.

فضائل شهر رمضان المبارك:

من أعظم فضائله مشروعية الصيام فيه، والصيام من أفضل الأعمال التي يتقرب بها العبد إلى ربه، ويترتب عليه أجور كثيرة، لا يحصيها إلا الله، ويخلف الصائم فرحة عظيمة.

فقد روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " قَالَ اللَّهُ كُلُّ عَمَلٍ ابْنِ آدَمَ لَهُ، إِلَّا الصَّيَّامَ، فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ". وفي رواية لمسلم: "كُلُّ عَمَلٍ ابْنِ آدَمَ يُضَاعَفُ، الْحَسَنَةُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِمِائَةٍ ضِعْفٍ، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: إِلَّا الصَّوْمَ، فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ، يَدْعُ شَهْوَتُهُ وَطَعَامُهُ مِنْ أَجْلِي لِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ: فَرْحَةٌ عِنْدَ فِطْرِهِ، وَفَرْحَةٌ عِنْدَ لِقَاءِ رَبِّهِ وَلِخُلُوفٍ فِيهِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ، وَإِذَا كَانَ يَوْمُ صَوْمٍ أَحَدِكُمْ فَلَا يَرِفُ وَلَا يَصْحَبُ، فَإِنْ سَابَهُ أَحَدٌ أَوْ قَاتَلَهُ، فَلْيُقِلْ إِنِّي أَمْرُؤُ صَائِمٌ".

ففي الحديث أن خلوف فم الصائم - أي رائحة فمه - عند الله أطيب من ريح المسك. فلا تقل كيف؟ فإن الله: "ليس كمثله شيء وهو السميع البصير" (الشورى آية: ١١). فإننا نؤمن بأن رائحة الصائم عند الله أطيب من ريح المسك بلا كيف ولا تأويل. وقال ابن بطال - رحمه الله - : "يطيب الله رائحته يوم القيامة". اهـ^(١)

وفي الحديث: "لِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ: فَرْحَةٌ عِنْدَ فِطْرِهِ، وَفَرْحَةٌ عِنْدَ لِقَاءِ رَبِّهِ". فالفرحة التي عند فطره، تشمل الفرحة عند غروب الشمس عند إفطاره كل يوم من رمضان، فكل يوم تغرب شمس يفرح الصائم؛ لأن الله قد أكمل له الصيام في ذلك اليوم، وانتهى من عناء الجوع والعطش، ونسي التعب، وثبت الأجر إن شاء الله، وتشمل الفرحة يوم عيد الفطر، فيفرح؛ لأن الله تعالى أكمل له عدة رمضان، وأعانه على صيامه وقيامه، وهذا ملاحظ عند كل صائم صادق صام إيماناً واحتساباً. أما من لم يصم رمضان، أو قصر وفرط فيه، فلا تشمله الفرحة في يوم العيد، ولا يكون من الفرحين بالعيد، فأَيُّ فرحة تُرجى لهذا الصنف؟ بل إنك ترى الكآبة على وجوه المفرطين، والضيق في صدور المقصرين، فيندمون على ما فرطوا في جنب رب العالمين. والفرحة التي عند لقاء ربه، يفرح بها الصائم حينما يلاقي ربه، ويقف بين يديه، ويكلمه بدون ترجمان، ويتمتع بالنظر إليه سبحانه وتعالى، ويرى تلك الأجور العظيمة المترتبة على توحيده وصيامه وقيامه وتلاوة القرآن وسائر أعمال البر في رمضان وفي غيره، لكن خص الصيام بالذكر لفضله، فيرتوي من باب الريان، ويجد أعبق الرياح، ويذوق أحلى الطعام ويسكن أعلى الجنان، ويعاشر الحور الحسان، فضلاً من الرحيم الرحمن، ومنه من الكريم المنان سبحانه وتعالى، فنسأله من فضله الكريم.

ومن فضائل هذا الشهر المبارك: أن فيه ليلة مباركة، هي خير ليالي السنة، وهي ليلة القدر، والعمل الصالح فيها خير من عمل ألف شهر، بمعنى أنها: خير من بضع وثمانين سنة.

فقد روى ابن ماجه عن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: دَخَلَ رَمَضَانُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : "إِنَّ هَذَا الشَّهْرَ قَدْ حَضَرَكَمْ، وَفِيهِ لَيْلَةٌ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ، مَنْ حُرِمَهَا فَقَدْ حُرِمَ الْخَيْرَ كُلَّهُ، وَلَا يُحْرَمُ خَيْرَهَا إِلَّا مَحْرُومٌ"^(١).

(١) شرح صحيح البخاري

وسياتي ذكر فضائلها في بابها بمبحث مستقل إن شاء الله تعالى.

ومن فضائل هذا الشهر أن الله سبحانه وتعالى يعتق فيه عبدا من النار، وذلك من صام رمضان إيمانا واحتسابا، واجتنب الحرام، وقرأ القرآن، وصلى القيام، وأقبل على الخير وأعرض عن الشر.

وللصائم في كل يوم دعوة مستجابة في رمضان لا ترد، وذلك لتعلق الصائم بربه، وانكسار قلبه بين يديه، وبعده عن الشهوات والملذات، وزهده في الدنيا وأعمالها، فذلك حري أن يستجاب له.

فقد روي الإمام أحمد وصححه الألباني عن أبي سعيد - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " إِنْ لِيَّ عُقَاءٌ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، وَإِنْ لِكُلِّ مُسْلِمٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ " (٢)

فينبغي الإكثار من الدعاء في هذا الشهر المبارك، لعل العبد يوافق دعوة مستجابة، فيستجيب الله له، فإن دعاء الصائم مستجاب، والدعاء عبادة عظيمة، ونفعه عائد على العبد في الدنيا والآخرة، فلا يعجز المسلم عن الدعاء، ولا يستهين به، فإن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "أعجز الناس من عجز عن الدعاء وأبخل الناس من بخل بالسلام" - رواه الطبراني عن أبي هريرة - رضي الله عنه - (٣)، وسياتي ذكر شيء من فضل الدعاء في باب أوقات الإجابة إن شاء الله.

ومن فضائل شهر رمضان أنه يكفر الذنوب بإذن الله لمن صامه إيمانا واحتسابا وابتعد عن كبائر الذنوب .

فقد روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ صَامَ رَمَضَانَ، إِيْمَانًا وَاحْتِسَابًا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ، وَمَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيْمَانًا وَاحْتِسَابًا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ، وَمَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيْمَانًا وَاحْتِسَابًا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ» . ومعنى: "إيمانا واحتسابا":

قال الحافظ ابن حجر: "أي: الاعتقاد بحق فرضية صومه " واحتسابا": طلب الثواب من الله تعالى. وقال الخطابي: " إيمانا واحتسابا": أي إخلاصا بنية وعزيمة وطلبا للثواب وأن يصومه طيبة به نفسه غير مستثقل لصيامه ولا مستطيل لأيامه وإنما يغتنم ذلك لعظم الثواب. اهـ (٤).

وقوله: " غفر له ما تقدم من ذنبه": تغفر صغائر الذنوب وأما الكبائر فلا بد لها من توبة. وذهب بعض أهل العلم إلى أن الصغائر لا تغفر إن وجدت معها كبائر ، واستدلوا بما رواه مسلم عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقُولُ: «الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ، وَالْجُمُعَةُ إِلَى الْجُمُعَةِ، وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ، مُكَفِّرَاتٌ مَا بَيْنَهُنَّ إِذَا اجْتَنَبَ الْكَبَائِرَ». فيجب الحذر من الكبائر حتى لا تكون حائلا بين العبد وبين مغفرة ذنوبه. وقال بعض أهل العلم: تكفر الصغائر دون الكبائر وفضل الله واسع.

قال النووي: " مَعْنَاهُ أَنَّ الذُّنُوبَ كُلَّهَا تُغْفَرُ إِلَّا الْكَبَائِرَ، فَإِنَّهَا لَا تُغْفَرُ، وَلَيْسَ الْمُرَادُ أَنَّ الذُّنُوبَ تُغْفَرُ مَا لَمْ تَكُنْ كَبِيرَةً ، فَإِنْ كَانَ لَا يُغْفَرُ شَيْءٌ مِنَ الصَّغَائِرِ ، فَإِنَّ هَذَا وَإِنْ كَانَ مُحْتَمَلًا فَسِيَاقُ الْأَحَادِيثِ يَأْبَاهُ .

(١) حسن: رواه البيهقي وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب - (١ / ٢٤١) (١٠٠٠)

(٢) صحيح: انظر صحيح الترغيب والترهيب للألباني - (١ / ٢٤٢) (١٠٠٢)

(٣) صحيح: صححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢ / ١٥٢) برقم (٦٠١)

(٤) فتح الباري (٤ / ١١٥)

قَالَ الْقَاضِي عِيَّاض : هَذَا الْمَذْكُور فِي الْحَدِيث مِنْ غُفْرَانِ الذُّنُوبِ مَا لَمْ تُؤْتَ كَبِيرَةٌ هُوَ مَذْهَبُ أَهْلِ السُّنَّةِ ، وَأَنَّ الْكَبَائِرَ إِنَّمَا تُكَفِّرُهَا التَّوْبَةُ أَوْ رَحْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى وَفَضْلُهُ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ اهـ^(١) .
وقال - رحمه الله - : "فإن لم يكن له صغائر كتب له حسنات ورفع له درجات". اهـ
وذكر ابن باز - رحمه الله - أن الصوم يكفر الذنوب وزيادة ثواب على الكفارة.

والمراد بالصوم الذي يكفر الذنوب، هو صوم من صامه إيماناً واحتساباً ، و كان خالصاً سالماً من الشوائب والمخدشات.

فأعظم خسارة على العبد أن يخرج رمضان من بين يديه ولم يغفر له ذنبه أو تعتق رقبته من النار.
فقد روى ابن حبان عن مالك بن الحويرث - رضي الله عنه - قال سعد رسول الله صلى الله عليه وسلم المنبر فلما رقي عتبة: قال " آمين" ثم رقي عتبة أخرى فقال: " آمين" ثم رقي عتبة ثالثة فقال: " آمين" ثم قال: "أتاني جبريل فقال يا محمد من أدرك رمضان فلم يغفر له فأبعده الله قلت: آمين قال : ومن أدرك والديه أو أحدهما فدخل النار فأبعده الله قلت: آمين فقال: ومن ذكرت عنده فلم يصل عليك فأبعده الله قل: آمين فقلت آمين"^(٢) .

ومن فضائل الصيام أن في الجنة باباً يقال له باب الريان ، لا يدخل منه إلا الصائمون، والريان: مشتق من الري ، وهو ضد الظمأ، وجعله الله إكراماً للصائمين، لأنهم أظمنوا نهارهم في شهر رمضان وفي غيره ، ولأن الإنسان قد يستطيع أن يصبر على الجوع ولا يستطيع أن يصبر على العطش، فخص لهذه المزية، والله أعلم.
فقد روى البخاري ومسلم عن سهل - رضي الله عنه - عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: " إِنَّ فِي الْجَنَّةِ بَابًا يُقَالُ لَهُ الرِّيَّانُ، يَدْخُلُ مِنْهُ الصَّائِمُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، لَا يَدْخُلُ مِنْهُ أَحَدٌ".

قال المناوي - رحمه الله - : "وهو باب يسقى منه الصائم شراباً طهوراً ، قبل وصوله إلى وسط الجنة ليذهب عطشه، وفيه مزيد مناسبة وكمال علاقة بالصوم، واكتفى بالري عن الشبع لدلالته عليه ، أو لأنه أشق على الصائم من الجوع، وقوله: (يدخل منه) أي: إلى الجنة، وقوله: (الصائمون): يعني الذين يكثر الصوم". اهـ^(٣)

ومن فضائل الصيام أنه وقاية لصاحبه من النار، فقد روى البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - قال: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «مَنْ صَامَ يَوْمًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، بَعَدَ اللَّهُ وَجْهَهُ عَنِ النَّارِ سَبْعِينَ خَرِيفًا».

وقد ذهب بعض أهل العلم إلى أنه الصيام الذي يكون في أرض الجهاد.
والصواب أنه يشمل كل صيام في طاعة الله أخلص فيه صاحبه لله وابتغى به وجه الله، والله أعلم.

ومن فضائل الصيام أن من مات صائماً دخل الجنة، لأنه مات على طاعة ، و من علامات حسن الخاتمة أن يموت المسلم صائماً سواء كان ذلك في شهر رمضان أو في غيره، فينبغي على العبد أن يكثر من الصيام لعل الله يختم له به، فيبعث صائماً يوم القيامة ويدخل الجنة .
فقد روى الإمام أحمد عن حذيفة - رضي الله عنه - قال: أَسْنَدْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى صَدْرِي فَقَالَ: " مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ابْتِغَاءً وَجْهَ اللَّهِ خُتِمَ لَهُ بِهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ صَامَ يَوْمًا ابْتِغَاءً وَجْهَ اللَّهِ خُتِمَ لَهُ بِهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ ابْتِغَاءً وَجْهَ اللَّهِ خُتِمَ لَهُ بِهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ "^(٤) .

(١) شرح مسلم (١ / ٣٧٧)

(٢) صحيح ، صححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب - (١ / ٢٤١) (٩٩٦)

(٣) فيض القدير (٢ / ٥٨٨)

(٤) صحيح ، صححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب - (١ / ٢٣٨) (٩٨٥)

فينبغي اغتنام هذا الشهر المبارك بالمسارعة في الخيرات ، فإنه كفارة السنة كما في حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - عند الإمام مسلم أن رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ، مُكْفَرَاتٌ مَا بَيْنَهُنَّ" الحديث

وينبغي على العبد إذا أدرك رمضان أن يحمد الله ويعتزمه بالطاعات ، ولعله لا يدرك رمضان الآخر فيكون في عداد الموتى ويصير من المنسيين، فإنه في أول ليلة من رمضان ينادي منادٍ: يا باغي الخير أقبل ويا باغي الشر أقصر.

فقد روى ابن ماجه عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، رضي الله عنه ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : "إِذَا كَانَتْ أَوَّلُ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ ، صُفِّدَتِ الشَّيَاطِينُ ، وَمَرَدَةُ الْجِنِّ ، وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ النَّارِ ، فَلَمْ يُفْتَحْ مِنْهَا بَابٌ ، وَفُتِحَتْ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ ، فَلَمْ يُغْلَقْ مِنْهَا بَابٌ ، وَنَادَى مُنَادٍ : يَا بَاغِيَ الْخَيْرِ أَقْبِلْ ، وَيَا بَاغِيَ الشَّرِّ أَقْصِرْ ، وَلِلَّهِ عِتْقَاءُ ، وَذَلِكَ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ" (١) .

تنبيهات للصائم:

ينبغي على الصائم أن يغتنم هذا الشهر المبارك بالمسارعة بالخيرات وأن يحافظ على صومه مما يخذشه من المعاصي والمخالفات ، فإن الأجور المترتبة عليه هي في حق من صام عن الطعام والشراب والجماع واللغو والرفث، فتصوم جميع الجوارح عن الآثام ، فصيام العينين هو غض البصر عن الحرام ، وصيام الأذنين هو امتناعهما من سماع الحرام ، وصيام اللسان هو الإمساك عن الكلام المحرم ، وصيام اليد كفها عن البطش، وصيام الرجل جزها عن المشي إلى الحرام ، وصيام البطن الامتناع عن اللقمة الحرام وهلم جرا ، فإن الصائم قد ترك المباحات تقربا إلى الله ، فمن باب أولى أن يترك المحرمات من أجل الله وذلك أسهل.

فإن من الناس من يصوم عن الأكل والشراب والجماع ولا يصوم عن المخالفات والمعاصي، فتري بعض الصائمين يكذب ويلعن ويقول الزور ، وتري بعضهم ينظر إلى المسلسلات التي قد ملأت بصور النساء الكاسيات العاريات والمسرحيات المشتعلة على الكذب والزور، وتري بعضهم يستمع إلى الأغنيات ، وتري بعضهم يأكل الحرام وغير ذلك. فأني صيام عند هؤلاء؟! وأي مغفرة يرجونها؟! فهؤلاء صومهم ناقص ويخشى عليهم من الإثم ، ويخشى على صومهم من حرمان الأجر والثواب، وربما خرج رمضان ولم يحظوا بمغفرة الذنوب.

فقد روى ابن خزيمة عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "ليس الصيام من الأكل والشرب إنما الصيام من اللغو والرفث فإن سابك أحد أو جهل عليك فقل إني صائم إني صائم" (٢)

وروى البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : "مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالْعَمَلَ بِهِ فَلَيْسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ فِي أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ". أي لا يريد الله مثل هذا الصيام، وليس معناه أنه يترك الصيام.

قال ابن بطال: "قال المهلب : فيه دليل أن حكم الصيام الإمساك عن الرفث وقول الزور ، كما يمسك عن الطعام والشراب ، وإن لم يمسك عن ذلك فقد تنقص صيامه وتعرض لسخط ربه وترك قبوله منه . وقال غيره : وليس معناه أن يؤمر بأن يدع صيامه إذا لم يدع قول الزور ، وإنما معناه التحذير من قول الزور" اهـ (٣)

(١) ورواه الترمذي والبيهقي والحاكم وابن حبان وصححه الألباني في صحيح وضعيف سنن ابن ماجه - (٤ / ١٤٢) (١٦٤٢) وفي صحيح الترغيب والترهيب

- (١ / ٢٤١) (٩٩٨)

(٢) صحيح: صححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب - (١ / ٢٦١) (١٠٨٢) وهو عند ابن حبان والحاكم

(٣) شرح صحيح البخاري - لابن بطال - (٤ / ٢٣)

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "رب صائم ليس له من صيامه إلا الجوع ورب قائم ليس له من قيامه إلا السهر"^(١)
قال المناوي في قوله عليه الصلاة والسلام: (رُبَّ صَائِمٍ لَيْسَ لَهُ مِنْ صِيَامِهِ إِلَّا الْجُوعُ): قال الغزالي: قيل: هو الذي يفطر على حرام أو من يفطر على لحوم الناس بالغيبة، أو من لا يحفظ جوارحه عن الآثام. اهـ.^(٢)

(١) حسن صحيح: رواه ابن ماجه واللفظ له والنسائي وابن خزيمة والحاكم والبيهقي وانظر صحيح الترغيب والترهيب - (١ / ٢٦٢) (١٠٨٣)

(٢) فيض القدير شرح الجامع الصغير - (٤ / ٢١)

الفصل الثاني : اغتنام الأيام والليالي المباركات:

الأيام والليالي التي ثبت فيها الفضل والبركة التي ينبغي اغتنامها في فعل الخير- وسنذكرها حسب ترتيبها في السنة - هي كالتالي ::

- ١- يوم الإثنين.
- ٢- يوم الخميس.
- ٣- يوم الجمعة.
- ٤- يوم عاشوراء.
- ٥- ليالي العشر الأخيرة من رمضان.
- ٦- ليلة القدر.
- ٧- الست من شهر شوال.
- ٨- أيام عشر ذي الحجة.
- ٩- يوم عرفة.
- ١٠- يوم النحر.
- ٩- أيام التشريق.

اغتنام يوم الإثنين والخميس:

إن مما ثبت في فضل هذين اليومين أن أبواب الجنة تفتح فيهما، وتعرض الأعمال على الله سبحانه وتعالى، فكان صلى الله عليه وسلم يخصصهما بالصيام، ويحث غيره على صيامهما، وفيهما يغفر الله لكل مسلم إلا مشركاً أو مشاحنًا أو مبتدعًا.

ومما ثبت في يوم الإثنين أنه اليوم الذي ولد فيه نبي الرحمة صلى الله عليه وسلم، وبعث فيه رسولا إلى هذه الأمة.

فقد روى مسلم عن أبي قتادة - رضي الله عنه - قَالَ سُلِّ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم عَنْ صَوْمِ يَوْمِ الْإِثْنَيْنِ فَقَالَ « ذَاكَ يَوْمٌ وَلِدْتُ فِيهِ وَيَوْمٌ بُعِثْتُ أَوْ أُنْزِلَ عَلَيَّ فِيهِ ».

وروى الإمام مسلم أيضا عن أَبِي هُرَيْرَةَ - رضي الله عنه - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- قَالَ « تَفْتَحُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْإِثْنَيْنِ وَيَوْمَ الْخَمِيسِ فَيُغْفَرُ لِكُلِّ عَبْدٍ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا إِلَّا رَجُلًا كَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخِيهِ شَحَاءٌ فَيُقَالُ أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا ».

(وفي رواية له) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- قَالَ: « تُعْرَضُ الْأَعْمَالُ فِي كُلِّ يَوْمٍ خَمِيسٍ وَإِثْنَيْنِ فَيُغْفَرُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ لِكُلِّ أَمْرٍ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا إِلَّا أَمْرًا كَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخِيهِ شَحَاءٌ فَيُقَالُ ارْكُؤَا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا ارْكُؤَا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا ».

ومعنى: اركؤا : أي ،أخروا، وجاءت روايات خارج مسلم بلفظ: (اتركوا..)

وروى الترمذي عن عائشة - رضي الله عنها - أنها سئلت عن صيام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالت : "كَانَ يَتَحَرَّى صِيَامَ الْإِثْنَيْنِ وَالْخَمِيسِ" (١) .

فكان النبي صلى الله عليه وسلم يتحرى صيام هذين اليومين رجاء أن يعرض عمله وهو صائم، وهو سيد ولد آدم ، والمعصوم من كل ذنب ، والمغفور له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، ومع هذا كان يغتنم مواسم الخيرات بالمسارعة بالطاعات، فغيره من باب أولى أن يغتنم هذه المواسم ، فينبغي على أمته أن يغتنموا صيام هذين اليومين لتعرض أعمالهم وهم صيام لعل الله أن يغفر ذنوبهم، وهو أسوتهم وقدوتهم صلى الله عليه وسلم.

فقد روى الترمذي عن أبي هريرة - رضي الله عنه - : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " تعرض الأعمال يوم الإثنين والخميس فأحب أن يعرض عملي وأنا صائم" (٢)

حكم الاحتفال بيوم الإثنين:

الاحتفال بيوم الإثنين محدث ، أما قوله صلى الله عليه وسلم: « ذَاكَ يَوْمٌ وُلِدْتُ فِيهِ وَيَوْمٌ بُعِثْتُ أَوْ أُنْزِلَ عَلَيَّ فِيهِ » فليس فيه دليل على الاحتفال بيوم مولده ، فإن ذلك بدعة منكرا ، لم يفعلها النبي صلى الله عليه وسلم ، ولا صحابته من بعده ، ولا تابعوهم ، وهم أحرص الناس على الخير ، وأقربهم إلى السنة ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم أحب إليهم ممن جاء بعدهم ، فقد فدوه بأرواحهم وأموالهم وأولادهم وتركوا ديارهم وهاجروا معه ، ولو كان ذلك خيرا لسبقوا غيرهم إليه ، وإنما الذي ثبت في هذه الأحاديث مشروعية الصيام يوم الإثنين واستحبابه ، ولم يثبت الاحتفال بهذا اليوم كما يفعله أهل البدع الذين يحتفلون بمولد النبي صلى الله عليه وسلم ، ويزعمون أنهم بذلك يحبون رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهم أبعد الناس عن هديه وسنته ، ولو كانوا صادقين في محبتهم للنبي صلى الله عليه وسلم لصاموا هذا اليوم متابعة له وتركوا الإحداث في هذا اليوم من الاحتفال فيه وجعله عيداً يأكلون ويشربون فيه ، ويتوسعون في المباحات وهذا خلاف هديه صلى الله عليه وسلم .
فالله ورسوله يبغضان هذه الأفعال المحدثه ، وقد حذر الله ورسوله من البدع والمحدثات وأمرنا بالتمسك بالسنة ، وتوعدا على مخالفتها ، وبين الله في كتابه أن أعظم علامات محبة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم هو لزوم سنته ومتابعته ، فمن كان صادقا في محبته لله ولرسوله فليعمل بالسنة وليجتنب البدعة .
قال تعالى: { قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ } [آل عمران : ٣١]

قال الشيخ عبد المحسن العباد - حفظه الله - : " وهذا يدلنا على فضل صيام يوم الإثنين ، وأما صيام يوم الخميس فقد جاءت أحاديث أخرى تدل على صيام الإثنين والخميس ، وأن الأعمال تعرض فيهما على الله عز وجل ، وأنه صلى الله عليه وسلم يحب أن يعرض عمله وهو صائم ، وقد جاء ما يدل على صوم الإثنين والخميس أحاديث عديدة ، ولكن كونه يعلل بأنه يوم ولد فيه وأنزل عليه فيه القرآن هذا يدلنا على فضل صيام يوم الإثنين . ثم إن بعض الذين فتنوا بالموالد يستدلون على إقامة مولد النبي صلى الله عليه وسلم بهذا الحديث ، وفي الحقيقة هذا الحديث ليس فيه دليل لهم ؛ لأنهم في المولد لا يصومون ، وإنما يأكلون الأطعمة ويتنافسون فيها ، ويكثر من أنواع الطعام ، وهو خلاف ما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . قوله : [(ذاك يوم ولدت فيه)] معناه : من أراد أن يحصل منه احتفاء بذلك اليوم فإن الطريق إلى ذلك بأن يصومه ؛ لأنه يوم ولد فيه الرسول صلى الله عليه وسلم وأنزل عليه القرآن فيه ، أما أن يجتمع الناس فيه للتلاوة وقول المدائح وغيرها فهذا من الأمور المحدثه المبتدعة التي ما أنزل الله تعالى بها من

(١) ورواه النسائي وابن ماجه ، وصححه الألباني في صحيح وضعيف سنن النسائي - (٦ / ٤) (٢٣٦٠) وصحيح وضعيف سنن ابن ماجه - (٤ /

(٢٣٩) (١٧٣٩)

(٢) ورواه النسائي وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب - (١ / ٢٥١) (١٠٤١)

سلطان، ولم تأت فيها سنة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وما فعلها الصحابة الكرام ولا التابعون ولا أتباع التابعين، ومضت ثلاثمائة سنة كاملة لا يوجد شيء اسمه الاحتفال بالموالد، حتى جاء الرفضة العبيديون الذين حكموا مصر في القرن الرابع فأحدثوا بدعة الموالد، وقبل إحداث الرفضة العبيديين لها في القرن الرابع لم يكن لها وجود؛ ولهذا الكتب التي ألفت في تلك الحقبة وفي تلك الأزمان لا ذكر للموالد فيها أبداً لا مضافة إلى الرسول صلى الله عليه وسلم، ولا إلى خلفائه الراشدين، ولا الصحابة أجمعين، ولا التابعين ولا أتباع التابعين. فلو قال قائل: النصارى يحتفلون بميلاد عيسى، ونحن أولى أن نحتفل بميلاد محمد صلى الله عليه وسلم. فنقول له: نحن مأمورون بمخالفة أهل الكتاب، والرسول صلى الله عليه وسلم قال: (لنتبع سنن من كان قبلكم، حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه) فهذا تنفير لنا عن متابعتهم والاقتداء بهم، وإنما أمرنا بأن نقندي بما جاء عن رسول الله صلوات الله وسلامه وبركاته عليه، فالمولد بدعة في الدين ما أنزل الله تعالى بها من سلطان، والرسول صلى الله عليه وسلم بين للناس كل ما أمر بتبليغه، ولم يكن من ذلك هذه البدعة التي ابتدعها الرفضة العبيديون، وقلدهم من قلدهم فيها إلى هذا اليوم، ومنذ ذلك الوقت والناس بين فاعل لها ومنكر لها، ولكن قال عليه الصلاة والسلام: (خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم) وهؤلاء الخيار لا وجود لهذا العمل عندهم أبداً، بل هو من محدثات الأمور، والنبى صلى الله عليه وسلم محبته يجب أن تكون في قلب كل مسلم، وفوق محبة كل محبوب بعد الله سبحانه وتعالى، فقد جاء عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: (ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا الله) ومحبة الرسول صلى الله عليه وسلم تابعة لمحبة الله، ويجب أن تكون محبة الرسول صلى الله عليه وسلم في قلب كل مسلم أعظم من محبته لنفسه، ومحبته لأبيه وأمه وابنه وبنته، وزوجته وصديقه وأقاربه، والناس أجمعين، قال عليه الصلاة والسلام: " لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّىٰ أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ" (١) اهـ.

شبهة الرد عليها:

فإن قيل: إنكم تصومون يوم الإثنين لأنه مولد النبي صلى الله عليه وسلم ونحن نجتمع في هذا اليوم ونذكر الله فيه ونصلي على نبيه صلى الله عليه وسلم. فما الفرق بين هذا وهذا؟

الجواب: نحن نصومه لأن نبينا صلى الله عليه وسلم صامه وحث على صيامه، وأخبر أن الأعمال تعرض فيه على الله، وأن الله يغفر لمن شاء من خلقه في هذا اليوم، فالصيام مشروع فيه وسنة مؤكدة، وأما الاحتفال فيه فليس مشروعاً بل إنه بدعة محدثة وتشبه بالنصارى إذ إنهم يحتفلون بيوم ميلاد المسيح عليه السلام وقد أمرنا بمخالفتهم وعدم التشبه بهم، فلنا سلف في صيام يوم الإثنين، وأما أنتم فمن سلفكم في الاحتفال بهذا اليوم؟

فإن قلتم: نحتفل بمولده كما احتفل النصارى بيوم ميلاد عيسى عليه السلام، قلنا: إذن تشبهتم بهم، وإن قلتم نحتفل بيوم مولد نبينا محبة له وإحياء لذكره، قلنا: إذن ابتدعتم وخالفتم من سبقكم، فأنتم بين أمرين كلاهما محظور.

ونقول لهم: هل علم السلف الصالح الاحتفال بالمولد أم لم يعلموه؟ فإن قالوا: لم يعلموه، نقول لهم: شيء لم يعلمه السلف الصالح، فكيف علمتموه؟! وهذا تنقص منهم لخير القرون، فإن قالوا قد علموه، نقول لهم: هل احتفلوا أم لم يحتفلوا؟ سيقولون: لم يحتفلوا، نقول لهم: فلماذا ما يسعكم ماوسعهم؟ ثم نقول لهم: من خير أنتم أم السلف الصالح؟ فإن قالوا نحن خير منهم فقد ضلوا ضلالاً بعيداً، وإن قالوا هم خير منا، فنقول لهم اتبعوا منهجهم واقتفوا أثرهم فإنهم عن علم عملوا وببصر نافذ كفوا فمن خالفهم فقد ضل سواء السبيل، قال

(١) شرح سنن أبي داود : (١٣ / ٢٤٠)

تعالى: { وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا } [النساء : ١١٥]

فصوموا هذا اليوم كما صام نبيكم صلى الله عليه وسلم، ولا تزيدوا فيه مالم يات عن نبيكم، ومن لم يسعه ماوسع نبيه صلى الله عليه وسلم فلا وسع الله عليه.

والناظر إلى أصحاب الموالد يراهم في وادٍ، ومحبة النبي صلى الله عليه وسلم ومتابعته في وادٍ آخر، فلو كانوا صادقين لصاموا هذا اليوم الذي صامه نبيهم صلى الله عليه وسلم، لكنك تراهم يأكلون ويشربون ويتوسعون في المباحات ويمضغون القات، ويحلقون لحاهم ويرتكبون المخالفات وغير ذلك من البدع والمحدثات، وكأن هذا اليوم عيد، شرعوه من تلقاء أنفسهم تبعاً لأهوائهم، وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن الصيام في الأعياد، دل على أن هذا اليوم ليس عيداً ولا يجوز الاحتفال فيه، وتراهم يتناقضون إذ يقولون: إنهم يحتفلون في يوم مولده صلى الله عليه وسلم، وفي الواقع تراهم غالباً يحتفلون في غير يوم الإثنين موافقةً للحادي عشر من شهر ربيع الأول، ولم يثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم ولد في هذا اليوم وليس على ذلك دليل صحيح، دل ذلك على أنهم أصحاب أهواء وبدع، فإن خير الهدى هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم، فمن خالف هديه تخبط وضل وغوى .

اغتنام يوم الجمعة:

إن يوم الجمعة هو أفضل يوم طلعت عليه الشمس، وفيه خلق آدم، وفيه أدخل الجنة، وفيه أخرج منها، وفيه تقوم الساعة.
وهو أفضل أيام الأسبوع، وقد شرع الله فيه عبادات عظيمة، وحث على التقرب فيه بأنواع من القربات، كالذكر، والتبكير إلى الجمعة، والخطبة، والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، والتجمل والتطيب، واستماع الذكر، وتحري ساعة الإجابة، وبه يكفر الله ذنوب الأسبوع.
قال ابن كثير - رحمه الله - في تفسيره: "إنما سميت الجمعة جمعة؛ لأنها مشتقة من الجمع، فإن أهل الإسلام يجتمعون فيه في كل أسبوع مرةً بالجوامع الكبار وفيه كُمل جميع الخلائق، فإنه اليوم السادس من الستة التي خلق الله فيها السموات والأرض" اهـ.

فيوم الجمعة فضله الله على سائر أيام الأسبوع، وخصه بصلاة الجمعة وخطبة الجمعة، وأمر الناس بالاجتماع في هذا اليوم لطاعته ولذكره وشكره .
قال سبحانه: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ} [الجمعة: ٩].
ونهى الله تعالى عن البيع والشراء بعد النداء؛ تعظيماً لهذه الشعيرة العظيمة، فإن حصل البيع والشراء بعد النداء يوم الجمعة فإنه فاسد لهذه الآية.
قال المفسر ابن كثير: "وقوله: { وَذَرُوا الْبَيْعَ } أي: اسعوا إلى ذكر الله واتركوا البيع إذا نودي للصلاة: ولهذا اتفق العلماء رضي الله عنهم على تحريم البيع بعد النداء الثاني. واختلفوا: هل يصح إذا تعاطاه متعاط أم لا؟ على قولين، وظاهر الآية عدم الصحة كما هو مقرر في موضعه، والله أعلم." اهـ

- وهو خير الأيام، ففيه خلق آدم عليه السلام وفيه تقوم الساعة.

فقد روى الإمام مسلم عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: «خَيْرُ يَوْمٍ طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، فِيهِ خُلِقَ آدَمُ، وَفِيهِ أُدْخِلَ الْجَنَّةَ، وَفِيهِ أُخْرِجَ مِنْهَا، وَلَا تَقُومُ السَّاعَةُ إِلَّا فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ».

ويوم الجمعة عيد المسلمين لما روى الطبراني في الأوسط عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال: عُرِضَتِ الْجُمُعَةُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، جَاءَ بِهَا جِبْرِيلُ فِي كَفِّهِ كَالْمِرَاةِ الْبَيْضَاءِ فِي وَسْطِهَا كَالنَّكْتَةِ السَّوْدَاءِ، فَقَالَ: «مَا هَذِهِ يَا جِبْرِيلُ؟» قَالَ: هَذِهِ الْجُمُعَةُ يَعْرِضُهَا عَلَيْكَ رَبُّكَ لِتَكُونَ لَكَ عِيدًا وَلِقَوْمِكَ مِنْ بَعْدِكَ، وَلَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ تَكُونُ أَنْتَ الْأَوَّلُ، وَيَكُونُ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى مِنْ بَعْدِكَ، وَفِيهَا سَاعَةٌ لَا يَدْعُو أَحَدٌ رَبَّهُ بِخَيْرٍ هُوَ لَهُ قَسَمٌ إِلَّا أَعْطَاهُ، أَوْ يَتَعَوَّدُ مِنْ شَرٍّ إِلَّا دَفَعَ عَنْهُ مَا هُوَ أَعْظَمُ مِنْهُ، وَنَحْنُ نَدْعُوهُ فِي الْآخِرَةِ يَوْمَ الْمَزِيدِ" (١)

فيغتتم هذا اليوم بالنظافة، والاعتسال، والتجمل والتطيب، واستعمال السواك، ولبس الثياب الجميلة والنظيفة، والتبكير إلى المسجد، فإنه يترتب على ذلك أجور عظيمة.

فقد جاء في الصحيحين عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ اغْتَسَلَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ غُسْلَ الْجَنَابَةِ ثُمَّ رَاحَ، فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَدَنَهُ، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الثَّانِيَةِ، فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَقَرَةً، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الثَّالِثَةِ، فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ كَبْشًا أَقْرَنَ، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الرَّابِعَةِ، فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ

(١) قال الألباني: حسن صحيح. انظر صحيح الترغيب والترهيب - (١/ ١٦٩) (٦٩٤)

دَجَاجَةً، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الْخَامِسَةِ، فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَيْضَةً، فَإِذَا خَرَجَ الْإِمَامُ حَضَرَتِ الْمَلَائِكَةُ يَسْتَمِعُونَ الذِّكْرَ».

وروى ابن ماجه عن ابن عَبَّاس - رضي الله عنهما - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: "إِنَّ هَذَا يَوْمٌ عِيدٌ، جَعَلَهُ اللَّهُ لِلْمُسْلِمِينَ، فَمَنْ جَاءَ إِلَى الْجُمُعَةِ فَلْيَغْتَسِلْ، وَإِنْ كَانَ عِنْدَهُ طِيبٌ فَلْيَمَسْ مِنْهُ، وَعَلَيْكُمْ بِالسَّوَالِكِ"^(١).

وعَنْ أَوْسِ بْنِ أَوْسٍ - رضي الله عنه - عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "مَنْ غَسَلَ، وَاغْتَسَلَ، وَغَدَا وَابْتَكَّرَ وَدَنَا مِنَ الْإِمَامِ، وَلَمْ يَلُغْ كَانَ لَهُ بِكُلِّ خَطْوَةٍ عَمَلُ سَنَةٍ صِيَامُهَا، وَقِيَامُهَا"^(٢).

- ومن فضل هذا اليوم أن فيه ساعة لا يوافقها عبد مؤمن يدعو الله إلا استجاب الله له، كما في حديث أنس الذي تقدم ذكره قريبا، فتعنتم هذه الساعة بكثرة الدعاء، لعل الله يفرج هما، أو يكشف كربا، أو يقضي ديناً، أو يغفر ذنباً، بسبب دعوة يدعو بها العبد فيستجيب الله له، وأرجى ما تكون هذه الساعة: في آخر ساعة من يوم الجمعة على الصحيح من أقوال أهل العلم، كما سيأتي بيان ذلك في أوقات الإجابة إن شاء الله تعالى، فليكثر العبد من الدعاء في هذا اليوم لعله يوافقها.

- ومن فضائل هذا اليوم أنه كفارة للذنوب، وأن الأعمال فيه مباركة والأجور مضاعفة. فقد روى مسلم عن أَبِي هُرَيْرَةَ - رضي الله عنه - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ، وَالْجُمُعَةُ إِلَى الْجُمُعَةِ، وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ، مُكَفِّرَاتٌ مَا بَيْنَهُنَّ مَا لَمْ تُغْتَسَلِ الْكِبَائِرُ». أي ما لم ترتكب الكبائر.

وروى الإمام مسلم أيضاً عن أَبِي هُرَيْرَةَ - رضي الله عنه - عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «مَنْ اغْتَسَلَ؟ ثُمَّ أَتَى الْجُمُعَةَ، فَصَلَّى مَا قُدِّرَ لَهُ، ثُمَّ أَنْصَتَ حَتَّى يَفْرُغَ مِنْ خُطْبَتِهِ، ثُمَّ يُصَلِّيَ مَعَهُ، غُفِرَ لَهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجُمُعَةِ الْأُخْرَى، وَفُضِّلَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ».

- ومن خصائص هذا اليوم، الإكثار من الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فاتها معروضة عليه. فقد روى أبو داود عن أَوْسِ بْنِ أَوْسٍ - رضي الله عنه - قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - «إِنَّ مِنْ أَفْضَلِ أَيَّامِكُمْ يَوْمَ الْجُمُعَةِ فِيهِ خُلِقَ آدَمُ وَفِيهِ قُبُضٌ وَفِيهِ النَّفْخَةُ وَفِيهِ الصَّعْقَةُ فَأَكْثَرُوا عَلَى مِنَ الصَّلَاةِ فِيهِ فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ مَعْرُوضَةٌ عَلَيَّ». قَالَ قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَكَيْفَ تُعْرَضُ صَلَاتُنَا عَلَيْكَ وَقَدْ أَرِمْتَ يَقُولُونَ بَلَيْتَ فَقَالَ «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ حَرَّمَ عَلَى الْأَرْضِ أَجْسَادَ الْأَنْبِيَاءِ»^(٣) ولا يخفى فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم عموماً ويوم الجمعة خصوصاً وسيأتي ذكر ذلك بخصوصه في باب الأعمال المباركة إن شاء الله تعالى.

- ومن فضل يوم الجمعة أن في الجنة سوقاً يأتيه المؤمنون كل جمعة. فقد روى الإمام مسلم عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ - رضي الله عنه - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "إِنَّ فِي الْجَنَّةِ لَسُوقًا، يَأْتُونَهَا كُلَّ جُمُعَةٍ، فَتَهْبُ رِيحُ الشَّمَالِ فَتَحْنُو فِي وُجُوهِهِمْ وَثِيَابِهِمْ، فَيَرْدَادُونَ حُسْنًا وَجَمَالًا، فَيَرْجِعُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ وَقَدْ ارْزَادُوا حُسْنًا وَجَمَالًا، فَيَقُولُ لَهُمْ أَهْلُهُمْ: وَاللَّهِ لَقَدْ ارْزَدْتُمْ بَعْدَنَا حُسْنًا وَجَمَالًا، فَيَقُولُونَ: وَأَنْتُمْ، وَاللَّهِ لَقَدْ ارْزَدْتُمْ بَعْدَنَا حُسْنًا وَجَمَالًا".

(١) حسن، حسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب - (١ / ١٧٢) (٧٠٧)

(٢) صححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب - (١ / ١٦٨) (٦٩٠) وقال: رواه أحمد وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه وابن خزيمة وابن حبان

والحاكم.

(٣) صحيح: ورواه الإمام أحمد والنسائي وابن ماجه وابن حبان والحاكم والبيهقي وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٤ / ٣٢) برقم (١٥٢٧)

قال النووي : "المراد بالسوق مجمع لهم يجتمعون كما يجتمع الناس في الدنيا في السوق ، ومعنى (يأتونها كل جمعة) أي : في مقدار كل جمعة أي أسبوع ، وليس هناك حقيقة أسبوع لفقد الشمس والليل والنهار" اهـ^(١)

- ومن الأخطاء ، أفراد يوم الجمعة بصيام ، أو تخصيص ليلة الجمعة بقيام.

فقد روى الإمام مسلم عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم- قال « لا تختصوا ليلة الجمعة بقيام من بين الليالي ولا تخصوا يوم الجمعة بصيام من بين الأيام إلا أن يكون في صوم يصوموه أهدكم ».

ومن الأخطاء عند كثير من العامة تخصيص يوم الجمعة بزيارة المقابر ، لا اعتقاد أن للزيارة فضلا يوم الجمعة ، وهذا الفعل محدث ليس عليه دليل ، وإنما يشرع زيارة المقابر في أي يوم تيسر من الأيام بدون تخصيص ليوم من الأيام.

فقد روى الإمام البخاري ومسلم عن عائشة - رضي الله عنها- قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ، فَهُوَ رَدٌّ» وفي رواية لمسلم : «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ»

(١) شرح مسلم (٩ / ٢١٥)

اغتنام يوم عاشوراء:

يوم عاشوراء هو اليوم العاشر من شهر الله المحرم، وهو اليوم الذي نجى الله فيه موسى عليه السلام وقومه، وأغرق فرعون وقومه، وكانت بنو إسرائيل تصومه لهذه العلة، وكانت قريش تصومه كذلك، فلما هاجر النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة وجد اليهود يصومونه، فسألهم عن سبب صيامهم ليوم عاشوراء فأخبروه، فصامه النبي صلى الله عليه وسلم وأمر بصيامه، وحث على صيام يوم قبله مخالفة لليهود، وأخبر أنه يكفر ذنوب سنة كاملة.

وقد كان صيام يوم عاشورا فرضا واجبا، وذلك قبل أن يشرع صيام رمضان، فلما فرض الله صيام شهر رمضان، نسخ صيام يوم عاشوراء من الوجوب إلى الاستحباب، فصار صيامه مستحبًا استحبابًا شديدًا.

فيوم عاشوراء يوم عظيم أنجى الله فيه موسى عليه السلام وقومه وأهلك فرعون وقومه في البحر.

ففي صحيح مسلم عن ابن عباس - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدِمَ الْمَدِينَةَ فَوَجَدَ الْيَهُودَ صِيَامًا يَوْمَ عَاشُورَاءَ، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا هَذَا الْيَوْمُ الَّذِي تَصُومُونَهُ؟» فَقَالُوا: هَذَا يَوْمٌ عَظِيمٌ، أَنْجَى اللَّهُ فِيهِ مُوسَى وَقَوْمَهُ، وَغَرَّقَ فِرْعَوْنَ وَقَوْمَهُ، فَصَامَهُ مُوسَى شُكْرًا، فَنَحْنُ نَصُومُهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَنَحْنُ أَحَقُّ وَأَوْلَى بِمُوسَى مِنْكُمْ فَصَامَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَمَرَ بِصِيَامِهِ».

فصامه النبي صلى الله عليه وسلم، وأمر بصيامه، وأمر بمخالفة اليهود بصيام يوم قبله؛ لأن اليهود كفار لا ينفعهم صيامهم، ولا يقبله الله منهم حتى يقرؤا بالإسلام، وموسى عليه السلام بريء منهم، فكان المسلمون أولى بموسى عليه السلام من اليهود من هذه الحيثية، قال تعالى: {وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ} الآية [التوبة: ٧١]

الأدلة على فرضية صيام يوم عاشوراء في أول الأمر:

روى الإمام مسلم عن سلمة بن الأكوع - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّهُ قَالَ: بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلًا مِنْ أَسْلَمَ يَوْمَ عَاشُورَاءَ، فَأَمَرَهُ أَنْ يُؤَدِّنَ فِي النَّاسِ: «مَنْ كَانَ لَمْ يَصُمْ، فَلْيَصُمْ وَمَنْ كَانَ أَكَلَ، فَلْيَتِمَّ صِيَامَهُ إِلَى اللَّيْلِ».

وروى مسلم أيضا عن عائشة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قَالَتْ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَأْمُرُ بِصِيَامِهِ قَبْلَ أَنْ يُفَرِّضَ رَمَضَانَ، فَلَمَّا فَرَضَ رَمَضَانَ، كَانَ مَنْ شَاءَ صَامَ يَوْمَ عَاشُورَاءَ وَمَنْ شَاءَ أَفْطَرَ».

وفي الصحيحين عن عائشة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قَالَتْ: «كَانَ يَوْمَ عَاشُورَاءَ يَوْمًا تَصُومُهُ قُرَيْشٌ، فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَكَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَصُومُهُ، فَلَمَّا قَدِمَ الْمَدِينَةَ صَامَهُ، وَأَمَرَ بِصِيَامِهِ، فَلَمَّا نَزَلَ رَمَضَانُ كَانَ مَنْ شَاءَ صَامَهُ، وَمَنْ شَاءَ لَا يَصُومُهُ».

الدليل على نسخ صيام يوم عاشوراء من الوجوب إلى الاستحباب مع ما تقدم:

روى البخاري ومسلم عن معاوية بن أبي سفيان - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ - لِهَذَا الْيَوْمِ - «هَذَا يَوْمَ عَاشُورَاءَ، وَلَمْ يَكُنْبِ اللَّهُ عَلَيْكُمْ صِيَامَهُ، وَأَنَا صَائِمٌ، فَمَنْ أَحَبَّ مِنْكُمْ أَنْ يَصُومَ فَلْيَصُمْ، وَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يَفْطِرَ فَلْيَفْطِرْ».

استحباب صيام يوم قبله مخالفة لليهود:

فقد روى الإمام مسلم - رحمه الله - عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَنْ يُقْبِلَ إِلَى قَابِلٍ لِأَصُومَنَّ التَّاسِعَ» وَفِي رِوَايَةِ أَبِي بَكْرٍ: قَالَ: يَغْنِي يَوْمَ عَاشُورَاءَ. إِلَّا أَنَّهُ مَاتَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَ الْعَامَ الْمُقْبِلَ، فَصَارَ صِيَامُ يَوْمِ قَبْلِهِ سَنَةً. وَرَوَى التِّرْمِذِيُّ - رحمه الله - عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - مُوقُوفًا: أَنَّهُ قَالَ: "صُومُوا التَّاسِعَ وَالْعَاشِرَ وَخَالِفُوا الْيَهُودَ"^(١).
قال الحافظ - رحمه الله: "ثُمَّ مَا هَمَّ بِهِ مِنْ صَوْمِ التَّاسِعِ يَحْتَمِلُ مَعْنَاهُ أَنَّهُ لَا يَقْتَصِرُ عَلَيْهِ بَلْ يُضِيفُهُ إِلَى الْيَوْمِ الْعَاشِرِ إِمَّا احْتِيَاظًا لَهُ وَإِمَّا مُخَالَفَةً لِلْيَهُودِ وَالنَّصَارَى وَهُوَ الْأَرْجَحُ. اهـ"^(٢)

فإن قال قائل: ها أنتم تتشبهون باليهود بصيام يوم عاشوراء!

أجيب عنه: بأنه ليس في ذلك تشبه؛ لأن الذي شرع صيامه هو رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم إنه حث على صيام يوم قبله مخالفة لليهود، فيستحب صيامه وصيام يوم قبله، وكل ما فعله النبي صلى الله عليه وسلم فهو سنة، سواء فعله اليهود والنصارى أم لم يفعله، ما دام أن النبي صلى الله عليه وسلم هو الذي سنه وشرعه.

ويجوز إفراد يوم عاشوراء وحده لكنه خلاف الأفضل وبعضهم كره ذلك.
قال الحافظ - رحمه الله - "وَعَلَى هَذَا فَصِيَامُ عَاشُورَاءَ عَلَى ثَلَاثِ مَرَاتِبٍ أَدْنَاهَا أَنْ يُصَامَ وَحْدَهُ وَفَوْقَهُ أَنْ يُصَامَ التَّاسِعُ مَعَهُ وَفَوْقَهُ أَنْ يُصَامَ التَّاسِعُ وَالْحَادِي عَشَرَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ. اهـ"^(٣)
والأفضل هو صيام يوم عاشوراء، وصيام يوم قبله، كما جاء مبيناً في السنة، فمن فاتته اليوم التاسع فلا بأس أن يصوم العاشر والحادي عشر والله أعلم.

وقد كان نبينا صلى الله عليه وسلم يتحرى صيام يوم عاشوراء ،وأخبر أنه يكفر الله به ذنوب سنة من الصغائر:

فقد روى الإمام مسلم عَنْ أَبِي قَتَادَةَ الْأَنْصَارِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سُئِلَ عَنْ صَوْمِ يَوْمِ عَاشُورَاءَ؟ فَقَالَ: «يُكَفِّرُ السَّنَةَ الْمَاضِيَةَ» وَفِي رِوَايَةٍ: "وَصِيَامُ يَوْمِ عَاشُورَاءَ، أَحْتَسِبُ عَلَى اللَّهِ أَنْ يُكَفِّرَ السَّنَةَ الَّتِي قَبْلَهُ".
قال بعض أهل العلم: والذنوب التي يكفرها صيام يوم عرفة وصيام يوم عاشوراء: هي الصغائر وأما الكبائر فتحتاج إلى توبة، فإن لم يصادف صغيرة يرجى أن يكفر الكبائر.

قال النووي - رحمه الله - : "قَوْلُهُ : (مَنْ تَوَضَّأَ هَكَذَا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَكَانَتْ صَلَاتُهُ وَمَشْيُهُ إِلَى الْمَسْجِدِ نَافِلَةً) وَفِي الْحَدِيثِ الْآخَرِ : (الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ كَفَّارَةٌ لِمَا بَيْنَهُنَّ) . وَفِي الْحَدِيثِ الْآخَرِ : (الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ وَالْجُمُعَةُ إِلَى الْجُمُعَةِ وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ . مُكَفِّرَاتٌ لِمَا بَيْنَهُنَّ إِذَا أُجْتَنِبَتِ الْكَبَائِرُ) : فَهَذِهِ الْأَلْفَاظُ كُلُّهَا ذَكَرَهَا مُسْلِمٌ فِي هَذَا الْبَابِ ، وَقَدْ يُقَالُ : إِذَا كَفَرَ الْوُضُوءُ فَمَاذَا تُكْفِّرُ الصَّلَاةُ ؟ وَإِذَا كَفَرَتِ الصَّلَاةُ فَمَاذَا تُكْفِّرُ الْجُمُعَاتُ وَرَمَضَانُ ، وَكَذَلِكَ صَوْمُ يَوْمِ عَرَفَةَ كَفَّارَةٌ سَنَتَيْنِ وَيَوْمَ عَاشُورَاءَ كَفَّارَةٌ سَنَةٍ ؟ وَإِذَا وَافَقَ تَأْمِينُهُ تَأْمِينَ الْمَلَائِكَةِ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ ؟ وَالْجَوَابُ مَا أَجَابَهُ الْعُلَمَاءُ أَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْ هَذِهِ الْمَذْكُورَاتِ صَالِحٌ لِلتَّكْفِيرِ فَإِنْ وَجَدَ مَا يُكَفِّرُهُ مِنَ الصَّغَائِرِ كَفَّرَهُ وَإِنْ لَمْ يُصَادِفْ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً كُتِبَتْ بِهِ حَسَنَاتٌ وَرُفِعَتْ بِهِ دَرَجَاتٌ ، وَإِنْ صَادَفَتْ كَبِيرَةً أَوْ كَبَائِرَ وَلَمْ يُصَادِفْ صَغِيرَةً رَجَوْنَا أَنْ يُخَفَّفَ مِنَ الْكَبَائِرِ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ " اهـ"^(٤).

(١) صححه الألباني في صحيح وضعيف سنن الترمذي - (٢٠٠ / ٢) (٧٥٥)

(٢) - فتح الباري (٤ / ٢٤٥)

(٣) - فتح الباري (٤ / ٢٤٦)

(٤) شرح النووي على مسلم (١ / ٣٧٨)

وقال - رحمه الله - : "قوله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ)
الْمَعْرُوفُ عِنْدَ الْفُقَهَاءِ أَنَّ هَذَا مُخْتَصٌّ بِغُفْرَانِ الصَّغَائِرِ دُونَ الْكِبَائِرِ قَالَ بَعْضُهُمْ : وَيَجُوزُ أَنْ يُخَفَّفَ
مِنَ الْكِبَائِرِ مَا لَمْ يُصَادِفْ صَغِيرَةً" (١) .

فينبغي على المسلم أن يحرص على صيام هذا اليوم العظيم رجاء فضله وثوابه، فقد كان النبي صلى
الله عليه وسلم يصومه يتوخي فضله، لما روى الطبراني عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أَنَّ النَّبِيَّ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَمْ يَكُنْ يَتَوَخَّى فَضْلَ يَوْمٍ عَلَى يَوْمٍ بَعْدَ رَمَضَانَ إِلَّا يَوْمَ عَاشُورَاءَ» (٢) . أي كان
يتحرى صيام هذا اليوم رجاء فضله وثوابه.

وروى الإمام مسلم عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أَنَّهُ سُئِلَ عَنْ صِيَامِ يَوْمِ عَاشُورَاءَ فَقَالَ: «مَا
عَلِمْتُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَامَ يَوْمًا يَطْلُبُ فَضْلَهُ عَلَى الْأَيَّامِ إِلَّا هَذَا الْيَوْمَ وَلَا شَهْرًا إِلَّا
هَذَا الشَّهْرَ». يَعْنِي رَمَضَانَ.

فهذا الذي ثبت في فضل عاشوراء، أما ما يحدثه بعض الناس في هذا اليوم من البدع والمحدثات
والاحتفالات والنياحة ، وضرب الخدود، وشق الجيوب، فما أنزل الله بذلك من سلطان، فإن خير الهدي
هدي نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل ضلالة في النار.

(١) شرح النووي على مسلم (٣ / ١٠١)

(٢) - حسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب - (١ / ٢٤٦) (١٠٢٠)

اغتنام ليالي العشر الأواخر من رمضان.

فضلت العشر الأواخر من رمضان على غيرها من الليالي؛ لأنها خصت بلبلة القدر التي هي خير من ألف شهر، ولأنها خاتمة شهر رمضان المبارك، وهي أفضل ليالي السنة على الإطلاق، فقد كان نبينا صلى الله عليه وسلم يجتهد فيها اجتهدا لا يجتهد في غيرها بمثلها؛ التماسا لهذه الليلة المباركة، وكان يعتكف في مسجده في هذه الليالي، يجتهد في العبادات من صلاة وذكر وقراءة للقرآن ونحو ذلك، فقد اعتكف النبي صلى الله عليه وسلم، ولازم الاعتكاف حتى توفاه الله، واعتكف أزواجه من بعده.

فقد كان صلى الله عليه وسلم يجتهد فيها أكثر من غيرها ويجتهد في رمضان مالا يجتهد في غيره. فقد روى الإمام مسلم عن عائشة رضي الله عنها: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَجْتَهِدُ فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ، مَا لَا يَجْتَهِدُ فِي غَيْرِهِ». فكان يحيي الليل بالعبادة، ويوقظ أهله لصلاة الليل، ويعتزل النساء، ويشمر في العبادة أكثر من عادته.

فقد روى البخاري ومسلم عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: «كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا دَخَلَ الْعَشْرُ شَدَّ مِزْرَهُ، وَاحْيَا لَيْلَهُ، وَأَيَّظَ أَهْلَهُ». فهذه هي عبادة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولنا به أسوة حسنة، قال تعالى في كتابه الكريم: {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا} [الأحزاب: ٢١].

اغتنام الاعتكاف في العشر الأواخر من رمضان:

روى البخاري ومسلم عن عائشة - رضي الله عنها - زوج النبي صلى الله عليه وسلم - : «أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كَانَ يَعْتَكِفُ الْعَشْرَ الْأَوَاخِرَ مِنْ رَمَضَانَ حَتَّى تَوَفَّاهُ اللَّهُ، ثُمَّ اعْتَكَفَ أَزْوَاجُهُ مِنْ بَعْدِهِ». وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يعتكف العشر الأوسط من رمضان، فأخبر أن ليلة القدر في العشر الأواخر، فاعتكف في العشر الأواخر، وحث أصحابه على الاعتكاف فيها، فكيف يفرط المسلم بعبادة لازم عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى مات؟!!

قال الحافظ ابن حجر: "وقد روى ابن المنذر عن ابن شهاب أنه كان يقول: عجباً للمسلمين تركوا الاعتكاف وإن النبي صلى الله عليه وسلم لم يتركه منذ دخل المدينة حتى قبضه الله". اهـ^(١). بل إنه اعتكف في العام الذي توفي فيه عشرين يوما، ففي صحيح البخاري عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: "كان يعرض على النبي صلى الله عليه وسلم القرآن كل عام مرة، فعرض عليه مرتين في العام الذي قبض فيه، وكان يعتكف كل عام عشرا، فاعتكف عشرين في العام الذي قبض فيه".

- ويستحب للمعتكف أن يضرب له خيمة في المسجد؛ ليحقق ما اعتكف لأجله، فيختلي بربه، ولا ينشغل بغيره، فقد روى البخاري عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَعْتَكِفُ فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ، فَكُنْتُ أَضْرِبُ لَهُ خِبَاءً فَيُصَلِّي الصُّبْحَ ثُمَّ يَدْخُلُهُ، فَاسْتَأْذَنْتُ حَفْصَةَ عَائِشَةَ أَنْ تَضْرِبَ خِبَاءً، فَأَذِنَتْ لَهَا، فَضَرَبْتُ خِبَاءً، فَلَمَّا رَأَتْهُ زَيْنَبُ بِنْتُ جَحْشٍ ضَرَبَتْ خِبَاءً آخَرَ، فَلَمَّا أَصْبَحَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأَى الْأَخْبِيَةَ، فَقَالَ: «مَا هَذَا؟» فَأُخْبِرَ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْبِرُّ تُرَدُّنْ؟» فَتَرَكَ الْإِعْتِكَافَ ذَلِكَ الشَّهْرَ، ثُمَّ اعْتَكَفَ عَشْرًا مِنْ شَوَّالٍ.

وفي هذا الحديث جواز الاعتكاف في غير رمضان، لكن لا يجزئ إلا في المسجد، ويستحب قضاء النوافل الفائتة، فإن النبي صلى الله عليه وسلم قضى الاعتكاف في شوال، وإنما تركه ذلك العام؛ لأنه

رأى أن الاعتكاف ربما خرج عن مقصوده في ذلك العام، ولأنه صلى الله عليه وسلم يريد أن يختلي بربه، فلما رأى نساءه عنده في المسجد صار كأنه في بيته، فربما شغل بأهله، فيتنافى ذلك مع مقصود الاعتكاف، ولذلك خرج من المعتكف، كما ذكر نحو هذا بعض أهل العلم والله أعلم.

فإن الغرض من الاعتكاف، هو أن يختلي المعتكف بربه، فيناجيه ويذكره ويستغفره، ويعتزل الناس، ويقرأ القرآن، ويتجنب الإكثار من المحادثات والجدالات، والإكثار من الاتصالات إلا لحاجة، بل ينبغي أن يغلق جواله ويتصل بالله فلا يفتحه إلا في أوقات محدودة حسب الحاجة.

فإن من المخالفات في الاعتكاف، كثرة الاتصالات والمحادثات، والجدال والخصومات، وإزعاج المعتكفين والنائمين، والإكثار من الدخول والخروج لغير ما حاجة، بل إن بعضهم يرتكبون المخالفات في المعتكفات، فترى بعضهم يبيعون ويشتررون، ويأكلون القات، وربما شاهدوا المسلسلات في جوالاتهم، وهذا لا يجوز، وينافي الاعتكاف ومقصوده، فإن الاعتكاف هو لزوم المسجد في طاعة الله ليتفرغ الإنسان للعبادة من ذكر واستغفار وقراءة القرآن وغير ذلك.

وقد ابتلي الناس في هذه العشر بموسم التجارات وتجهيزات العيد، فانشغل كثير من الناس - إلا من رحم الله - بموسم الدنيا وأهملوا موسم الآخرة وهو الاجتهاد في هذه العشر بالاعتكاف وقراءة القرآن وتحري ليلة القدر، فوفق الله لهذا الشأن من أراد من خلقه برحمته، وصرف من أراد بعدله، والموفق من جعل هذه الدنيا ممرا لا مقرا، وسفرا لا حضرا، وأخذ منها ما يكفيه، وترك ما يلهيه ويطغيه.

اغتنام ليلة القدر.

إن ليلة القدر هي أفضل ليالي السنة على الإطلاق بلا خلاف، وهي الليلة التي نزل فيها أشرف الكتب وهو القرآن الكريم، فمن قامها إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه، والعبادة فيها خير من عبادة ألف شهر، أي خير من بضع وثمانين سنة، جعلها الله رحمة لعباده؛ ليستعجب المقصر، ويتوب المذنب، ويزود المؤمن، وقد تحراها نبينا صلى الله عليه وسلم واجتهد في لياليها، واعتكف العشر الاواخر يلتمسها، فحري بكل مسلم أن يقومها ويجتهد في لياليها، فإنه من وفق لها فقد حاز الخير كله، ومن حرماها فقد حرم خيراً كثيراً.

يقول الله سبحانه وتعالى في شأنها: {إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ * لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ * تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِّنْ كُلِّ أَمْرٍ * سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ} [القدر: ١-٥]

بين الله سبحانه وتعالى في هذه السورة شرف ليلة القدر، وأنزل في شأنها سورة تتلى إلى قيام الساعة. وذكر من فضلها أنه أنزل القرآن الكريم فيها فقال تعالى: {إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ} (القدر: ١) أي: أنزل القرآن الكريم فيها، وقال تعالى: {إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ} [الدخان: ٣]. فأشرف الكتب الذي هو القرآن، نزل في أشرف الليالي التي هي ليلة القدر، على أشرف الخلق وهو محمد صلى الله عليه وسلم، وبواسطة أشرف الملائكة وهو جبريل عليه السلام.

- ومن فضلها أن الملائكة بما فيهم جبريل عليه السلام ينزلون في تلك الليلة المباركة إلى الأرض كعدد الحصى.

فقد روى الإمام أحمد عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ: " لَيْلَةُ الْقَدْرِ لَيْلَةٌ سَابِعَةٌ - أَوْ تَاسِعَةٌ - وَعَشْرِينَ، إِنَّ الْمَلَائِكَةَ تَلْكُ اللَّيْلَةَ فِي الْأَرْضِ أَكْثَرَ مِنْ عَدَدِ الْحَصَى " (١)

- ومن فضلها أن مقادير السنة تقدر فيها، قال تعالى: {فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ * أَمْراً مِّنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ} [الدخان: ٤-٥]

قال المفسر ابن كثير - رحمه الله -: " أَيْ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ يُفْصَلُ مِنَ اللَّوْحِ الْمُحْفَظِ إِلَى الْكِتَابَةِ أَمْرُ السَّنَةِ، وَمَا يَكُونُ فِيهَا مِنَ الْأَجَالِ وَالْأَرْزَاقِ، وَمَا يَكُونُ فِيهَا إِلَى آخِرِهَا " اهـ.

فهي ليلة مباركة، عظمها الله وعظم أمرها، وكرر ذكرها بصيغة السؤال فقال: {وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ} وهذا على سبيل التعظيم والتشويق لخبرها، فإن قيامها والعمل الصالح فيها من صلاة وذكر واستغفار وقراءة للقرآن خير من عبادة ألف شهر.

فقد روى ابن ماجه عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ - رضي الله عنه - قَالَ دَخَلَ رَمَضَانُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ هَذَا الشَّهْرَ قَدْ حَضَرَكُمْ، وَفِيهِ لَيْلَةٌ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ، مَنْ حُرِمَهَا فَقَدْ حُرِمَ الْخَيْرَ كُلَّهُ، وَلَا يُحْرَمُ خَيْرَهَا إِلَّا مَحْرُومٌ» (٢).

(١) - حسن: حسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (٥ / ٢٤٠) برقم (٢٢٠٥) وهو عند الطيالسي وابن خزيمة.

(٢) ورواه البيهقي وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب - (١ / ٢٤١) (١٠٠٠)

ومعنى قوله تعالى: { تَنْزَلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا } :

قال المفسر ابن كثير- رحمه الله :- "أَيُّ يَكْتُرُ تَنْزَلُ الْمَلَائِكَةُ فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ لِكثْرَةِ بَرَكَتِهَا، وَالْمَلَائِكَةُ يَنْزِلُونَ مَعَ تَنْزُلِ الْبَرَكَةِ وَالرَّحْمَةِ، كَمَا يَنْزِلُونَ عِنْدَ تِلَاوَةِ الْقُرْآنِ وَيُحِيطُونَ بِحُلُقِ الذِّكْرِ، وَيَضَعُونَ أَجْنَحَتَهُمْ لِطَالِبِ الْعِلْمِ بِصِدْقِ تَعْظِيمِ لَهُ. اهـ .
"والروح" : هو جبريل عليه السلام.

وقوله تعالى: " بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ " :

: قل المفسر البغوي - رحمه الله :- " أي بكل أمر من الخير والبركة كقوله تعالى: { يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ } [الرعد: ١١] .

وقوله تعالى: "سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ" :

قال البغوي: " قَالَ عَطَاءٌ: يُرِيدُ سَلَامٌ اللَّهُ عَلَى أَوْلِيَائِهِ وَأَهْلِ طَاعَتِهِ.
وقال الشَّعْبِيُّ: هُوَ تَسْلِيمُ الْمَلَائِكَةِ لَيْلَةَ الْقَدْرِ عَلَى أَهْلِ الْمَسَاجِدِ مِنْ حِينَ تَغِيبُ الشَّمْسُ إِلَى أَنْ يَطْلُعَ الْفَجْرُ.
وقال الكلبي: الملائكة ينزلون فيها كُلَّمَا لَفُوا مُؤَمَّنًا أَوْ مُؤَمَّنَةً سَلَّمُوا عَلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ حَتَّى يَطْلُعَ الْفَجْرُ.
وَقِيلَ: ثُمَّ الْكَلَامُ عِنْدَ قَوْلِهِ: "بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ" ثُمَّ ابْتَدَأَ فَقَالَ: سَلَامٌ هِيَ، أَيُّ لَيْلَةَ الْقَدْرِ سَلَامٌ وَخَيْرٌ كُلُّهَا، لَيْسَ فِيهَا شَرٌّ.
قَالَ الضَّحَّاكُ: لَا يَقْدَرُ اللَّهُ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ وَلَا يَقْضِي إِلَّا السَّلَامَةَ.
وَقَالَ مُجَاهِدٌ: يَعْنِي أَنَّ لَيْلَةَ الْقَدْرِ سَلَامَةٌ لَا يَسْتَطِيعُ الشَّيْطَانُ أَنْ يَعْمَلَ فِيهَا سُوءًا، وَلَا أَنْ يُحْدِثَ فِيهَا أَدَى.
حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ، أَيُّ إِلَى مَطْلَعِ الْفَجْرِ". اهـ .

وليلة القدر: هي ليلة كاملة من غروب الشمس إلى طلوع الفجر الصادق، وليست كما يفهم بعض العامة أنها ساعة أو بعض ساعة، أو كلمح الطرف، فإن الله تعالى قال : {حتى مطلع الفجر} وهذه نعمة عظيمة أن يبيت المسلم يتعبد لله ليلة كاملة فيظفر بتلك الأجور العظيمة.

سبب تسمية ليلة القدر بهذا الاسم:

ذكر أهل العلم تعليقات لسبب تسميتها بليلة القدر:

منها: أنها تقدر فيها الأمور والأحكام .

ومنها : أنها سميت ليلة القدر؛ لما يقوم به العباد من الطاعات والقربات.

ومنها: أنها سميت ليلة القدر لعظم قدرها وفضلها وشرفها، وغير ذلك .

ولا مانع من اجتماع ذلك كله.

ليالي القدر:

أما تحديد ليلة القدر: فأصح الأقوال أنها في العشر الأواخر، وأرجى ما تكون في الليالي الوترية، وأرجى من ذلك في السبع الأواخر، وأرجى من ذلك أن تكون في ليلة سبع وعشرين، وهي متنقلة في العشر، فقد جاءت في عهد النبي صلى الله عليه وسلم في ليلة إحدى وعشرين، وجاءت في ليلة ثلاث وعشرين، وجاءت في ليلة سبع وعشرين.

ولا مانع من أنها قد تأتي في ليالي الشفع منها، كليلة أربع وعشرين ونحوها، فينبغي التماسها في العشر الأواخر كلها، والاجتهاد في جميع لياليها الشفع والوتر، وإن اعتكف العبد فهو أحسن؛ لأن المعتكف لا يحرم خيرها إن اجتهد في العبادة، ولم يفرط أو ينم في معتكفه في الليلة التي وافقت ليلة القدر.

وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يتحراها، ويعتكف في العشر الأواخر من رمضان يلتمس ليلة القدر، وكان يحث أصحابه على تحريها و التماسها، وكان يجتهد في العشر الأواخر ما لا يجتهد في غيرها .

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يخبر بها ويعينها، فخرج ليخبر أصحابه بها فتشاجر رجلاً من أصحابه فأنسيها، فرفع تعيينها، ولعل في ذلك خيراً للناس، وذلك بأن يجتهدوا في جميع ليالي العشر.

أما قول من قال: إن ليلة القدر قد رفعت مطلقاً، فهذا غير صحيح، وتأباه الأحاديث الصحيحة الصريحة في الإخبار ببقائها وشمولها لجميع هذه الأمة، وإنما رفع تحديدها في ليلة معينة، فهي باقية إلى أن تقوم الساعة، لم ترفع كما يظن البعض.

أما ما رواه البخاري من حديث عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ - رضي الله عنه - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَرَجَ يُخْبِرُ بِلَيْلَةِ الْقَدْرِ، فَتَلَاخَى رَجُلَانِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فَقَالَ: «إِنِّي خَرَجْتُ لِأَخْبِرْكُمْ بِلَيْلَةِ الْقَدْرِ، وَإِنَّهُ تَلَاخَى فُلَانٌ وَفُلَانٌ، فَرَفَعْتُ، وَعَسَى أَنْ يَكُونَ خَيْرًا لَكُمْ، التَّمَسُّوْهَا فِي السَّبْعِ وَالنَّسْعِ وَالْخَمْسِ». فمعنى قوله: "فرفعت": أي رفع تعيينها، وإلا فهي باقية، ولهذا قال بعدها: "التَّمَسُّوْهَا فِي السَّبْعِ وَالنَّسْعِ وَالْخَمْسِ".

ومعنى تلاخى: أي: تشاجر واختصم.

ففيه خطر الخلاف والشحناء، فإنه يعود بالضرر على المجتمع أجمع، فبسبب خلاف الرجلين رفعت، وصارت غير معروفة في ليلة معينة.

- وفي رواية عند الطيالسي عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم: "فاختلجت مني". أي: من قلبه ونسي تعيينها بالاشتغال بالمتخاصمين.

قال عياض: "دل به على ذم المخاصمة، وأنها سبب للعقوبة، لكن ليست المخاصمة في طلب الحق مذمومة مطلقاً، بل لوقوعها في المسجد، وهو محل الذكر لا اللغو". اهـ^(١)

ولا يشترط على من قامها أن يعلمها بالتحديد، فإن من وفقه الله لقيامها فإنه يظفر بفضلها، سواء علمها أم لم يعلمها، فإنه يحصل على أجرها على الصحيح.

اعتبار الرؤى في معرفة ليلة القدر:

- قد يرى المسلمون رؤيا تدل على ليلة القدر، والرؤيا الصالحة من المبشرات، وهي جزء من الوحي، ففي الصحيحين عن أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "رُؤْيَا الْمُؤْمِنِ جُزْءٌ مِنْ سِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا مِنَ النَّبُوءَةِ".

وقد رأى الصحابة - رضوان الله عليهم - ليلة القدر في العشر الأواخر والسبع الأواخر، فأقرهم النبي صلى الله عليه وسلم على ذلك.

فقد روى البخاري ومسلم عن ابْنِ عُمرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَرَى رُؤْيَاكُمْ قَدْ تَوَاطَّاتُ فِي الْعَشْرِ الْوَآخِرِ، فَمَنْ كَانَ مُتَحَرِّيًا فَلْيَتَحَرَّهَا مِنَ الْعَشْرِ الْوَآخِرِ».

وفي صحيح مسلم عن ابْنِ عُمرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - أَنَّ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُرُوا لَيْلَةَ الْقَدْرِ فِي الْمَنَامِ، فِي السَّبْعِ الْوَآخِرِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَرَى رُؤْيَاكُمْ قَدْ تَوَاطَّاتُ فِي السَّبْعِ الْوَآخِرِ، فَمَنْ كَانَ مُتَحَرِّيًا، فَلْيَتَحَرَّهَا فِي السَّبْعِ الْوَآخِرِ».

(١) انظر فيض القدير شرح الجامع الصغير - (٣ / ٥٨٣)

الأدلة في أن ليلة القدر في العشر أو السبع الأواخر من رمضان:

فأما كونها في العشر الأواخر، فقد روى البخاري ومسلم عن عائشة - رضي الله عنها: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «تَحَرَّوْا لَيْلَةَ الْقَدْرِ فِي الْوَتْرِ، مِنَ الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ». وفي صحيح مسلم عن ابن عمر - رضي الله عنهما - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «تَحَيُّوْا لَيْلَةَ الْقَدْرِ فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ» أَوْ قَالَ «فِي السَّبْعِ الْأَوَاخِرِ».

وقد تكون ليلة القدر في ليلة سبع وعشرين وهي أرجى الليالي:

فقد جاءت في ليلة سبع وعشرين، لما روى الإمام مسلم عن أَبِي بِنِ كَعْبٍ - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ أَبِي فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ: «وَاللَّهِ إِنِّي لَأَعْلَمُهَا، وَأَكْثَرُ عِلْمِي هِيَ اللَّيْلَةُ الَّتِي أَمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقِيَامِهَا هِيَ لَيْلَةُ سَبْعٍ وَعِشْرِينَ».

وقد تكون في ليلة ثلاث وعشرين:

فقد جاءت في ليلة ثلاث وعشرين، لما روى مسلم عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَنَسٍ، رضي الله عنه ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «أُرَيْتُ لَيْلَةَ الْقَدْرِ، ثُمَّ أُنْسِيْتُهَا، وَأَرَانِي صُبْحَهَا أَسْجُدُ فِي مَاءٍ وَطِينٍ» قَالَ: فَمَطَرْنَا لَيْلَةَ ثَلَاثٍ وَعِشْرِينَ، فَصَلَّى بِنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَنْصَرَفَ وَإِنْ أَثَرَ الْمَاءِ وَالطِّينِ عَلَى جَبْهَتِهِ وَأَنْفِهِ قَالَ: وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَنَسٍ يَقُولُ: ثَلَاثٌ وَعِشْرِينَ.

وقد تأتي ليلة القدر في ليلة إحدى وعشرين :

فقد جاءت في ليلة إحدى وعشرين، لما روى البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كُنْتُ أَجَاوِرُ هَذِهِ الْعَشْرَ، ثُمَّ قَدْ بَدَأَ لِي أَنْ أَجَاوِرَ هَذِهِ الْعَشْرَ الْأَوَاخِرَ، فَمَنْ كَانَ اعْتَكَفَ مَعِي فَلْيُثَبِّتْ فِي مُعْتَكِفِهِ، وَقَدْ أُرَيْتُ هَذِهِ اللَّيْلَةَ، ثُمَّ أُنْسِيْتُهَا، فَأَبْتَغُوهَا فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ، وَأَبْتَغُوهَا فِي كُلِّ وَتْرٍ، وَقَدْ رَأَيْتُنِي أَسْجُدُ فِي مَاءٍ وَطِينٍ»، فَاسْتَهَلَّتِ السَّمَاءُ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ فَاْمُطَرَتْ، فَوَكَّفَ الْمَسْجِدُ فِي مُصَلَّى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيْلَةَ إِحْدَى وَعِشْرِينَ، فَبَصُرْتُ عَيْنِي رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَنَظَرْتُ إِلَيْهِ أَنْصَرَفَ مِنَ الصُّبْحِ وَوَجْهُهُ مُمْتَلِئٌ طِينًا وَمَاءً. وقوله: "كُنْتُ أَجَاوِرُ هَذِهِ الْعَشْرَ" أي العشر الأوسط.

فالشاهد من هذه الأحاديث أنها متنقلة في العشر الأواخر، فينبغي على المسلمين أن يلتمسوها في العشر الأواخر كلها، ويغتنموا ليفوزوا بخيرها ويحظوا بأجرها.

وقد تكون ليلة القدر في ليالي الشفع من رمضان:

وقلنا: إنها قد تأتي ليلة القدر في الشفع، لما روى البخاري عن ابْنِ عَبَّاسٍ ، رضي الله عنهما، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : "الْتَمِسُوهَا فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ، لَيْلَةَ الْقَدْرِ فِي تَاسِعَةٍ تَبْقَى فِي سَابِعَةٍ تَبْقَى فِي خَامِسَةٍ تَبْقَى".

وفي البخاري أيضا عن ابْنِ عَبَّاسٍ ، رضي الله عنهما ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : "هِيَ فِي الْعَشْرِ، هِيَ فِي تِسْعٍ يَمْضِينَ ، أَوْ فِي سَبْعٍ يَبْقَيْنَ يَعْنِي لَيْلَةَ الْقَدْرِ. قَالَ عَبْدُ الْوَهَّابِ عَنْ أَيُّوبَ وَعَنْ خَالِدٍ ، عَنْ عِكْرِمَةَ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ : "الْتَمِسُوا فِي أَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ".

فإن الشهر قد يكون ناقصا أي يكون تسعا وعشرين، فيكون معنى : (تاسعة تبقى) أي : ليلة إحدى وعشرين ، وإذا كان الشهر تاما، تكون ليلة ثنتين وعشرين ، ومعنى : (في سابعة تبقى) إذا كان الشهر ناقصا تكون ليلة ثلاث وعشرين ، وإذا كان الشهر كاملا تكون ليلة أربع وعشرين، ومعنى : (في خامسة تبقى) إذا كان الشهر ناقصا تكون خامسة تبقى ليلة خمس وعشرين، وإذا كان الشهر تاما تكون في ليلة ست وعشرين.

قال ابن بطال :"(التمسوها في تاسعة تبقى) هي ليلة إحدى وعشرين و (سابعة تبقى) ليلة ثلاث وعشرين ، و (خامسة تبقى) ليلة خمس وعشرين . قال المؤلف : وإنما يصح معناه وتوافق ليلة القدر وتراً من الليالي على ما ذكر في الحديث إذا كان الشهر ناقصاً ، فأما إن كان كاملاً فإنها لا تكون إلا في شفع فتكون التاسعة الباقية ليلة ثنتين وعشرين ، والخامسة الباقية ليلة ست وعشرين ، والسابعة الباقية ليلة أربع وعشرين على ما ذكره البخاري عن ابن عباس ، فلا تصادف واحدة منهن وتراً ، وهذا يدل على انتقال ليلة القدر كل سنة في العشر الأواخر من وتر إلى شفع ، ومن شفع إلى وتر ؛ لأن النبي عليه السلام لم يأمر أمته بالتماسها في شهر كامل دون ناقص ، بل أطلق على طلبها في جميع شهور رمضان التي قد رتبها الله مرة على التمام ، ومرة على النقصان.. "اه^(١) .

وقال الكشميري : "قوله: (في تاسعة تبقى)... إلخ. واعلم أن الأحاديث في الأمر بإحياء العشر وَرَدَتْ بنحوين: إمّا بالإحياء بمجموعه، أو الإحياء بأوتاره خاصة، ولم تَرِدْ بإحياء الأشفاع خاصة. ثم إن التاسعة، والسابعة، والخامسة أشفاعٌ، إن كان الشهر ثلاثين، وإلا فهي أوتارٌ" اه^(٢) .

وقال شمس الحق أبو الطيب محمد العظيم آبادي: "وَقَالَ الطَّبِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ : قَوْلُهُ فِي تَاسِعَةٍ تَبْقَى: اللَّيْلَةُ الثَّانِيَّةُ وَالْعِشْرُونَ تَاسِعَةٌ مِنَ الْأَعْدَادِ الْبَاقِيَةِ ، وَالرَّابِعَةُ وَالْعِشْرُونَ سَابِعَةٌ مِنْهَا ، وَالسَّادِسَةُ وَالْعِشْرُونَ خَامِسَةٌ مِنْهَا" اه^(٣) .

وذكر بنحو هذا الشيخ عبد المحسن العباد^(٤) .

الاجتهاد في ليلة القدر وقيامها إيماناً واحتساباً:

ينبغي على من تحرى ليلة القدر أن يخلص العمل في لياليها ويحتسب الأجر والثواب عند الله تعالى. فقد روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « مَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيْمَانًا وَاحْتِسَابًا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ» . أي: يقومها مصداقاً بمشروعيتها، محتسباً الأجر والثواب من الله سبحانه وتعالى ، بأن يقومها بنية وعزيمة، طيبة بها نفسه ، غير مستثقل لقيامها، ولا مستطيل لوقتها، وإنما يقومها رغبة في ثوابها والتماس فضلها، وعلى قدر اجتهاده فيها يكون له من الأجر بحسب ذلك الاجتهاد. قال بعض أهل العلم: من صلى ركعتين في ليلة القدر كان له ثواب من صلى ليالي ألف شهر بل أفضل اه.

فكيف لو صلى إحدى عشرة ركعة مع الإمام حتى ينصرف؟ وكيف لو اجتهد في تلك الليلة بالذكر وقراءة القرآن والاعتكاف وغير ذلك؟ فإنه يظفر بأجر كثيرة لا يقدر قدرها ولا يحصي ثوابها إلا الله تعالى.

فينبغي الاجتهاد بالذكر والدعاء والاستغفار والصلاة وقراءة القرآن في هذه الليالي المباركة، والمحافظة على الوقت وعدم التفريط فيه بما لا ينفع من المحادثات والجدال وكثرة النوم ونحو ذلك . فقد روى الترمذي عن عائشة - رضي الله عنها - قَالَتْ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَرَأَيْتَ إِنْ عَلِمْتُ أَيُّ لَيْلَةٍ لَيْلَةُ الْقَدْرِ مَا أَقُولُ فِيهَا؟ قَالَ: "قُولِي: اللَّهُمَّ إِنَّكَ عُفُوٌّ تُحِبُّ الْعُفْوَ فَاعْفُ عَنِّي"^(٥) .

(١) شرح صحيح البخاري (٤ / ١٥٦)

(٢) فيض الباري شرح البخاري - (٤ / ٣٣٧)

(٣) عون المعبود شرح سنن أبي داود (٤ / ٢٥٧)

(٤) انظر شرح سنن أبي داود : (٧ / ٤٦١)

(٥) صحيح: رواه الترمذي وأحمد والنسائي والبيهقي وابن ماجه، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب - (٣ / ١٧٧) (٣٣٩١)

وإذا صلى العبد في مسجد سنة، واختار إمامًا متابعًا للنبي صلى الله عليه وسلم، يصلي على السنة ويبطل الصلاة في القيام والركوع والسجود، ويعمل بالسنن، فهذا نور على نور، فالصلاة خلفه أفضل والأجر أكثر إن شاء الله تعالى.

علامات ليلة القدر:

ولها علامات تعرف من خلالها:

منها: أنها ليلة هادئة ساكنة صافية بلجة، كأن فيها قمرًا ساطعًا، ولا يرمى فيها بنجم ولا كوكب .

ومنها: أنها ليلة معتدلة لا حارة ولا باردة.

ومنها: أن الشمس صبيحتها حمراء لا شعاع لها .

ومنها: أن ليلة القدر قد ينزل فيها مطر.

فقد روى الإمام أحمد عن عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ - رضي الله عنه - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "إِنَّ أَمَارَةَ لَيْلَةِ الْقَدْرِ أَنَّهَا صَافِيَةٌ بَلْجَةٌ كَأَنَّ فِيهَا قَمَرًا سَاطِعًا سَاكِئَةً سَاجِيَةً لَا بَرْدَ فِيهَا، وَلَا حَرَّ وَلَا يَحِلُّ لِكُوكَبٍ أَنْ يُرْمَى بِهِ فِيهَا حَتَّى تُصْبِحَ، وَإِنْ أَمَارَتَهَا أَنَّ الشَّمْسَ صَبِيحَتَهَا تَخْرُجُ مُسْتَوِيَةً لَيْسَ لَهَا شُعَاعٌ مِثْلُ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، لَا يَحِلُّ لِلشَّيْطَانِ أَنْ يَخْرُجَ مَعَهَا يَوْمَئِذٍ" (١) .

ومعنى "بلجة": أي واضحة.

وعند الطبراني عن واثلة: "ولا يرمى فيها بنجم" (٢)

وعند الطيالسي عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ: "لَيْلَةٌ سَمْحَةٌ طَلْقَةٌ، لَا حَارَّةٌ، وَلَا بَارِدَةٌ، تُصْبِحُ الشَّمْسُ صَبِيحَتَهَا ضَعِيفَةً حَمْرَاءَ" (٣) .

وعند ابن خزيمة عن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ - رضي الله عنهما - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كَأَنَّ فِيهَا قَمَرًا يَفْضَحُ كَوَاكِبُهَا لَا يَخْرُجُ شَيْطَانُهَا حَتَّى يُضِيءَ فَجْرُهَا» (٤) .

ومن علاماتها: أنه قد ينزل مطر فيها، لكنها ليست علامة مطردة، فقد ينزل المطر في ليلة القدر، وقد لا ينزل، وقد ينزل المطر في غير ليلة القدر، لكنه يستبشر بالمطر إذا نزل في ليلة من الليالي، فقد نزل المطر في ليلة القدر في زمن النبي صلى الله عليه وسلم.

فقد روى البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - قَالَ: اعْتَكَفْنَا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْعَشْرَ الْأَوْسَطَ مِنْ رَمَضَانَ، فَخَرَجَ صَبِيحَةَ عَشْرِينَ فَحَطَبْنَا، وَقَالَ: «إِنِّي أَرَيْتُ لَيْلَةَ الْقَدْرِ، ثُمَّ أَنْسَيْتُهَا - أَوْ نَسِيْتُهَا - فَالْتَمَسُوهَا فِي الْعَشْرِ الْأَوَّخِرِ فِي الْوَتْرِ، وَإِنِّي رَأَيْتُ أَنِّي أَسْجُدُ فِي مَاءٍ وَطِينٍ، فَمَنْ كَانَ اعْتَكَفَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلْيَرْجِعْ»، فَرجعنا وما نرى في السماء قرعة، فجاءت سحابة فمطرت حتى سأل سَفْهُ الْمَسْجِدِ، وَكَانَ مِنْ جَرِيدِ النَّخْلِ، وَأُقِيمَتِ الصَّلَاةُ، فَارَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْجُدُ فِي الْمَاءِ وَالطِّينِ، حَتَّى رَأَيْتُ أَنْتَرِ الطِّينَ فِي جَبْهَتِهِ. "وقد ينزل المطر في غير ليلة القدر من ليالي رمضان.

(١) حسن بشواهد إن شاء الله .

(٢) حسنة الألباني :انظر حديث رقم (٥٤٧٢) في صحيح الجامع

(٣) صحيح، صححه الألباني في صحيح الجامع (٥٤٧٥) .

(٤) صحيح، قال الشيخ الألباني :صحيح لغيره - انظر ((التعليق على)) (صحيح ابن خزيمة)) (٣٣٠/٣)

أبرز علامات ليلة القدر:

إنَّ أبرز علاماتها الملازمة لها، أن الشمس صبيحتها تصبح حمراء ضعيفة لا شعاع لها كما تقدم دليل ذلك في الأحاديث المتقدمة.

فإن قيل: ما فائدة معرفة الشمس صبيحتها وقد انتهى وقتها؟

أجيب عن ذلك: ليستبشر الذي وفق لقيامها ويزيد رجاؤه وإيمانه، ويدعو الله أن يتقبل منه، وينظر كيف كان حاله في تلك الليلة، فيشكر الله على توفيقه، ومن لم يقمها تلك الليلة يندم على ما فاتته منها، ويستعجب ويتلافى ما بقي من ليالي رمضان بالقيام، ويستعد لقيامها في العام المقبل إن أحياه الله، ويسأل الله أن يوفقه لقيامها فرصة أخرى، فإذا رأى المسلمون الشمس صبيحة ليلة القدر يكونون مابين شاكر ونادم، والندم على فوات الخير وإصلاح النية فيه أجور وفوائد عظيمة والله أعلم.

قال المباركفوري: "قِيلَ فَائِدَةُ الْعَلَامَةِ أَنَّ يَشْكُرَ عَلَى حُصُولِ تِلْكَ النِّعْمَةِ إِنْ قَامَ بِخِدْمَةِ اللَّيْلَةِ، وَإِلَّا فَيَتَأَسَّفُ عَلَى مَا فَاتَهُ مِنَ الْكَرَامَةِ وَيَتَذَكَّرُ فِي السَّنَةِ الْآتِيَةِ، وَإِنَّمَا لَمْ يَجْعَلْ عَلَامَةً فِي أَوَّلِ لَيْلِهَا إِنْقَاءً لَهَا عَلَى إِبْهَامِهَا" اهـ (١).

سبب احمرار الشمس صبيحة ليلة القدر:

ذكر بعض أهل العلم تعليقات لذلك، منها: ما ذكره النووي في شرحه على مسلم قَالَ: "قَالَ الْقَاضِي: قِيلَ مَعْنَى " لَا شُعَاعَ لَهَا " أَنَّهَا عَلَامَةٌ جَعَلَهَا اللَّهُ تَعَالَى لَهَا قَالَ : وَقِيلَ بَلْ لِكثَرَةِ اخْتِلَافِ الْمَلَائِكَةِ فِي لَيْلَتِهَا وَنَزُولِهَا إِلَى الْأَرْضِ وَصُغُودِهَا بِمَا تَنْزِلُ بِهِ سَتَرَتْ بِأَجْنِحَتِهَا وَأَجْسَامِهَا اللَّطِيفَةُ ضَوْءَ الشَّمْسِ وَشَعَاعَهَا انْتَهَى . قَالَ فِي الْمِرْقَاةِ: فِيهِ أَنَّ الْأَجْسَامَ اللَّطِيفَةَ لَا تَسْتُرُ شَيْئًا مِنَ الْأَشْيَاءِ الْكَثِيفَةِ ، نَعَمْ لَوْ قِيلَ غَلَبَ نُورُ تِلْكَ اللَّيْلَةِ ضَوْءَ الشَّمْسِ مَعَ بُعْدِ الْمَسَافَةِ الزَّمَانِيَّةِ مُبَالِغَةٌ فِي إِظْهَارِ أَنْوَارِهَا الرَّبَّانِيَّةِ لَكَانَ وَجْهًا وَجِيبًا انْتَهَى اهـ. (٢)

وقيل: إنها لا تطلع بين قرني شيطان في ذلك اليوم صبيحة ليلة القدر، والله أعلم.

(١) تحفة الأحوذى - (٢ / ٣٣٦)

(٢) شرح مسلم (٤ / ١٩٩) وانظر تحفة الأحوذى - (٢ / ٣٣٦)

اغتنام صيام الست من شهر شوال:

يستحب صيام ستة أيام من شوال بعد صيام شهر رمضان، لما ثبت عند الإمام مسلم عَنْ أَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ صَامَ رَمَضَانَ ثُمَّ أَتْبَعَهُ سِتًّا مِنْ شَوَّالٍ، كَانَ كَصِيَامِ الدَّهْرِ».

أي من صام رمضان ثم صام ستا من شوال فكأنما صام السنة، ومن داوم عليها كل عام، فكأنما صام عمره، وكان صيام رمضان مع صيام الست من شوال كصيام الدهر؛ لأن الحسنه بعشر أمثالها، كما قال تعالى: { مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلُهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ } [الأنعام: ١٦٠]

وجاء ذلك في الأحاديث الصحيحة الصريحة كما تقدم في أول الكتاب، فيكون رمضان بعشرة أشهر، والست من شوال بستين يوما، أي: بشهرين فيكون مجموع ذلك اثني عشر شهرا، أي: سنة كاملة، فمن داوم عليها كل سنة كان كمن صام الدهر كله.

وهذه الست تكون ضمن شهر شوال، فتجزئ في أوله، أو في وسطه، أو في آخره، وتكون متتابعة أو متفرقة، كل ذلك مجزئ، والأفضل أن تكون عقب رمضان متتابعة؛ لأن خير البر عاجله، وهي مستحبة ولا تجب بمجرد الشروع فيها كما يعتقد بعض الناس، فمن صامها عامًا ولم يصمها العام الآخر فلا حرج عليه ولا يلحقه ضرر أو عقاب.

وينبغي أن تكون بعد إكمال قضاء رمضان في حق من كان عليه قضاء، إلا من شغل أو ضاق عليه الوقت، أو كان معذورا كما يحصل للنساء، فصام الست وأخر القضاء فيرجى أن يجزئه ذلك والله أعلم، فقد كانت عائشة - رضي الله عنها - تؤخر قضاء رمضان إلى شعبان لشغلها برسول الله صلى الله عليه وسلم، والذي يظهر أنها كانت تصوم الست من شوال؛ لأنها كانت من أعبد نساء زمانها، كيف لا؟! وغرقتها مهبط الوحي وزوجها نبي الأمة، كان يقوم الليل ويصوم النهار، فمحال أن تفوت على نفسها فضل صيام الست من شوال والله أعلم، والمسألة خلافية بين أهل العلم وموضعها في كتب الفقه.

فإن قيل: لو صام العبد ستة أيام من أي شهر، فإنه يغني عن صيام الست من شوال لأن الحسنه بعشر أمثالها فيكون صيام ست من ذي القعدة بستين يوما، فما الفرق؟

أجيب: بأن الست من شوال جاء فيها الدليل، ورغب في صيامها الذي لا ينطق عن الهوى صلى الله عليه وسلم.

ثانيا: جعل صيام الست من شوال - والله أعلم - بمثابة النافلة لرمضان، كما استحب صيام شعبان قبل رمضان، ولهذا قال صلى الله عليه وسلم: "وأتبعه ستا من شوال" فلفضل رمضان جعلت بعده في شوال. **ثالثا:** ولعل من الحكم أن يداوم المسلم على الصيام؛ لأن بعض الناس يفتتر عن كثير من العبادات بعد رمضان ومنها الصيام، ولهذا حث النبي صلى الله عليه وسلم على الثبات على الأعمال الصالحة بعد رمضان كما في هذا الحديث وأمثاله، وغير ذلك من الحكم.

اغتنام أيام عشر ذي الحجة

فضل أيام العشر:

إن مما اختاره الله سبحانه وتعالى من الأزمان، وفضله على غيره من الأيام، لهي أيام عشر ذي الحجة، فهي أيام مباركة، والأجور فيها مضاعفة، والأعمال الصالحة فيها أفضل من الجهاد في سبيل الله . فلعمتها أقسم الله بها في كتابه الكريم فقال سبحانه: {وَالْفَجْرِ * وَلَيَالٍ عَشْر * وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ} [الفجر: ١-٣]

قال المفسر ابن كثير والمفسر البغوي وغيرهما: "الليالي العشر هي عشر من ذي الحجة". اهـ وقوله تعالى: { والفجر } : قال ابن كثير، قال مسروق ومجاهد ومحمد بن كعب: هو فجر يوم النحر خاصة وهو خاتمة الليالي العشر. اهـ وقال بعضهم: هو فجر يوم عرفة.

الشاهد من هذا أن هذه الأيام هي أفضل أيام السنة إطلاقاً . فقد روى البزار عن جابر - رضي الله عنه - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "أفضل أيام الدنيا العشر" يعني عشر ذي الحجة، قيل: ولا مثلهن في سبيل الله؟ قال: "ولا مثلهن في سبيل الله إلا رجل عفر وجهه بالتراب" (١) الحديث وهي الأيام المعلومات التي خصها الله بالذكر فقال: {لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ} [الحج: ٢٧].

قال ابن كثير، عن ابن عباس: "هي أيام العشر". اهـ وقال البغوي: "قيل لها معلومات: للحرص على علمها بحسابها من أجل وقت الحج في آخرها". اهـ

- فمن فضلها: أن الله شرع مناسك الحج فيها، وفيها أفضل أيام السنة، وهو يوم النحر ويوم عرفة. فقد ثبت عند أبي داود عن عبد الله بن قُرْط - رضي الله عنه - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ أَعْظَمَ الْأَيَّامِ عِنْدَ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَوْمُ النَّحْرِ ثُمَّ يَوْمُ الْقَرِّ» (٢) ويوم القر هو اليوم الثاني بعد يوم النحر، وسيأتي ذكر فضله عند ذكر فضل أيام التشريق إن شاء الله، فهو أولها. وأما يوم عرفة فقد ثبتت أحاديث كثيرة في فضله، وسيأتي ذكرها في مبحث مستقل إن شاء الله تعالى.

- ومن فضائل العشر أنها في أحد الأشهر الحرم، وهو ذو الحجة، وقد عظمها الله وخصها بالذكر في كتابه فقال: {إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ} [التوبة: ٣٦]. قال المفسر البغوي: "قال قتادة: العمل الصالح أعظم أجرا في الأشهر الحرم، والظلم فيهن أعظم من الظلم فيما سواهن". اهـ

(١) ورواه أبو يعلى وابن حبان وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب - (٢ / ١٥) (١١٥٠)

(٢) ورواه أحمد وأحمد والحاكم وصححه الألباني في صحيح أبي داود - (٦ / ١٤) (١٥٤٩) وهو في الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين للعلامة الوادعي

برقم (٨١٢) (٦٣٠/١).

فضل الأعمال الصالحة في العشر:

ومن فضائل أيام العشر - وهو مقصودنا في هذا المبحث - أن العمل الصالح فيها أفضل من الجهاد في سبيل الله، لما روى البخاري وأبو داود واللفظ لأبي داود عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ - رضي الله عنهما - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مَا مِنْ أَيَّامٍ الْعَمَلُ الصَّالِحُ فِيهَا أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنْ هَذِهِ الْأَيَّامِ يَعْنِي أَيَّامَ الْعَشْرِ ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؟ قَالَ: وَلَا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ إِلَّا رَجُلٌ خَرَجَ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ فَلَمْ يَرْجِعْ مِنْ ذَلِكَ بِشَيْءٍ"

ففي هذا الحديث بيان أن الأعمال الصالحة من صلاة وصيام وصدقة وذكر وقراءة للقرآن وغيرها أفضل من الجهاد في سبيل الله، ويستثنى ما جاء في الحديث: "إلا رجل خرج بنفسه وماله فلم يرجع من ذلك بشيء" أي أنه أنفق ماله في سبيل الله وقتل في سبيله فيكون هذا أفضل.

قال الحافظ: "والذي يظهر أن السبب في امتياز عشر ذي الحجة لمكان اجتماع أمهات العبادات فيه وهي الصلاة والصيام والصدقة والحج ولا يتأتى ذلك في غيره" اهـ^(١)

قلت: وخصت أيضا بنحر الهدي والأضاحي في خاتمته، وهي عبادة عظيمة قرنها الله بالصلاة كما في قوله تعالى: "فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ" [الكوثر: ٢]

وفيها يوم التروية ويوم عرفة ويوم العيد، وخصت بالتكبير والتهليل والذكر في سائر الأوقات، وشرع الذكر فيها بأصوات مرتفعة دون غيرها، وجعل الله الأعمال فيها مشتركة بين الحجاج وغيرهم ممن لم يستطع الحج، وذلك من فضل الله سبحانه وتعالى على جميع خلقه، فإن الله جعل حنيئاً واشتياقاً لكل مسلم لزيارة بيته الحرام، وأداء تلك المناسك العظام، فلما لم يمكن ذلك في وسع جميع الناس، شرع لهم أعمالاً صالحة يشاركون فيها الحجيج في أيام العشر، وبارك في هذه الأعمال وضاعف أجورها، فله الحمد والمنة.

فمن هذه الأعمال: أنهم يكبرون ويهللون ويرفعون أصواتهم فيها.

ومنها: أنهم يشاركون الحجيج بالهدايا، فيضحون ويمسكون عن تقليم أظافرهم، وقص شعورهم وبشرهم أيام العشر حتى يضحوا.

ومنها: أنهم يشاركون أهل عرفة بصيام يوم عرفة، وقد جعل الله صيام ذلك اليوم يكفر ذنوب سنتين من الصغائر، لكن أهل عرفة لا يستحب لهم أن يصوموه، فإن الأفضل في حقهم أن يفطروا؛ لفعل النبي صلى الله عليه وسلم، وكيفية من الفضل وقوفهم في ذلك المشهد العظيم، الذي يباهي الله بهم ملائكته ويغفر لهم، ويشفعهم فيمن شاءوا، ويضمن لهم التبعات.

وغير ذلك من الفضائل المشتركة والأعمال المباركة بين الحجيج وغيرهم في أيام العشر المباركات.

فما أحكم الله وما أكرمه ، ففي ذلك فليتنافس المتنافسون.

فقد كان سعيد بن جببر - رحمه الله - يجتهد في هذه العشر اجتهدا حتى لا يكاد يقدر عليه، لكن حال كثير من الناس في هذه الأيام الاجتهاد في الدنيا اجتهدا لا يكادون يقدرون عليه! وذلك أن الله ابتلى الناس بمواسم العيد، فصار أكثر انشغال الناس بالتجارات في هذه الأيام؛ توفيراً لمتطلبات العيد إلا من رحم الله.

وهكذا في العشر الأواخر من رمضان، فإن الناس يستعدون لمتطلبات عيد الفطر، فينشغلون عن الاعتكاف وتحري ليلة القدر، فلم يجتهدوا في العشر من ذي الحجة، ولا في ليالي العشر الأخيرة من رمضان، إلا من ثبته الله ووقفه، وأثر الباقي على الفاني، فالمطلوب هو المقاربة والسداد، والجمع بين أعمال الدنيا والآخرة، إذ لا غنى للإنسان عن قوته، وإن كان الأصل هو تقديم أعمال الآخرة، فينبغي على المسلم أن يخفف من أعمال الدنيا، ويجتهد في أعمال الآخرة، لاسيما في هذه الأيام والليالي المباركات.

"قاربوا وسددوا، القصد القصد تبلغوا"

(١) فتح الباري (٢ / ٤٦٠)

التقرب إلى الله بالفرائض والواجبات، ثم النوافل:

ومن أهم الأعمال الصالحة التي يتقرب بها العبد إلى الله تعالى في أيام العشر وغيرها، لهي الفرائض والواجبات، والصلاة مع الجماعات، فإنها من أحب الأعمال إلى الله سبحانه وتعالى، لما روى البخاري عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إِنَّ اللَّهَ قَالَ: (مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أَحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ: كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لِأَعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لِأُعِيذَنَّهُ..." الحديث.

الشاهد من الحديث، أن أحب شيء إلى الله تعالى أن يتقرب إليه العبد بالفرائض، ثم النوافل، فإنها من أسباب محبة الله للعبد وتوفيقه وتسديده.

اغتنام الذكر في أيام العشر:

إن من أفضل الأعمال الصالحة التي هي أفضل من الجهاد في سبيل الله في هذه الأيام، لهو ذكر الله، قال تعالى: {فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُوا} [البقرة: ١٥٢].

وروى الإمام أحمد عن أبي الدرداء - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " أَلَا أَنْبِئُكُمْ بِخَيْرٍ أَعْمَالِكُمْ، وَأَزْكَاهَا، عِنْدَ مَلِكِكُمْ، وَأَرْفَعَهَا فِي دَرَجَاتِكُمْ، وَخَيْرَ لَكُمْ مِنْ إِنْفَاقِ الذَّهَبِ وَالْوَرَقِ، وَخَيْرَ لَكُمْ مِنْ أَنْ تَلْقَوْا عَدُوَّكُمْ، فَتَضْرِبُوا أَعْنَاقَهُمْ وَيَضْرِبُوا أَعْنَاقَكُمْ " قَالُوا: وَذَلِكَ مَا هُوَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «ذِكْرُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ». قال معاذ بن جبل رضي الله عنه: ما شيء أنجى من عذاب الله من ذكر الله^(١).

والأدلة في فضل الذكر كثيرة، لا يسع المقام لذكرها، وسيأتي ذكر بعضها في باب الأعمال المباركة وفوائد الذكر بمبحث مستقل إن شاء الله، وإنما نوهنا بفضل الذكر هنا تنويهاً، لمناسبة اغتنام أيام العشر بالأعمال الصالحة، ومنها الذكر.

فذكر الله له فضل عظيم عموماً، وفي هذه الأيام خصوصاً، فليكثر العباد من ذكر الله وشكره، على نعمه وعلى ما رزقهم من بهيمة الأنعام قال تعالى: {وَإِذْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكَلُوا مِنْهَا وَأَطْعَمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ} [الحج: ٢٧-٢٨]

وروى الطبراني عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَا أَهْلٌ مُهْلٌ قَطُّ إِلَّا بَشَرٌ، وَلَا كَبَرٌ مُكَبَّرٌ قَطُّ إِلَّا بَشَرٌ» قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، بِالْجَنَّةِ؟ قَالَ: «نَعَمْ»^(٢).

والذي يبشره بالجنة، هم الملائكة الكرام.

فيستحب في هذه الأيام رفع الأصوات بالتكبير والتهليل، كما يشرع للحاج رفع الصوت بالتلبية، ويكون الذكر في هذه الأيام مطلقاً في سائر الأوقات من أول العشر، ومقيداً بعد الصلوات من فجر يوم عرفة إلى آخر أيام التشريق، فقد كان أبو هريرة وابن عمر - رضي الله عنهم - يخرجان إلى السوق في أيام العشر فيكبران ويكبر الناس بتكبيرهما، والحديث في صحيح البخاري.

وكان عمر - رضي الله عنه - يُكَبِّرُ فِي قُبَّتِهِ بِمَنَى، فَيَسْمَعُهُ أَهْلُ الْمَسْجِدِ، فَيُكَبِّرُونَ وَيُكَبِّرُ أَهْلُ الْأَسْوَاقِ حَتَّى تَرْتَجَّ مَنَى تَكْبِيرًا.

وكان ابن عمر يُكَبِّرُ بِمَنَى تِلْكَ الْأَيَّامَ، وَخَلْفَ الصَّلَوَاتِ، وَعَلَى فِرَاشِهِ، وَفِي فُسْطَاطِهِ، وَمَجْلِسِهِ، وَمَمْشَاهُ، تِلْكَ الْأَيَّامَ جَمِيعًا.

وَكَانَتْ مَيْمُونَةُ تُكَبِّرُ يَوْمَ النَّحْرِ.

(١) صحيح: وهو عند ابن أبي الدنيا والترمذي وابن ماجه والحاكم والبيهقي وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب - (٢ / ٩٦) (١٤٩٣)

(٢) حسن: حسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (٤ / ١٥٥) برقم (١٦٢١)

وَكُنَّ النِّسَاءُ يُكَبِّرْنَ خَلْفَ أَبَانَ بْنِ عُثْمَانَ وَعُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ لِيَالِي النَّشْرِيقِ مَعَ الرِّجَالِ فِي الْمَسْجِدِ. والحديث رواه البخاري تعليقا مجزوما بصحته.

وأما النساء فيكبرن بأصوات منخفضة حتى لا يسمعن الرجال.

وأما بعض صيغ التكبير التي جاءت عن الصحابة - رضوان الله عليهم - فهي: الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله، الله أكبر، الله أكبر، والله الحمد، الله أكبر وأعز وأجل.

وجاء عن بعض السلف: الله أكبر كبيرا، والحمد لله كثيرا، وسبحانه الله بكرة وأصيلا .

اغتنام الأضحية:

الأضحية قربة عظيمة وسنة مؤكدة، وهي مستحبة على الصحيح من أقوال أهل العلم، لا ينبغي تركها لمن قدر عليها، وهي نعمة عظيمة ومنّة جزيلة امتن الله بها على عباده، إذ خلق الله هذه البهيمة فسخرها لابن آدم، وملكها إياه فانقادت له، تمشي في أرض الله وتأكل من رزقه وتسبح بحمده، ومع هذا شرع الله لعباده أن ينتفعوا بها، وأن يهريقوا دمه، ويذبحوا روحها، ويأكلوا لحمها، ويتقربوا بها، ثم يؤجروا عليها، فكان حقا على كل مسلم أن يشكر الله على هذه النعمة العظيمة.

قال تعالى: {وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِيعُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} [الحج: ٣٦]

وقال تعالى: {وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ} [إبراهيم: ٧]

وإن من تمام شكرها، لهو الإكثار من ذكر الله لا سيما في هذه الأيام أيام عشر ذي الحجة، وكذلك إطعام الفقراء والمساكين منها قال تعالى: {وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ * لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِيعُوا أَمْرَ اللَّهِ} [الحج: ٢٧].

قال المفسر ابن كثير - رحمه الله - : "وَأَسْتَدَلَّ مَنْ نَصَرَ الْقَوْلَ بِأَنَّ الْأَضَاحِيَّ يُتَصَدَّقُ مِنْهَا بِالنِّصْفِ بِقَوْلِهِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ: {فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِيعُوا أَمْرَ اللَّهِ} ، فَجَزَّأَهَا نِصْفَيْنِ: نِصْفٌ لِلْمُضْحِيِّ، وَنِصْفٌ لِلْفُقَرَاءِ. وَالْقَوْلُ الْآخَرُ: أَنَّهَا تُجَزَّأُ ثَلَاثَةً أَجْزَاءً: ثُلُثٌ لَهُ، وَثُلُثٌ يُهْدِيهِ، وَثُلُثٌ يَتَصَدَّقُ بِهِ لِلآيَةِ الْآتِيَةِ. اهـ.

وقال تعالى: {وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِيعُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} [الحج: ٣٦] .

"والبدن" قال السعدي: هي البقر والإبل.

وقوله تعالى: { جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ }

قال البغوي: "من أعلام دينه، لأنها تشعر وتهدي إلى بيته الحرام، {فاذكروا اسم الله عليها صواف} : أي عند ذبحها وهي قائمات وذلك عند نحرها فإذا وجبت: أي سقطت، والقانع: هو الفقير الذي لا يسأل الناس، والمعتز: الفقير الذي يسأل الناس. اهـ ملخصا.

ومن فضل الله على الناس أن سخر لهم هذه البهيمة ولم يجعلها متوحشة ولا مستنفرة، فترى الطفل الصغير يقود الجمل الكبير، فمن الذي ذلله وسخره؟ إنه الله سبحانه وتعالى.

قال سبحانه: {أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ * وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ * وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبُ أَفَلَا يَشْكُرُونَ} [يس: ٧١].

والأضحية هي من سنن الأمم الذين قبلنا، وسنة أبينا إبراهيم عليه السلام، ولا تخفى على مسلم قصته العجيبة مع ابنه إسماعيل عليهما السلام التي ذكرها الله في القرآن الكريم .

قال تعالى: {لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ} [الحج: ٦٧].

قال المفسر الطبري - رحمه الله - : "أي ذبحا يذبحونه ودمها يهريقونه". اهـ.

وقال تعالى في قصة إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام: {فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ * فَلَمَّا

أَسْلَمًا وَتَلَّهَ لِلْجَبِينِ * وَنَادَيْتَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمَ * قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * إِنَّ هَذَا لَهُوَ
الْبَلَاءُ الْمُبِينِ * وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ { [الصافات: ١٠٢-١٠٧].

وذلك أن إبراهيم عليه السلام رأى في منامه أن الله أمره بذبح ولده إسماعيل عليه السلام، ورؤيا الأنبياء
حق، وتأتي كفلق الصبح، وهي وحي من الله، فامتثل أمر الله، وانقاد إسماعيل عليه السلام لهذا الأمر
الذي لا يصبر عليه إلا نبي أو ولي، وامتثل إبراهيم عليه السلام لأمر الله، طمعا برضاه وتقديم محاب الله
على محاب الولد، ولهذا وصف الله نبيه إبراهيم عليه السلام بأنه خليله، والخلة: هي أعلى درجات المحبة
، فلم يزاحم حب شيء في قلبه لحب الله تعالى، فبينما هو كذلك على وشك الذبح لابنه، إذ جاء الله بالفرج
بعد أن تم الانقياد من الولد وأبيه لأمر الله، وفداه الله بكبش عظيم، جاء من الجنة فذبحه وصار ذلك سنة
إلى قيام الساعة.

قال المفسر ابن كثير في تفسير قوله تعالى: { وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ } قال: خرج عليه كبش من الجنة قد
رعي قبل ذلك أربعين خريفا أي: (أربعين سنة) فأرسل إبراهيم ابنه وأتبع الكبش". اهـ
وقال المفسر البغوي: "فَنَظَرَ إِبْرَاهِيمُ فَإِذَا هُوَ بِجَبْرِيلَ وَمَعَهُ كَبْشٌ أَمْلَحُ أَقْرَنُ، فَقَالَ: هَذَا فِدَاءٌ لِابْنِكَ فَادْبَحْهُ
دُونَهُ، فَكَبَّرَ جَبْرِيلُ وَكَبَّرَ الْكَبْشُ وَكَبَّرَ إِبْرَاهِيمُ وَكَبَّرَ ابْنُهُ، فَأَخَذَ إِبْرَاهِيمُ الْكَبْشَ فَأَتَى بِهِ الْمُنْحَرَ مِنْ مِئَى
فَدْبَحَهُ". اهـ .

وهذا من فضل الله على الناس وتيسيره لأمر دينهم وإنعامه عليهم بسائر النعم، ومع هذا فإنك تجد من
يبخل بالأضحية ويقصر في هذه القربة العظيمة، وقد ذهب كثير من أهل العلم إلى أن الأضحية واجبة
على من قدر عليها ومنهم شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله.

ولكن الصحيح كما تقدم أنها مستحبة، فهي قربة وعبادة ومشاركة للحجيج في نحر هداياهم وهي عمل
صالح يتقرب بها العبد إلى الله، وقد علم من الشرع أن العمل الصالح في أيام العشر أفضل من الجهاد في
سبيل الله، ويوم النحر هو آخر أيام العشر، وأول وقت لذبحها هو يوم النحر من بعد صلاة العيد إلى آخر
أيام التشريق، فتجهيزها وعلفها وتسمينها في هذه الأيام ومن ثم ذبحها تقربا إلى الله، عمل صالح ولا شك
في ذلك.

ومن الأدلة على استحبابها ما رواه مسلم عن أم سلمة رضي الله عنها، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:
«إِذَا دَخَلْتَ الْعَشْرَ، وَأَرَادَ أَحَدُكُمْ أَنْ يُضْحِيَ، فَلَا يَمَسْ مِنْ شَعْرِهِ وَبَشَرِهِ شَيْئًا».

فقوله صلى الله عليه وسلم: «إِذَا دَخَلْتَ الْعَشْرَ، وَأَرَادَ أَحَدُكُمْ أَنْ يُضْحِيَ»: يوحى بالاستحباب، لكن من
أراد أن يضحي فيجب عليه أن يمسك عن شعره وأظفاره وإبطه وعانته وجلده فلا يأخذ من ذلك شيئا
للنهي الوارد في الحديث، حتى يذبح أضحيته، فإن أخذ من ذلك شيئا فالأضحية مجزئة وهو آثم لمخالفته.

أما حلق اللحية أو تقصيرها فلا يجوز لا للمضحي ولا لغيره؛ لأمر النبي صلى الله عليه وسلم بإعفائها
، والنهي عن التشبه بالمشركين في حلقها، فقد روى مسلم عن ابن عمر - رضي الله عنهما - عَنِ النَّبِيِّ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «أَحْفُوا الشَّوَارِبَ وَأَعْفُوا اللَّحَى» وفي رواية للبخاري: "وفروا اللحى".

وروى مسلم عن أَبِي هُرَيْرَةَ - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «جُزُوا
الشَّوَارِبَ، وَأَرْخُوا اللَّحَى خَالِفُوا الْمَجُوسَ» وفي رواية عن ابن عمر - رضي الله عنهما: «خالفوا
المشركين أحفوا الشوارب وأفوا اللحى».

كل هذه الألفاظ تدل على وجوب إطلاق اللحية، وأن حلقها كبيرة من الكبائر، وتشبه بالمشركين، بل
تشبه بالنساء - نسأل الله العافية-، فلا يجوز حلقها ولا تقصيرها مطلقا، لا في أيام العشر ولا في غيرها .

فالشاهد مما تقدم أن من الأعمال الصالحة في هذه الأيام، التقرب إلى الله بالأضاحي وتجهيزها وتسمينها،
والإخلاص فيها والصدقة منها لمن لا أضحية له، قال تعالى: { لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ
الْقَوِيُّ مِنْكُمْ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ } [الحج: ٣٧]

وقال تعالى: { فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِيعُوا النَّائِسَ الْفَقِيرَ } [الحج: ٢٧-٢٨]

فإن نحر الأضاحي تقربا إلى الله من أفضل الأعمال، فقد قرنها الله بالصلاة فقال تعالى: { فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ } [الكوثر : ٢]

وذلك أن الصلاة أفضل عبادة بدنية، والذبح أفضل عبادة مالية، كما ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله.

ويجب مراعاة السنة في الأضاحي، والعمل بالشروط المعتمدة شرعاً، من حيث السن، والنوع، والسلامة من العيوب، ووقت الذبح ونحو ذلك، واجتناب البدع والمخالفات في الأضاحي، لتكون أقرب إلى القبول.

المسابقة في الأعمال الصالحة عموماً في أيام العشر:

قال تعالى: { سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ } [الحديد: ٢١].

قال المفسر السعدي - رحمه الله - : "ثم أمر بالمسابقة إلى مغفرة الله ورضوانه وجنته، وذلك يكون بالسعي بأسباب المغفرة، من التوبة النصوح، والاستغفار النافع، والبعد عن الذنوب ومظانها، والمسابقة إلى رضوان الله بالعمل الصالح، والحرص على ما يرضي الله على الدوام، من الإحسان في عبادة الخالق، والإحسان إلى الخلق بجميع وجوه النفع، ولهذا ذكر الله الأعمال الموجبة لذلك، فقال: { وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ } والإيمان بالله ورسوله يدخل فيه أصول الدين وفروعها، { ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ } أي: هذا الذي بيناه لكم، وذكرنا لكم فيه الطرق الموصلة إلى الجنة، والطرق الموصلة إلى النار، وأن فضل الله بالثواب الجزيل والأجر العظيم، من أعظم منته على عباده وفضله. { وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ } الذي لا يحصى ثناء عليه، بل هو كما أثنى على نفسه، وفوق ما يثني عليه عباده " اهـ.

فباب الخير واسع، والأعمال الصالحة كثيرة، فلا ينبغي الاقتصاد على عمل واحد في أيام العشر وفي غيرها، فإن العبد لا يدري ما هو العمل الذي يكون خالصاً لله، وإنه لا يدري ما هو العمل الذي يكون مقبولاً عند الله، وإنه لا يدري ما هو العمل الذي سيدخله الله به الجنة، وما هو العمل الذي ينجيه من عذاب الله.

فإن مما ننبه عليه، أن كثيراً من الناس قد حصروا المسابقة في هذه الأيام بالصيام فقط وإهملوا بقية الأعمال، من صدقة، وذكر، وقراءة للقرآن، وزيارة للأرحام، وإحسان إلى الخلق، ولا شك أن الصيام عمل صالح يدخل تحت الفضل المذكور في الحديث، لكن ينبغي الإكثار من الأعمال الصالحة من صيام وغيره عموماً، وفي هذه الأيام على وجه الخصوص .

فمن ذلك المحافظة على الفرائض، والجماعات، والنوافل، والأذكار، وقراءة القرآن، والمحافظة على السنن الرواتب، ومنها سنة الفجر، فإنها خير مما طلعت عليه الشمس، فمن حافظ على الرواتب، بنى الله له بيتاً في الجنة، ومنها المحافظة على صلاة الفجر في جماعة يكون العبد في ذمة الله، ومن قعد في مصلاه بعد صلاة الفجر يذكر الله حتى تطلع الشمس ثم يصلي ركعتين، كون ذلك كحجة وعمرة تامتين، ثم يصلي الضحى، ثم ينطلق إلى عمله مكبراً مهلاً في الطرقات وفي الأعمال وغير ذلك، هكذا يكون العبد مع الله في جميع أحواله؛ ليكون الله معه في حله وترحاله، "احفظ الله يحفظك".

فأين المتسابقون؟ فهذا ميدان السباق، وأين المزارعون؟ فهذه أرض المزارعة، واما قريب سننتقل إلى دار الحصاد، وأين المسافرون فإننا في دار السفر، واما قريب سننتقل إلى دار الإقامة، وأين العاملون؟ فإن اليوم عمل ولا حساب وغدا حساب ولا عمل، { وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى } [البقرة : ١٩٧] .

قال البخاري في صحيحه:

باب فِي الْأَمَلِ وَطَوْلِهِ.

وَقَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى : { فَمَنْ زُحِرَ ، عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ } .
{ ذَرُّهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ } .

وَقَالَ عَلِيٌّ: "ارْتَحَلْتِ الدُّنْيَا مُدْبِرَةً وَارْتَحَلْتِ الْآخِرَةَ مُقْبِلَةً وَلِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا بَنُونَ فَكُونُوا مِنْ أَبْنَاءِ الْآخِرَةِ ، وَلَا تَكُونُوا مِنْ أَبْنَاءِ الدُّنْيَا فَإِنَّ الْيَوْمَ عَمَلٌ ، وَلَا حِسَابَ وَغَدًا حِسَابٌ ، وَلَا عَمَلٍ".

اغتنام يوم عرفة

إن من الأيام العظيمة عند الله، لهو يوم عرفة، فقد عظمه الله وفضله على كثير من الأيام، وخصه بمزايا كثيرة، وجعله الله عيداً من أعياد المسلمين، وجعل الوقوف في عرفة ركناً من أركان الحج . وفي هذا اليوم يعتق الله فيه عبداً من النار، ويغفر فيه لأهل عرفات، ويباهي بهم ملائكته، وهو اليوم الذي أكمل الله فيه الدين، وجعل خير الدعاء في ذلك اليوم، ومن صام ذلك اليوم غفر له ذنوب عامين، إلى غير ذلك من فضائل ذلك اليوم.

فلفضل هذا اليوم أقسم الله به في كتابه الكريم، والله سبحانه وتعالى عظيم، لا يقسم إلا بعظيم؛ يدل على عظمته فقال سبحانه: {وَالْفَجْرِ وَلَيَالٍ عَشْرٍ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ} [الفجر: ١ - ٣] قال المفسر الطبري - رحمه الله -: " قال بعضهم في تفسير الوتر هو يوم عرفة". اهـ وقال تعالى: {وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ * وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ * وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ} [البروج: ١-٣] قال المفسر ابن كثير - رحمه الله -: " واليوم المشهود هو يوم عرفة". اهـ وقد روى الترمذي عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "الْيَوْمُ الْمَوْعُودُ يَوْمُ الْقِيَامَةِ، وَالْيَوْمُ الْمَشْهُودُ يَوْمُ عَرَفَةَ، وَالشَّاهِدُ يَوْمُ الْجُمُعَةِ"^(١).

اغتنام يوم عرفة بذكر الله:

يشرع في هذا اليوم الإكثار من ذكر الله؛ لما من الله به على عباده بالهداية، وعلمهم ما لم يكونوا يعلمون، فهذه من أكبر النعم التي يجب شكرها بالقلب واللسان والجوارح، ويدخل في الشكر، ذكره تعالى بالقلب واللسان، وقد حث الله أهل عرفات وغيرهم على الإكثار من ذكره، قال تعالى: { فَإِذَا أَقَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَادْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الضَّالِّينَ } [البقرة: ١٩٨] . - والمشعر الحرام هو مزدلفة- إلى قوله سبحانه: { فَإِذَا قُضِيَتْ مِنْكُمْ مَنَاسِكُكُمْ فَادْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا } [البقرة: ٢٠٠] .

قال المفسر البغوي - رحمه الله -: "أَيُّ: فَرَعْتُمْ مِنْ حَجِّكُمْ وَدَبَحْتُمْ نَسَائِكُمْ، أَيُّ: دَبَّاحِكُمْ، فَادْكُرُوا اللَّهَ بِالْكَبِيرِ وَالتَّحْمِيدِ وَالتَّنَائِي عَلَيْهِ، كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ، وَذَلِكَ أَنَّ الْعَرَبَ كَانَتْ إِذَا فَرَعَتْ مِنَ الْحَجِّ وَقَفَتْ عِنْدَ الْبَيْتِ فَذَكَرَتْ مَفَاخِرَ آبَائِهَا، فَأَمَرَهُمُ اللَّهُ بِذِكْرِهِ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَعَطَاءٌ: مَعْنَاهُ فَادْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِ الصَّبْيَانِ الصَّغَارِ الْأَبَاءَ، وَذَلِكَ أَنَّ الصَّبِيَّ أَوَّلُ مَا يَتَكَلَّمُ يُلْهَجُ بِذِكْرِ أَبِيهِ لَا يَذْكُرُ غَيْرَهُ، فَيَقُولُ اللَّهُ فَادْكُرُوا اللَّهَ لَا غَيْرَ، كَذِكْرِ الصَّبِيِّ أَبِيهِ، أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا. اهـ.

وروى الإمام مسلم عن ابن عمر - رضي الله عنهما - قَالَ: «عَدَوْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ مَنَى إِلَى عَرَفَاتٍ، مِنْ الْمَلْبِيِّ وَمِنَا الْمُكَبَّرِ».

اغتنام يوم عرفة بالدعاء:

يشرع في هذا اليوم الإكثار من الدعاء، وهو عام في حق من كان في عرفات وغيرهم، فإن الدعاء في هذا اليوم له فضل عظيم ويتأكد فيه الإجابة بإذن الله تعالى لفضل ذلك اليوم، ولأن الدعاء في يوم عرفة هو خير الدعاء .

قال المباركفوري: "لأنه أجزل إثابة وأعجل إجابة". اهـ^(٢)

(١) صحيح: صححه الألباني في صحيح الترمذي - (٣ / ١٢٨) (٢٦٥٩)

(٢) تحفة الأحوذى - (٨ / ٤٨٢)

فقد روى الترمذي عَنْ عَمْرِو بْنِ شَعْبٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ - رضي الله عنه - أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "خَيْرُ الدُّعَاءِ دُعَاءُ يَوْمِ عَرَفَةَ، وَخَيْرُ مَا قُلْتُ أَنَا وَالنَّبِيُّونَ مِنْ قَبْلِي: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ" (١).

اغتنام يوم عرفة بصيامه :

يستحب صيام يوم عرفة استحباباً شديداً لمن كان خارج عرفات ،فقد روى الإمام مسلم عن أبي قتادة - رضي الله عنه - قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «صِيَامُ يَوْمِ عَرَفَةَ، أَحْتَسِبُ عَلَى اللَّهِ أَنْ يُكَفِّرَ السَّنَةَ الَّتِي قَبْلَهُ، وَالسَّنَةَ الَّتِي بَعْدَهُ» الحديث.

والذنوب التي يكفرها صيام يوم عرفة هي الصغائر، فإن لم توجد صغائر، أو كفرت بأعمال أخرى، فيرجى أن تكفر الكبائر أو تخفف منها.

قال النووي - رحمه الله - : "معناه: يكفر ذنوب صائمه في السنتين ،قالوا: والمراد بها الصغائر .. فإن لم تكن صغائر يرجى التخفيف من الكبائر، فإن لم يكن رفعت درجات". اهـ مختصراً (٢).

فلا ينبغي التقرير في صيام هذا اليوم؛ لما يترتب عليه من الفضل العظيم، ولما في الصيام من تكفير الذنوب للسنة الماضية والسنة الآتية، وهذا لا يكاد يكون إلا في صيام يوم عرفة بأن يكون التكفير مقدماً على الذنب.

قال المناوي - رحمه الله - : "والسنة التي بعده: بمعنى أنه تعالى يحفظه أن يذنب فيها، أو يعطى من الثواب ما يكون كفارة لذنوبها، أو يكفرها حقيقة ولو وقع فيها، ويكون المكفر مقدماً على المكفر. قال صاحب العدة: وإذا لا يوجد شيء مثله في شيء من العبادات. اهـ (٣)

ومعنى قوله: (أحتسب على الله):

قال المناوي: "أي أرجو منه"، قال ابن الأثير: الاحتساب على الله، البدار إلى طلب الأجر وتحصيله باستعمال أنواع البر". اهـ (٤)

فضل أهل عرفات:

من فضل الله على أهل عرفات، أنه يباهي بهم ملائكته، ويغفر لهم، ويشفعهم فيمن أرادوا، ويضمن لهم التبعات.

فقد روى الإمام أحمد عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ - رضي الله عنهما - أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقُولُ: " إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُبَاهِي مَلَائِكَتَهُ عَشِيَّةَ عَرَفَةَ بِأَهْلِ عَرَفَةَ، فَيَقُولُ: انظُرُوا إِلَى عِبَادِي أَتُونِي شُعْثًا غُبْرًا " (٥)

وروى الطبراني والبخاري عن ابن عمر - رضي الله عنهما - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لرجل من الأنصار - جاء يسأله عن وقوفه عشية عرفة -: "... وأما وقوفك عشية عرفة فإن الله يهبط إلى السماء الدنيا فيباهي بكم الملائكة، يقول: هؤلاء عبادي، أتوني شعثاً غبراً من كل فج عميق، يرجون رحمتي ومغفرتي، فلو كانت ذنوبكم كعدد رمل عالج أو كزبد البحر لغفرتها، أفيضوا عبادي مغفوراً لكم ولمن شفعت له" (٦). الحديث.

(١) حسن: حسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب - (٢ / ١٠٦) (١٥٣٦)

(٢) شرح النووي على مسلم - (٨ / ٥١)

(٣) فيض القدير (٤ / ٣٠٣)

(٤) المصدر السابق (٤ / ٣٠٣)

(٥) وهو عند ابن حبان والحاكم وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٨٦٨) وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي: (٨٠٣) (٦٦٢/١) وجاء عن أبي هريرة - رضي الله عنه - وهو أيضاً في الصحيح المسند للإمام الوادعي (١٣٤٧) (٣٠٦/٢)

(٦) حسن: حسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب - (٢ / ٥) (١١١٣)

وروى ابن المبارك عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال: وقف النبي صلى الله عليه وسلم بعرفات، وكادت الشمس أن تؤوب، فقال: "يا بلال، أنصت لي الناس"، فقام بلال، فقال: أنصتوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فأنصت الناس، فقال: "معاشر الناس، أتاني جبريل أنفاً، فأقرأني من ربي السلام، وقال: إن الله غفر لأهل عرفات وأهل المشعر، وضمن عنهم التبعات" فقام عمر بن الخطاب، فقال: يا رسول الله هذا لنا خاصة؟ قال: "هذا لكم ولمن أتى من بعدكم إلى يوم القيامة" فقال عمر بن الخطاب: كثر خير الله وطاب^(١).

ومعنى: (يباهي بكم ملائكته):
قال النووي - رحمه الله -: "مَعْنَاهُ : يُظْهِرُ فَضْلَكُمْ لَهُمْ ، وَيُرِيهِمْ حُسْنَ عَمَلِكُمْ ، وَيُبَيِّنِي عَلَيْكُمْ عُنْدَهُمْ ، وَأَصْلُ الْبَهَاءِ : الْحُسْنُ وَالْجَمَالُ ، وَقُلَانِ يُبَاهِي بِمَا لَهُ ، أَيُ : يَفْخَرُ وَيَتَجَمَّلُ بِهِمْ عَلَى غَيْرِهِمْ وَيُظْهِرُ حُسْنَهُمْ". اهـ^(٢)

ومعنى قوله: (ويضمن عنكم التبعات): أي المظالم التي عليهم لغيرهم بأن يرضي أصحاب تلك التبعات، أو هي آثار الذنوب والمعاصي.
وفي يوم عرفة يعتق الله من شاء من خلقه من النار.

فقد ثبت عند الإمام مسلم عن عائشة - رضي الله عنها - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " مَا مِنْ يَوْمٍ أَكْثَرَ مِنْ أَنْ يُعْتِقَ اللَّهُ فِيهِ عَبْدًا مِنَ النَّارِ ، مِنْ يَوْمِ عَرَفَةَ ، وَإِنَّهُ لَيَدْنُو ، ثُمَّ يُبَاهِي بِهِمُ الْمَلَائِكَةَ ، فَيَقُولُ: مَا أَرَادَ هَؤُلَاءِ؟ " .

يوم عرفة يوم عيد للمسلمين:

إن يوم عرفة هو أحد أعياد المسلمين التي ينبغي للمسلمين أن يعظموه، ويتقربوا فيه إلى الله بما استطاعوا من القربات، كالذكر والتكبير والتهليل والصدقة والصيام، فهذا هو العيد المراد شرعا، فليس العيد في ارتكاب المعاصي والمخالفات، إنما العيد لمن طاعته تزيده، وخاف يوم الوعيد، واتقى ذا العرش المجيد.
فمن أعياد المسلمين المشروعة عيد عرفة فقد روى النسائي عن عُبَيْدِ بْنِ عَامِرٍ - رضي الله عنه - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ يَوْمَ عَرَفَةَ وَيَوْمَ النَّحْرِ أَيَّامٌ التَّشْرِيقِ عِيدُنَا أَهْلَ الْإِسْلَامِ، وَهِيَ أَيَّامٌ أَكْلٍ وَشُرْبٍ»^(٣)

وقوله: "وهي أيام أكل وشرب" يعني أيام التشريق أيام أكل وشرب وأما يوم عرفة فإنه يستحب صيامه لمن كان خارج عرفات كما تقدم.

إكمال الدين في يوم عرفة:

إن يوم عرفة هو اليوم الذي أكمل الله فيه الدين وأتم فيه النعمة.
قال تعالى: { الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا } [المائدة: ٣]
وروى البخاري ومسلم عن طَارِقِ بْنِ شِهَابٍ - رضي الله عنه - قَالَ جَاءَ رَجُلٌ مِنَ الْيَهُودِ إِلَى عُمَرَ فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ آيَةٌ فِي كِتَابِكُمْ تَقْرَءُوهَا لَوْ عَلَيْنَا نَزَلَتْ مَعَشَرَ الْيَهُودِ لَاتَّخَذْنَا ذَلِكَ الْيَوْمَ عِيدًا. قَالَ وَأَيُّ آيَةٍ قَالَ (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا) فَقَالَ عُمَرُ: إِنِّي لَا أَعْلَمُ الْيَوْمَ الَّذِي نَزَلَتْ فِيهِ وَالْمَكَانَ الَّذِي نَزَلَتْ فِيهِ نَزَلَتْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- بِعَرَفَاتٍ فِي يَوْمِ جُمُعَةٍ.

(١) صحيح: صححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب - (٢ / ١٦) (١١٥١)

(٢) شرح صحيح مسلم (٩ / ٦٤)

(٣) صحيح وهو عند أحمد والترمذي وأبي داود وصححه الألباني في صحيح أبي داود - (٧ / ١٧٨) (٢٠٩٠).

فتبين من هذا الحديث أن هذه الآية الكريمة نزلت في يوم عيدين عظيمين وهما يوم عرفة ويوم الجمعة، وهما من أعياد المسلمين كما تقدم.

قال ابن رجب - رحمه الله -: "لكن يوم عرفة عيد لأهل الموقف خاصة، يشرع صيامه لأهل الأمصار عند جمهور العلماء" اهـ^(١).

الوقوف بعرفة ركن من أركان الحج:

جعل الله الوقوف بعرفة ركنًا من أركان الحج، فلا يصح الحج إلا به، لما روى أبو داود عن عروة بن مضر الطائي - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : "مَنْ أدرك معنا هذه الصلاة، وأتى عَرَافَتَ قَبْلَ ذَلِكَ لَيْلًا أو نهاراً فقد تم حُجُّه وقضى تَقَاتُّهُ"^(٢)

وروى النسائي عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ يَعْمَرَ - رضي الله عنه - قَالَ: شَهِدْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَتَاهُ نَاسٌ، فَسَأَلُوهُ عَنِ الْحَجِّ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْحَجُّ عَرَفَةُ، فَمَنْ أدركَ لَيْلَةَ عَرَفَةَ قَبْلَ طُلُوعِ الْفَجْرِ مِنْ لَيْلَةٍ جَمَعَ، فَقَدْ تَمَّ حُجُّهُ»^(٣).

ومعنى قوله صلى الله عليه وسلم: (الحج عرفة):

قال المناوي - رحمه الله - : "أي ركنه الأكبر، وذلك لدلالته على أن فاعله يقبل بوجهه إلى الله معرضاً عما سواه". اهـ^(٤).

وقال النووي - رحمه الله - : "الحج عرفة: أي عماده ومعظمه عرفة". اهـ^(٥)

ومعنى ذلك: أن من فاتته الوقوف بعرفة فقد فاتته الحج.

(١) لطائف المعارف (١ / ٢٩٩)

(٢) صحيح: وهو عند أحمد والنسائي والترمذي والحاكم وصححه الألباني في صحيح أبي داود - (٦ / ١٩٦) (١٧٠٤) وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي (٩٢٣) (٢٣/٢).

(٣) صحيح: رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه وغيرهم وصححه الألباني وهو في الصحيح المسند للعلامة الوادعي (٩٠٠) (٦٨٩/١).

(٤) فيض القدير (٣ / ٧٢١)

(٥) شرح مسلم (١ / ١٤٤)

اغتنام يوم النحر:

من النعم التي يفرح بها المسلمون، أن شرع الله لهم هذا اليوم العظيم، وجعله شعيرة من شعائر الدين، يجتمع فيه المسلمون، فيصلون ويذكرون ربهم ويهللونه ويكبرون، ويتقربون إليه بالهدايا والأضاحي، يأكلون ويشربون ويتصدقون على المحتاجين، ويحجون بيت الله الحرام من استطاع منهم، فينحرون الهدى، ويرمون الجمار، ويحلقون ويقصرون تقريباً إلى الله سبحانه وتعالى. ويتزاورون، ويتشبهون بعضهم في وجوه بعض، ويهنئ بعضهم بعضاً، ويدعو بعضهم لبعض بقبول صالح الأعمال، فقد كان السلف الصالح يهنئ بعضهم بعضاً ويدعو بعضهم لبعض. ويتوسعون في مثل هذا اليوم وسائر أيام الأعياد بالمباحات ويلبسون الثياب الجميلة بلا إسراف ولا تبذير.

فضل يوم النحر:

لا يخفى على مسلم فضل هذا اليوم، فأكرم به من يوم وأعظم، فإنه أعظم أيام السنة، وهو يوم الحج الأكبر، فحق لكل مسلم أن يفرح بهذا اليوم: { قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ } [يونس : ٥٨] وقد أقسم الله في كتابه الكريم بهذا اليوم العظيم لعظمته، فقال سبحانه وتعالى { وَالْفَجْرِ وَلَيَالٍ عَشْرٍ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ } [الفجر: ١-٣] . قال مجاهد ومحمد بن كعب ومسروق: الفجر هو يوم النحر. وقال بعضهم: إن الشفع هو يوم النحر، وقال بعضهم هو قوله: " والوتر ". وثبت عند أبي داود عن عبد الله بن قُرْط - رضي الله عنه - عن النبي - صَلَّى الله عليه وسلم - قال: " إِنَّ أَكْثَرَ الْأَيَّامِ عِنْدَ اللَّهِ يَوْمُ النَّحْرِ، ثُمَّ يَوْمُ الْقَرِّ " ^(١) . ويوم القر: هو اليوم الحادي عشر من ذي الحجة. قال ابن بطال: " سمي بذلك لأن الناس يستقرون فيه بمنى " اهـ ^(٢) وقال المناوي: " وهو ثاني يوم النحر لأنهم يقرون فيه أي يقيمون ويستحمون مما تعبوا في الأيام الثلاثة .. يعني يوم التروية ويوم عرفة ويوم النحر " اهـ ^(٣) .

ومن فضل يوم النحر أن الله جعله عقب فريضة عظيمة، وهي أداء مناسك الحج، كما أنه جعل عيد الفطر عقب فريضة الصيام، ليفرح المسلمون بهذه العبادات العظيمة، ويشكروا الله على نعمه، ومنها نعمة الإسلام، فهذا هو الفرح الحقيقي الذي يشرع للمسلم أن يفرح به، كما قال سبحانه: { قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ } [يونس : ٥٨]

(١) صحيح: رواه أبو داود وأحمد والحاكم وصححه الألباني في صحيح أبي داود - (٦ / ١٤) (١٥٤٩) وهو في الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين

للعلامة الوادعي برقم (٨١٢) (٦٣٠/١).

(٢) شرح صحيح البخاري (٤ / ٤١٠):

(٣) فيض القدير (٢ / ٤)

يوم الحج الأكبر:

فَضَّلَ اللهُ يَوْمَ النَّحْرِ عَلَى غَيْرِهِ؛ لِاجْتِمَاعِ كَثِيرٍ مِنْ مَنَاسِكَ الْحَجِّ فِيهِ، وَهُوَ يَوْمُ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: {وَأَذَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ} [التوبة: ٣] .

وقوله تعالى: "يوم الحج الأكبر" هو يوم النحر.

فَقَدْ رَوَى الْبَخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قَالَ: بَعَثَنِي أَبُو بَكْرٍ فِي تِلْكَ الْحَجَّةِ فِي مُؤَذِّنِينَ يَوْمَ النَّحْرِ، نُؤَذِّنُ بِمَنْى: أَنْ لَا يَحُجَّ بَعْدَ الْعَامِ مُشْرِكٌ وَلَا يَطُوفَ بِالْبَيْتِ عُرْيَانٌ.

وَرَوَى التِّرْمِذِيُّ عَنْ عَمْرِو بْنِ الْأَخْوَصِ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - أَنَّهُ شَهِدَ حَجَّةَ الْوَدَاعِ مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَحَمِدَ اللهُ وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَذَكَرَ وَعَظَ ثُمَّ قَالَ: "أَيُّ يَوْمٍ أَحْرَمَ، أَيْ يَوْمٍ أَحْرَمَ، أَيْ يَوْمٍ أَحْرَمَ؟" قَالَ: فَقَالَ النَّاسُ: يَوْمُ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: "فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي بَلَدِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا" ^(١) الْحَدِيثُ.

وَرَوَى التِّرْمِذِيُّ عَنْ عَلِيٍّ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قَالَ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ يَوْمِ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ، فَقَالَ: "يَوْمُ النَّحْرِ" ^(٢). رَوَى مَرْفُوعًا وَمَوْقُوفًا وَالْمَوْقُوفُ أَصَحُّ.

وَكَانَتْ خُطْبَتُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ النَّحْرِ أَنْ عَظَّمَ أَمْرَ هَذَا الْيَوْمِ، وَعَظَّمَ أَمْرَ الدِّمَاءِ وَالْأَمْوَالِ وَالْأَعْرَاضِ، فَجَعَلَ حُرْمَتَهَا كَحُرْمَةِ هَذَا الْيَوْمِ لِفَضْلِهِ وَشَرَفِهِ.

فَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنْ أَبِي بَكْرَةَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قَالَ: لَمَّا كَانَ ذَلِكَ الْيَوْمُ قَعَدَ عَلَى بَعِيرِهِ، وَأَخَذَ إِنْسَانٌ بِخَطَامِهِ، فَقَالَ: «أَتَذَرُونِ أَيْ يَوْمَ هَذَا؟» قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ سِوَى اسْمِهِ، فَقَالَ: «أَلَيْسَ بِيَوْمِ النَّحْرِ؟» قُلْنَا: بَلَى، يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «فَأَيُّ شَهْرٍ هَذَا؟» قُلْنَا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «أَلَيْسَ بِذِي الْحِجَّةِ؟» قُلْنَا: بَلَى، يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «فَأَيُّ بَلَدٍ هَذَا؟» قُلْنَا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ سِوَى اسْمِهِ، قَالَ: «أَلَيْسَ بِالْبَلَدَةِ؟» قُلْنَا: بَلَى، يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا، فَلْيُبَلِّغِ الشَّاهِدَ الْغَائِبَ»، قَالَ: ثُمَّ انْكَفَأَ إِلَى كَبْشَيْنِ أُمْلَحَيْنِ فَذَبَحَهُمَا، وَإِلَى جُرَيْعَةٍ مِنَ الْغَنَمِ فَقَسَمَهَا بَيْنَنَا. وَأَصْلُهُ فِي صَحِيحِ الْبَخَارِيِّ.

فَكَمَا أَنَّهُ لَا يَجُوزُ انْتِهَاكُ حُرْمَةِ الدِّمَاءِ وَالْأَمْوَالِ وَالْأَعْرَاضِ، فَكَذَلِكَ لَا يَجُوزُ انْتِهَاكُ حُرْمَةِ الْبَلَدِ الْحَرَامِ وَالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَانْتِهَاكُ حُرْمَةِ هَذَا الْيَوْمِ الْعَظِيمِ.

وَانْتِهَاكُهُ يَكُونُ بَارْتِكَابَ الْمَعَاصِي فِيهِ، فَإِنْ مِمَّا يُوَسِّفُ أَنْ كَثِيرًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَرْتَكِبُونَ الْمَعَاصِيَ وَالْمَخَالَفَاتِ فِي هَذَا الْيَوْمِ الْمُبَارَكِ بِحُجَّةِ التَّسْلِيَةِ وَالْفَرَحِ، وَلَا يَجُوزُ التَّسْلِيَةُ بِالْمَعَاصِي وَلَا الْفَرَحُ بِهَا، فَبَعْضُهُمْ يَسْتَمِعُ إِلَى الْأَغَانِي، وَبَعْضُهُمْ يَخْتَلِطُ بِالنِّسَاءِ، وَبَعْضُهُمْ يَصُورُ ذَوَاتِ الْأَرْوَاحِ، وَرَبِمَا بَعْضُهُمْ يَسْفِكُ الدَّمَ الْحَرَامَ، وَهَذَا لَا يَصْدُرُ مِمَّنْ يَعِظُمُ حُرْمَاتِ اللهِ، وَإِنَّمَا يَصْدُرُ مِنْ ضَعْفَاءِ الْإِيمَانِ، لَكِنَّ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ تَعْظِيمُ اللهِ، فَسَيُعْظَمُونَ مَا عَظَّمَهُ اللهُ، فَمَنْ تَعْظِيمُ هَذَا الْيَوْمِ: الْوُقُوفُ عِنْدَ حُدُودِ اللهِ وَاجْتِنَابُ نَوَاهِيهِ، فَهَذَا هُوَ حَقِيقَةُ التَّقْوَى كَمَا قَالَ تَعَالَى: {ذَلِكَ وَمَنْ يُعِظْمُ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ} [الحج : ٣٢]

(١) حسن، وهو عند أحمد و ابن ماجه والبيهقي والنسائي وحسنه الألباني في صحيح وضعيف سنن الترمذي - (٧ / ٨٧) (٣٠٨٧)، وأصله في

الصحيحين، وهو في الصحيح المسند للعلامة الوادعي (١١٥٠) (٢٠٤/٢) عن نبيط بن شريط - رضي الله عنه .

(٢) صححه الألباني في صحيح وضعيف سنن الترمذي - (٧ / ٨٨) (٣٠٨٨)

يوم النحر عيد المسلمين:

أعياد المسلمين هي: عيد الأضحى، وعيد الفطر، ويوم عرفة، ويوم الجمعة، وأيام التشريق الثلاثة، أما غيرها من الأعياد المحدثه فليست أعيادا شرعية، كعيد الوحدة، وعيد الثورة، وعيد الأم، وبداية السنة الجديدة وغيرها، فهذه أعياد مبتدعة، لا يجوز الاحتفال بها، لأنها مستوردة من الغرب، ولا يجوز التشبه بهم فقد روى أبو داود عن ابن عمر- رضي الله عنهما- أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "ومن تشبه بقوم فهو منهم" ^(١)

فمن أعياد المسلمين المباركة عيد الأضحى، فقد روى أبو داود عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال: قَدِمَ رسولُ الله - صَلَّى الله عليه وسلم - المدينةَ ولهم يَوْمَانِ يلعبون فيهما، فقال: "ما هذان اليَوْمَانِ؟" قالوا: كنا نلعبُ فيهما في الجاهلية، فقال رسولُ الله - صَلَّى الله عليه وسلم -: "إنَّ اللهَ قدَّ أبدلكُم بهما خَيْرًا مِنْهُمَا: يَوْمُ الأَضْحَى، وَيَوْمُ الفِطْرِ" ^(٢)

وروى الترمذي عن عُبَيْدِ بْنِ عَامِرٍ- رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "يَوْمُ عَرَفَةَ، وَيَوْمُ النَّحْرِ، وَأَيَّامُ التَّشْرِيقِ، عِيدُنَا أَهْلُ الْإِسْلَامِ" ^(٣)

- ومن الغنيمة في هذا اليوم، التقرب إلى الله تعالى بالأضاحي، والأكل منها، والصدقة منها، وإطعام البائس الفقير، ومشاركته الفرحه في هذا اليوم العظيم، ليتعفف عن سؤال الناس يوم العيد، ويغتني بالذكر وصلة الأرحام ونحو ذلك من الأعمال الصالحة، فإن هذا اليوم آخر أيام العشر المباركات التي يفضل فيها العمل الصالح على الجهاد في سبيل الله كما تقدم .
ففي صحيح مسلم عن عائشة - رضي الله عنها - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "فكلوا وادخروا وتصدقوا". أي: من لحوم الأضاحي.

بعض آداب يوم العيد:

يُشرع في هذا اليوم مخالفة الطريق في الذهاب والإياب من وإلى مصلى العيد، فقد روى البخاري عن جابر- رضي الله عنه - : "أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا خرج إلى المصلى خالف الطريق".
وقد ذكر أهل العلم تعليقات في مخالفة الطريق إلى المصلى يوم العيد.

منها: لتشهد له الطريقان.

ومنها: ليتصدق على أهل الطريقين.

ومنها: لتكثر سواد المسلمين أمام أعداء الدين.

ومنها: لزيارة الأقارب.

ومنها: ليكثر من ذكر الله في الطريقين. وغير ذلك من المقاصد الشرعية.

ويستحب في هذا اليوم المشي على الأقدام إلى المصلى، وعدم الأكل حتى يرجع العبد من مصلاه في الأضحى، بينما في عيد الفطر يأكل تمرات قبل الخروج إلى المصلى، كما كان يفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ففي صحيح البخاري عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ - رضي الله عنه - قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يَغْدُو يَوْمَ الْفِطْرِ حَتَّى يَأْكُلَ تَمْرَاتٍ» «وَيَأْكُلُهُنَّ وَثَرًا».

وفي سنن الترمذي عن بُرَيْدَةَ - رضي الله عنه - قَالَ: "كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يَخْرُجُ يَوْمَ الْفِطْرِ حَتَّى يَطْعَمَ، وَلَا يَطْعَمَ يَوْمَ الْأَضْحَى حَتَّى يُصَلِّيَ" وفي رواية: "حتى ينحر" ^(١)

(١) صحيح: وهو عند أحمد وابن ماجه وصححه الألباني صحيح الترغيب والترهيب - (٢ / ٢٣٢) (٢٠٨٩) وانظر حديث رقم : (٦١٤٩) في صحيح الجامع.

(٢) صحيح: وهو عند أحمد والنسائي وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٥ / ٣٤) برقم (٢٠٢١)

(٣) صحيح : وهو عند أحمد والترمذي وأبي داود وصححه الألباني في صحيح أبي داود - (٧ / ١٧٨) (٢٠٩٠).

ويستحب في هذا اليوم التكبير والتهليل إلى آخر أيام التشريق كما قال تعالى: {كَذَلِكَ سَخَرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ} [الحج: ٣٧] .

التزين ليوم العيد:

يشرع الاغتسال والتجمل في هذا اليوم، ولبس الثياب الجديدة والجميلة أو النظيفة بدون تكلف ولا مفاخرة، فقد كان ابن عمر - رضي الله عنهما - يتجمل للعيد، وأعطى عمر رضي الله عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم حلة يلبسها للعيد والوفود .

فقد روى البخاري عن ابن عمر - رضي الله عنهما - قَالَ : وَجَدَ عُمَرُ حُلَّةً اسْتَبْرَقَ ثَبَاغُ فِي السُّوقِ فَأَتَى بِهَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ابْتَغْ هَذِهِ الْحُلَّةَ فَتَجَمَّلْ بِهَا لِلْعِيدِ وَلِلْوُفُودِ.. "الحديث الشاهد منه مشروعية التجمل بالثياب الجميلة أو الجديدة يوم العيد.

قال ابن بطال - رحمه الله - "فيه أن من السنة المعروفة التجمل للوفد والعيد بحسن الثياب ؛ لأن في ذلك جمالاً للإسلام وأهله ، وإرهاباً على العدو ، وتعظيماً للمسلمين . وقول عمر : (تجمل بها للوفد) يدل أن ذلك من عاداتهم وفعلهم . وقال الأبهري : إنما نهى النبي (صلى الله عليه وسلم) عن الحرير والذهب للرجال ؛ لأنه من زى النساء وفعلهم " . "هـ" (٢)

وقال أيضاً: "التجمل في العيدين بحسن الثياب سنة مندوب إليها كل من يقدر عليها . قال المهلب : وكذلك التجمل في الجماعات والوفود بحسن الثياب مما جرى به العمل.."هـ" (٣)

حضور صلاة العيد واستماع الخطبة:

ويستحب التكبير لحضور صلاة العيد ، وسماع الخطبة بينما يجب حضور صلاة العيد لأمر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك.

فقد روى أبو داود عَنْ أَبِي عُمَيْرٍ بْنِ أَنَسٍ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي عُمُومَتِي مِنَ الْأَنْصَارِ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالُوا: أَعْمِيَ عَلَيْنَا هِلَالٌ شَوَّالٍ، فَأَصْبَحْنَا صِيَامًا، فَجَاءَ رَكْبٌ مِنْ آخِرِ النَّهَارِ، فَشَهِدُوا عِنْدَ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَنَّهُمْ رَأَوْا الْهِلَالَ بِالْأُمْسِ، فَأَمَرَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَنْ يُفْطَرُوا، وَأَنْ يَخْرُجُوا إِلَى عِيدِهِمْ مِنَ الْعَدِّ" (٤).

الشاهد أنه صلى الله عليه وسلم أمرهم أن يخرجوا إلى صلاة العيد ، والأمر يقتضي الوجوب، كما هو معلوم من القواعد الشرعية ومقتضى اللغة العربية.

فمن فاتته صلاة العيد وجب عليه أن يصليها، ولو منفردا مادام وقتها باقيا وهو إلى قبيل الزوال ، وينتهي وقتها بقبيل زوال الشمس عن كبد السماء، فإن خرج وقتها ، قضاهما من اليوم الثاني كما تقدم في الحديث الأنف الذكر.

قال البخاري - رحمه الله - باب إِذَا فَاتَهُ الْعِيدُ يُصَلِّي رَكَعَتَيْنِ.

وَكَذَلِكَ النِّسَاءُ ، وَمَنْ كَانَ فِي الْبُيُوتِ وَالْقُرَى.

لِقَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : "هَذَا عِيدُنَا أَهْلَ الْإِسْلَامِ".

وَأَمَرَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ مَوْلَاهُمُ ابْنُ أَبِي عُبَيْدَةَ بِالزَّوَايَةِ فَجَمَعَ أَهْلَهُ وَبَنِيهِ وَصَلَّى كَصَلَاةِ أَهْلِ الْمِصْرِ وَتَكْبِيرِهِمْ.

(١) صحيح : وهو عند أحمد والحاكم والبيهقي وصححه الألباني في صحيح وضعيف سنن الترمذي - (٢ / ٤٢) (٥٤٢) والتعليقات على صحيح ابن حبان المجلد الرابع: [٢٠٩٩ - ٢٩٤٣] - (٤ / ١٣٩٢) (٢٨٠١) و((المشكاة)) (١٤٤٠) .

(٢) شرح صحيح البخاري (٥ / ٢١٦)

(٣) شرح صحيح البخاري - (٢ / ٥٤٧)

(٤) صحيح: صححه الألباني في صحيح ابن ماجه - (١ / ٢٧٦) (١٣٤٠) والوادعي في الصحيح المسند (١٥١٦) (٥٢/٢) وهو عند ابن ماجه وأحمد.

وَقَالَ عِكْرَمَةُ أَهْلُ السَّوَادِ يَجْتَمِعُونَ فِي الْعِيدِ يُصَلُّونَ رَكَعَتَيْنِ كَمَا يَصْنَعُ الْإِمَامُ.
وَقَالَ عَطَاءٌ إِذَا فَاتَهُ الْعِيدُ صَلَّى رَكَعَتَيْنِ.

وروى البخاري أيضا عن أُمِّ عَطِيَّةَ - رضي الله عنها - قَالَتْ: أَمَرْنَا أَنْ نُخْرِجَ الْحَيْضَ يَوْمَ الْعِيدَيْنِ،
وَدَوَاتِ الْخُذُورِ فَيَشْهَدَنَّ جَمَاعَةُ الْمُسْلِمِينَ، وَدَعَوْتُهُمْ» الحديث.
الشاهد من هذا الحديث أنه صلى الله عليه وسلم أمر النساء بالخروج إلى مصلى العيد، وهن لا تجب
عليهن الجمعة والجماعة فيكون في حق الرجال من باب أولى.
وقال بعض أهل العلم بوجوب صلاة العيد على النساء، لكن الصحيح أنها لا تجب إلا على الرجال.

صلاة الأرحام يوم العيد:

لا مانع من المزاورة في مثل هذا اليوم وصلة الأرحام بدون تخصيص، على أنه لا يجوز قطع الأرحام
في غير الأعياد، لأن من الناس من لا يصل أرحامه إلا أيام الأعياد، وهذا تقصير ونوع من القطيعة
ولا يجوز ذلك.

ويجب على المسلم أن يتجنب المخالفات أثناء صلاة الأرحام، من مصافحة النساء الأجنبية، والاختلاط
بهن، أو الخلوة بالمرأة الأجنبية، فإنه لا يجوز مصافحة النساء الأجنبية، ولا الاختلاط بهن، فقد بين الله
مَنْ هُنَّ الْمَحَارِمُ اللَّاتِي يَجُوزُ الْإِخْلَاطُ بِهِنَّ وَمَصَافَحَتُهُنَّ وَنَحْوُ ذَلِكَ فِي سُورَةِ النَّسَاءِ بِقَوْلِهِ: {حُرِّمَتْ
عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمْ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ
وَأَخَوَاتُكُمْ مِّنَ الرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَائِكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ مِّنْ نِّسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَإِنْ لَمْ
تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ} [النساء: ٢٣].

"والرَّبِّيَّةُ": هي بنت الزوجة من رجل آخر، فهي من المحارم، "وحلائل الأبناء": هن زوجات الأبناء
وهن من المحارم.

فهؤلاء هن المحارم، أما غيرهن فليس محارم، كزوجة الأخ، وزوجة العم، وزوجة الخال، وبنت العم أو
بنت العمّة، وبنت الخال أو بنت الخالة، وغيرهن، فلا يجوز الاختلاط بهن، ولا الخلوة بهن، ولا
مصافحتهن.

فقد روى البخاري ومسلم عن عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ - رضي الله عنه -: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:
«إِيَّاكُمْ وَالدُّخُولَ عَلَى النِّسَاءِ» فَقَالَ رَجُلٌ مِّنَ الْأَنْصَارِ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَفَرَأَيْتَ الْحَمُومَ؟ قَالَ: «الْحَمُومُ
الْمَوْتُ».

وروى الطبراني عن مَعْقِلِ بْنِ يَسَارٍ - رضي الله عنه - قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَأَنْ
يُطْعَنَ فِي رَأْسِ أَحَدِكُمْ بِمِخِيطٍ مِنْ حَدِيدٍ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَمَسَّ امْرَأَةً لَا تَحِلُّ لَهُ»^(١)
فلا يجوز للمسلمين أن يقابلوا هذه الشعائر وهذه النعم بالمعاصي والمخالفات، وإنما يجب أن يقابلوها
بالطاعات والشكر لعل الله أن يتقبل منهم ويغفر لهم.

(١) صحيح: صححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١ / ٣٩٥) وهو عند البيهقي.

اغتنام أيام التشريق.

ومن أيام الله المعظمة في شرعنا أيام التشريق، وهي: الحادي عشر والثاني عشر والثالث عشر من شهر ذي الحجة، وسميت أيام التشريق لأن الحجاج كانوا يشرقون فيها لحوم الأضاحي على الشمس لئلا تفسد. قال الشيخ عطية بن محمد بن سالم: "وسميت أيام التشريق تشريقاً؛ لأنهم كانوا في الإسلام وقبل الإسلام، تكثر لحوم الأضاحي والهدايا عن حاجة يومهم فيدخرون لحومها، فكانوا يشرحونها شرائح رقيقة، وينشرونها على الصخور أو على الجبال حتى تتعرض إلى أشعة الشمس، فيذهب عنها الرطوبة التي هي سبب في فسادها. اهـ^(١)."

وأيام التشريق هي الأيام المعدودات التي ذكرها الله في كتابه، وأمر عباده بذكره فيها فقال: {وَأَذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ} [البقرة: ٢٠٣]. قال المفسر البغوي - رحمه الله -: الأيام المعدودات هي أيام التشريق، والأيام المعلومات هي أيام عشر ذي الحجة. اهـ.

اغتنام أيام التشريق بذكر الله:

يستحب الإكثار من ذكر الله في أيام التشريق، لما روى مسلم وأبو داود عن نُبَيْشَةَ الْهَذَلِيَّ - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَيَّامُ التَّشْرِيقِ أَيَّامُ أَكْلٍ وَشُرْبٍ وَذَكَرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ». فينبغي على المسلمين عموماً، وعلى الحجاج خصوصاً، أن تلهج ألسنتهم بذكر الله، من التسبيح والتكبير والتلهيل خصوصاً في هذه الأيام، عملاً بقوله تعالى: {وَأَذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَى وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ} [البقرة: ٢٠٣].

قال ابن كثير - رحمه الله - في تفسيره: "قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: "الْأَيَّامُ الْمَعْدُودَاتُ" أَيَّامُ التَّشْرِيقِ، وَالْأَيَّامُ الْمَعْلُومَاتُ" أَيَّامُ الْعَشْرِ. وَقَالَ عِكْرَمَةُ: {وَأَذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ} يَعْنِي: التَّكْبِيرُ أَيَّامَ التَّشْرِيقِ بَعْدَ الصَّلَوَاتِ الْمَكْتُوبَاتِ: اللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ أَكْبَرُ. اهـ.

وقال السعدي - رحمه الله -: "أمر تعالى بذكره في الأيام المعدودات، وهي أيام التشريق الثلاثة بعد العيد، لمزيتها وشرفها، وكون بقية أحكام المناسك تفعل بها، ولكون الناس أضيافاً لله فيها، ولهذا حرم صيامها، فلذا ذكر فيها مزية ليست لغيرها، ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم: "أيام التشريق، أيام أكل وشرب، وذكر الله" ويدخل في ذكر الله فيها، ذكره عند رمي الجمار، وعند الذبح، والذكر المقيد عقب الفرائض، بل قال بعض العلماء: إنه يستحب فيها التكبير المطلق، كالعشر، وليس ببعيد". اهـ. أي أنه يشرع التكبير في هذه الأيام مطلقاً في سائر الأوقات، ويشرع التكبير مقيداً بعد الصلوات.

وقال الله في كتابه الكريم: {فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا} [البقرة: ٢٠٠]. قال المفسر ابن كثير - رحمه الله -: يَأْمُرُ تَعَالَى بِذِكْرِهِ وَالْإِكْثَارِ مِنْهُ بَعْدَ قَضَاءِ الْمَنَاسِكِ وَفَرَاعِهَا. وَقَوْلُهُ: {كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ} اخْتَلَفُوا فِي مَعْنَاهُ، فَقَالَ ابْنُ جَرِيرٍ، عَنْ عَطَاءٍ: هُوَ كَقَوْلِ الصَّبِيِّ: "أَبُو أُمِّهِ"، يَعْنِي: كَمَا يَلْهَجُ الصَّبِيُّ بِذِكْرِ أَبِيهِ وَأُمِّهِ، فَكَذَلِكَ أَنْتُمْ، فَالْهَجُوا بِذِكْرِ اللَّهِ بَعْدَ قَضَاءِ النَّسَكِ. وَكَذَا قَالَ الضَّحَّاكُ وَالرَّبِيعُ بْنُ أَنَسٍ.. وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: كَانَ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ يَقِفُونَ فِي الْمَوْسِمِ فَيَقُولُ الرَّجُلُ مِنْهُمْ: كَانَ أَبِي يُطْعِمُ وَيَحْمِلُ الْحَمَالَاتِ وَيَحْمِلُ الدِّيَاتِ. لَيْسَ لَهُمْ ذِكْرٌ غَيْرُ فِعَالِ آبَائِهِمْ. فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: {فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا}. اهـ.

(١) شرح بلوغ المرام - (١٥٥ / ٣)

وقال المفسر البغوي - رحمه الله - : "فإذا قضيت مناسككم" أي: فرغتم من حجكم ودبختكم نسائكم، أي: دبأحكم، يقال: نسك الرجل ينسك نسكاً إذا دبج نسيكته، وذلك بعد رمي جمرَةِ الْعَقَبَةِ وَالْإِسْتِقْرَارِ بِمَنَى، فَادْكُرُوا اللَّهَ بِالْكَبِيرِ وَالتَّحْمِيدِ وَالتَّنَاءِ عَلَيْهِ، كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ، وَذَلِكَ أَنَّ الْعَرَبَ كَانَتْ إِذَا فَرَغَتْ مِنَ الْحَجِّ وَقَفَتْ عِنْدَ الْبَيْتِ فَذَكَرَتْ مَفَاخِرَ آبَائِهَا". اهـ

أيام التشريق أيام ذبح الأضاحي والهدايا:

ويشرع في هذه الأيام ذبح الهدايا والأضاحي إلى غروب شمس الثالث عشر من ذي الحجة، وهو آخر أيام التشريق وعند غروبها ينتهي وقت الذبح، ويبدأ الذبح من اليوم العاشر من ذي الحجة وهو يوم العيد كما تقدم.

فقد روى الإمام أحمد عن جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ - رضي الله عنه - عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "كُلُّ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ ذَبْحٌ" ^(١)

فيشرع للناس أن يأكلوا ويتصدقوا من هذه اللحوم، ويدخروا منها إلى ما بعد أيام التشريق، ويذكروا الله ويشكروه على هذه النعمة العظيمة.

فقد روى أبو داود عن نُبَيْشَةَ - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صَلَّى الله عليه وسلم -: "إِنَّا كُنَّا نَهْنَأُكُمْ عَنْ لُحُومِهَا أَنْ تَأْكُلُوهَا فَوْقَ ثَلَاثٍ، لَكِي تَسَعَّكُمْ فَقَدْ جَاءَ اللَّهُ بِالسَّعَةِ، فَكُلُوا وَادَّخِرُوا وَاتَّجِرُوا، أَلَا وَإِنَّ هَذِهِ الْأَيَّامَ أَيَّامُ أَكْلِ وَشُرْبٍ وَذِكْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ" ^(٢)

ويجب على العبد أن يخلص لله في هذه القربة، ويشكره عليها، وذلك بتقواه، وصرفها حيث أراد الله، والإكثار من ذكر الله، قال تعالى: {لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومَهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَذَاكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ} [الحج: ٣٧].

وقال سبحانه: {وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ} [الحج: ٣٤].

أيام التشريق من أعياد المسلمين:

إن أيام التشريق أيام عظمها الله في كتابه، وعظمها رسوله صلى الله عليه وسلم في سنته، وهي من أعياد المسلمين، كما ثبت عند الإمام أحمد عن عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ - رضي الله عنه - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ يَوْمَ عَرَفَةَ وَيَوْمَ النَّحْرِ وَأَيَّامَ التَّشْرِيقِ عِيدُنَا أَهْلَ الْإِسْلَامِ، وَهِيَ أَيَّامُ أَكْلِ وَشُرْبٍ وَذِكْرِ اللَّهِ». ورواه الترمذي وأبو داود والحاكم وصححه الألباني.

فأباح الله فيها التوسع بالأكل والشرب، والأكل من لحوم الأضاحي، مع كثرة ذكر الله فيها؛ شكرًا له على نعمه، وعلى ما أحل لهم من بهيمة الأنعام، ونهى عن الصيام فيها؛ لأنها من ضمن الأعياد التي شرعها الله للمسلمين.

(١) صحيح: صححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٥ / ٦١٧) برقم (٢٤٧٦) وهو عند البيهقي

(٢) صحيح: صححه الألباني في صحيح وضعيف سنن أبي داود - (٦ / ٣١٣) (٢٨١٣) والوادعي في الصحيح المسند (١١٤٨) (٢٠٣/٢) وهو عند الإمام أحمد.

تحريم صيام أيام التشريق:

نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الصيام فيها؛ لأنها من أعياد المسلمين، وهي أيام أكل وشرب وذكر الله، ولأن الناس أضياف الله فيها.

فقد روى النسائي عن حمزة بن عمرو الأسلمي - رضي الله عنه - أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "لا تصوموا هذه الأيام أيام التشريق فإنها أيام أكل وشرب"^(١)

قال أهل العلم: لا يجوز صيام أيام التشريق إلا لمن لم يجد الهدي في حق من كان في مكة من الحجاج. فقد روى البخاري عن عائشة، و ابن عمر - رضي الله عنهم - قالاً: «لَمْ يُرَخَّصْ فِي أَيَّامِ النَّشْرِ أَنْ يُصَمَّنَ، إِلَّا لِمَنْ لَمْ يَجِدِ الْهَدْيَ».

وروى الطيالسي عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال: «نَهَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ صَوْمِ سِتَّةِ أَيَّامٍ مِنَ السَّنَةِ، ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ مِنَ النَّشْرِ، وَيَوْمَ الْفِطْرِ، وَيَوْمَ الْأَضْحَى، وَيَوْمَ الْجُمُعَةِ، مُخْتَصَّةً مِنَ الْأَيَّامِ»^(٢)

(١) (صحيح) انظر حديث رقم : (٧٣٥٥) في صحيح الجامع . وهو عند أحمد .

(٢) صحيح: صححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٥ / ٥٢٢) برقم (٢٣٩٨) .

الفصل الثالث : اغتنام الساعات والأوقات المباركة

بعد أن ذكرنا الشهور والأيام والليالي المباركة واغتنامها بفعل الخيرات ،نذكر هنا الساعات والأوقات التي ثبتت بركتها شرعا،وهي كثيرة، فينبغي اغتنامها في طاعة الله، وسنقتصر في هذا الفصل على أوقات الإجابة، والساعات التي يستجاب فيها الدعاء،ونتطرق إلى أسباب الإجابة وموانعها للمناسبة،ولا يلزم أن تكون الساعة ستين دقيقة كما هو في عرف الناس في هذا الزمان ،وإنما تطلق الساعة على الزمن القصير من الوقت،فقد تكون ستين دقيقة أو أقل أو أكثر.

تنبيه:لا تثبت البركة إلا بدليل:

لايجوز إثبات البركة لساعة من الساعات أو لوقت من الأوقات بغير دليل، ولا يجوز كذلك التشاؤم بساعة من الساعات أو بوقت من الأوقات،فإننا نسمع من بعض العامة القول بأن هناك ساعات طيبة، وساعات مشنومة،فتراهم يتحرون الساعة الطيبة - بزعمهم - للعد أو لخروج العروسة من بيت أبيها ودخولها إلى بيت زوجها ونحو ذلك،فهذا كله من الطيرة،وهي من الشرك،وقد أبطلها الشرع . ويستحب التفاؤل بالكلمة الطيبة،فإن التفاؤل شيء،والطيرة شيء آخر،فالتفاؤل حسن ظن بالله،والتطير سوء ظن بالله والعياذ بالله.

فقد روى البخاري ومسلم عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " لا عَدْوَى ، وَلَا طِيْرَةَ يُعْجِبُنِي الْفَأْلُ قَالُوا وَمَا الْفَأْلُ قَالَ الْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ"

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ- رضي الله عنه - عَنْ رَسُولِ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- قَالَ « الطَّيْرَةُ شِرْكٌ الطَّيْرَةُ شِرْكٌ » . ثَلَاثًا « وَمَا مِنَّا إِلَّا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُذْهِبُهُ بِالتَّوَكُّلِ »^(١) . وقوله : "وما منا إلا ولكن الله يذهبه بالتوكل" من قول ابن مسعود رضي الله عنه.

(١) صحيح: رواه أبو داود والترمذي وابن حبان وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١ / ٤٢٨) (٤٢٩) والوادعي في الصحيح المسند (٨٥٨ / ١) (٦٥٩ / ١)

اغتنام الدعاء:

الدعاء من أعظم العبادات، بل هو حقيقة العبادة، لما روى أبو داود عَنِ النَّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ - رضي الله عنهما - قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: "الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ ثُمَّ قَرَأَ: {وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ} وهو عند الترمذي وصححه الألباني.

فينبغي على المؤمن أن يلجأ إلى ربه بالدعاء والتضرع بين يديه، لاسيما وقت المدلهمات والفتن والمعضلات، وأن يتحرى أوقات الإجابة، ويعمل بأسبابها ويجتنب موانعها، لعل الله أن يفرج همه، أو يكشف كربته، أو يقضي دينه، أو يغفر ذنبه، بسبب دعوة يدعو بها فيستجيب الله له.

والعبد إذا دعا ربه فإنه لا يحرم من خيره، فإنه بين ثلاثة أمور كلها خير، فإما أن يستجيب الله له عاجلاً أو آجلاً، أو يصرف عنه من السوء ما لم يحتسب، أو يدخر له دعاءه إلى يوم القيامة فينفعه الله به أحوج ما يكون إليه في ذلك اليوم.

فقد روى الإمام أحمد عن أبي سعيد - رضي الله عنه - أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "ما من مسلم يدعو بدعوة ليس فيها إثم ولا قطيعة رحم إلا أعطاه الله بها إحدى ثلاث، إما أن تعجل له دعوته، وإما أن يدخرها له في الآخرة، وإما أن يصرف عنه من السوء مثلها" قالوا: إذا نكثر، قال: "الله أكثر" (١)

أي: أكثر إجابة. فلا ينبغي إهمال جانب الدعاء فله نفع عظيم في الدنيا والآخرة. وكما قيل:

أتهزأ بالدعاء وتزدرية وما تدري ما صنع الدعاء
سهام الليل لا تخطي ولكن له أمد ولأمد انقضاء

والله تعالى أمر عباده بالدعاء، ووعدهم بالإجابة، وتوعد من استكبر عن دعائه بالنار، قال تعالى: {وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ} [غافر: ٦٠]

اغتنام أوقات الإجابة

هناك أوقات أرشد الله ورسوله صلى الله عليه وسلم إلى تحريها عند الدعاء؛ لكونها أوقاتاً فاضلةً يرجى أن يستجيب الله لمن دعاه فيها، وذلك بعد توفر الشروط وانتفاء الموانع، وإرادة الله سبحانه وتعالى رحمة عبده الداعي بالإجابة، ووجود الأسباب الداعية للإجابة، فإنه كلما كان القلب متصلاً بالله، متلهفاً لإعانتة، حاضراً في مناجاته، مفتقراً إليه، معترفاً به، مقراً بقدرته، موقناً بإجابته، مضطراً إليه، منقطعاً عن غيره، كانت الإجابة أقرب، وهكذا كلما كان الجسد أتعب وأرهق، والعبد أحوج إلى ربه، وأمثلة لطاعته، وأبعد عن معصيته، كانت الإجابة أقرب في جميع أحواله، بإذن الله رب العالمين .

وسنذكر هنا أهمها بأدلتها، وهي كالتالي:

١: آخر ساعة من الليل وقت السحر:

٢- عند السجود.

٣: عند النداء وبين الأذان والإقامة:

(١) صحيح: صححه العلامةان الألباني والوادي، الألباني في صحيح الترغيب والترهيب - (٢ / ١٢٨) (١٦٣١) والوادي في الصحيح المسند (١٢ / ٤١٢) (٣٤٨/١) ورواه البزار وأبو يعلى والحاكم.

- ٤: ساعة من يوم الجمعة:
 ٥: أدبار الصلوات (قبل السلام):
 ٦: في السفر:
 ٧: عند الصوم:
 ٨- عند نزول المطر:
 ٩- عند التحام الجيشين :
 ١٠- دعوة المظلوم:
 ١١- دعوة الوالدين:
 ١٢- دعوة المسلم لأخيه المسلم بظهر الغيب.

١: آخر ساعة من الليل وقت السحر:

إن من الأوقات الفاضلة والمباركة، لهو وقت السحر، والدعاء فيه مستجاب، فقد روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- قَالَ « يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرِ فَيَقُولُ مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ وَمَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ وَمَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ ».

وروى الترمذي عن عمرو بن عبسة- رضي الله عنه - أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول: " أقرب ما يكون الرب من العبد في جوف الليل الآخر، فإن استطعت أن تكون ممن يذكر الله في تلك الساعة فكن" (١)

وروى الطبراني عن عمرو بن عبسة- رضي الله عنه - أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " أفضل الساعات جوف الليل الآخر" (٢).

وكان هذا الوقت فاضلاً، وهو من أوقات الإجابة؛ لأنه وقت النزول الإلهي كما هو مبين في الحديث، ولأنه وقت يغفل فيه الناس وينامون، وهو أقرب إلى الإخلاص والبعد عن الرياء، وحضور القلب وافتقاره إلى ربه، وعدم انشغاله بشيء من أمور الدنيا، وهو وقت صفاء الذهن، وراحة الجسد، وخشوع الجوارح، والبعد عن الإرهاق والمكدرات، فحري أن يستجاب لمن اتصف بهذه الصفات، وينبغي اغتنام هذا الوقت بالعبادات من ذكر واستغفار وصلاة ونحو ذلك، قال تعالى: { الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ } [آل عمران : ١٧].

٢- عند السجود.

دعاء المسلم وهو ساجد بين يدي ربه مستجاب بإذن الله سبحانه وتعالى، لما روى مسلم عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- قَالَ « أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ وَهُوَ سَاجِدٌ فَأَكْثِرُوا الدُّعَاءَ ».

وروى مسلم أيضاً عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قَالَ كَشَفَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- السَّتْرَةَ وَالنَّاسُ صُفُوفٌ خَلْفَ أَبِي بَكْرٍ فَقَالَ « أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّهُ لَمْ يَبْقَ مِنْ مُبَشِّرَاتِ النَّبِيِّ إِلَّا الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ يَرَاهَا الْمُسْلِمُ أَوْ تُرَى لَهُ أَلَا وَإِنِّي نَهَيْتُ أَنْ أَقْرَأَ الْقُرْآنَ رَاكِعًا أَوْ سَاجِدًا فَأَمَّا الرُّكُوعُ فَعَظُمُوا فِيهِ الرَّبُّ عَزَّ وَجَلَّ وَأَمَّا السُّجُودُ فَاجْتَهِدُوا فِي الدُّعَاءِ فَقَمِنْ أَنْ يُسْتَجَابَ لَكُمْ ».

(١) صحيح : صححه الألباني في صحيح وضعيف سنن الترمذي - (٨ / ٧٩) (٣٥٧٩) وحسنه الوادعي في الصحيح المسند (٩١ / ٢) (١٠١٥) وهو عند النسائي

والحاكم.

(٢) صحيح : صححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢ / ٨٣) برقم (٥٥١)

ومن الحكم في ذلك أن السجود أشرف ركن في الصلاة، وغالبا ما يُعبر عن الصلاة بالسجود، ومن ذلك أن العبد يمرغ أشرف عضو في الأرض وهو وجهه تقربا إلى الله، فيكون الله تعالى أقرب إليه برحمته وإجابة دعائه.

قال النووي: "وَهُوَ مُوَافِقٌ لِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: { وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ } وَلِأَنَّ السُّجُودَ غَايَةُ التَّوَضُّعِ وَالْعُبُودِيَّةِ لِلَّهِ تَعَالَى، وَفِيهِ تَمْكِينٌ أَعَزُّ أَعْضَاءِ الْإِنْسَانِ وَأَعْلَاهَا وَهُوَ وَجْهُهُ مِنَ التُّرَابِ الَّذِي يُدَاسُ وَيُمْتَهَنُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ" اهـ^(١).

فينبغي الإكثار من السجود فإنه من أسباب مرافقة النبي صلى الله عليه وسلم. فقد روى الإمام مسلم عن ربيعة بن كعب الأسلمي قال كنت أبيت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتيتُه بوضوئه وحاجته فقال لي « سل » فقلت أسألك مرافقتك في الجنة قال « أو غير ذلك » قلت هو ذلك قال « فأعني على نفسك بكثرة السجود ».

٣: عند النداء وبين الأذان والإقامة:

الدعاء بعد النداء وبينه وبين الإقامة مستجاب، لما روى أبو داود وغيره عن سهل بن سعد - رضي الله عنه - قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « ثِنْتَانِ لَا تَرْدَانِ أَوْ قَلَمًا تَرْدَانِ : الدُّعَاءُ عِنْدَ النَّدَاءِ وَعِنْدَ الْبَاسِ حِينَ يُلْحَمُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا »^(٢)

وقوله: (عند النداء)، أي: عند تمام الأذان.

وروى أبو داود عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « لَا يَرُدُّ الدُّعَاءُ بَيْنَ الْأَذَانِ وَالْإِقَامَةِ »^(٣)

وذلك لشرف هذا الوقت، لأنه وقت عبادة وتفرغ لها وهو بين عبادتين عظيمتين وهما الأذان والصلاة. وهو وقت تفتح فيه السماء فيستجاب فيه الدعاء.

فقد روى الحاكم وغيره عن أبي أمامة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إذا نادى المنادي فتحت أبواب السماء واستجيب الدعاء" صححه الألباني^(٤).

وفي هذين الوقتين تفر الشياطين عند سماع النداء والإقامة.

فقد روى البخاري ومسلم واللفظ للبخاري عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ أَدْبَرَ الشَّيْطَانُ وَلَهُ ضُرَاطٌ حَتَّى لَا يَسْمَعَ التَّأَذِينَ فَإِذَا قُضِيَ النَّدَاءُ أَقْبَلَ حَتَّى إِذَا تُؤَبَّ بِالصَّلَاةِ أَدْبَرَ حَتَّى إِذَا قُضِيَ التَّوْبِيبُ أَقْبَلَ حَتَّى يَخْطُرَ بَيْنَ الْمَرْءِ وَنَفْسِهِ يَقُولُ أَذْكَرُ كَذَا أَذْكَرُ كَذَا لِمَا لَمْ يَكُنْ يَذْكُرُ حَتَّى يَظِلَّ الرَّجُلُ لَا يَدْرِي كَمْ صَلَّى".

٤: ساعة من يوم الجمعة:

في يوم الجمعة ساعة يستجاب فيها الدعاء، فقد روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر يوم الجمعة فقال: "فِيهِ سَاعَةٌ لَا يُوَافِقُهَا عَبْدٌ مُسْلِمٌ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي يَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى شَيْئًا إِلَّا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ" وأشار بيده يقللها.

ومعنى: وهو قائم يصلي: أي يدعو، ومعنى يقللها، أي: يصغرها.

وقد اختلف أهل العلم في تعيين هذه الساعة إلى أقوال كثيرة، أرجحها وأرجاها أنها آخر ساعة من يوم الجمعة بعد العصر، لما روى أبو داود عن جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما - عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

(١) شرح مسلم (٢ / ٢٣٨)

(٢) صحيح: صححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب - (١ / ٦٥) (٢٦٦)، وهو عند الحاكم وابن حبان.

(٣) صحيح: صححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب - (١ / ٦٥) (٢٦٥) وهو عند الترمذي والنسائي وابن خزيمة وابن حبان.

(٤) (صحيح) انظر حديث رقم: (٨٠٣) في صحيح الجامع

عليه وسلم- أَنَّهُ قَالَ « يَوْمُ الْجُمُعَةِ ثِنْتَا عَشْرَةَ ». يُرِيدُ سَاعَةً « لَا يُوجَدُ مُسْلِمٌ يَسْأَلُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ شَيْئًا إِلَّا آتَاهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فَالْتَمِسُوهَا آخِرَ سَاعَةٍ بَعْدَ الْعَصْرِ »^(١)

ذكر الخلاف في هذه الساعة:

نذكر كافة الأقوال في تعيين هذه الساعة لمن أراد أن يجمع بينها فيدعو في جميعها:

- ١- هي آخر ساعة من يوم الجمعة، وهو الراجح كما تقدم.
- ٢- وقيل: هي من بعد صلاة العصر إلى غروب الشمس .
- ٣- وقيل: هي من بعد طلوع الفجر إلى طلوع الشمس .
- ٤- وقيل: هي عند زوال الشمس .
- ٥- وقيل: هي ما بين أن تزيغ الشمس بشبر إلى ذراع .
- ٦- وقيل: هي إذا أذن المؤذن للصلاة .
- ٧- وقيل: هي الساعة التي اختار الله فيها الصلاة، أي صلاة الجمعة .
- ٨- وقيل: هي إذا جلس الإمام على المنبر .
- ٩- وقيل: هي عند الإقامة .
- ١٠- وقيل: هي ما بين أن يحرم البيع إلى أن يحل.
- ١١- وقيل: هي ما بين مجلس الإمام إلى أن تقضى الصلاة^(٢).

٥: أدبار الصلوات (قبل السلام):

الدعاء في أدبار الصلوات مستجاب ، لما روى الترمذي عن أبي أمامة - رضي الله عنه - قال : قيل لرسول الله صلى الله عليه و سلم أي الدعاء أسمع ؟ قال: " جوف الليل الآخر ودبر الصلوات المكتوبات"^(٣)

وروى أبوداود عن مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ - رضي الله عنه - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- أَخَذَ بِيَدِهِ وَقَالَ « يَا مُعَاذُ وَاللَّهِ إِنِّي لأُحِبُّكَ وَاللَّهِ إِنِّي لأُحِبُّكَ » . فَقَالَ « أَوْصِيكَ يَا مُعَاذُ لَا تَدْعَنَّ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ تَقُولُ اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ »^(٤)

وأدبار الصلوات هو قبل السلام ورجحه شيخ الإسلام ابن تيمية والعلامة ابن عثيمين رحمهما الله تعالى.

قال شيخ الإسلام : "دُبُرُ كُلِّ شَيْءٍ مِنْهُ ، كدُبُرِ الْحَيَوَانِ"^(٥) .

وقال ابن عثيمين: "ماورد من الدعاء مقيدا بدبر الصلاة فهو قبل السلام ، وماورد من الذكر مقيدا بدبر الصلاة فهو بعد الصلاة لقوله تعالى: { فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَادْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِكُمْ } [النساء : ١٠٣] اهـ"^(٦)

(١) صحيح: صححه الألباني في صحيح أبي داود - (٤ / ٢١٦) (٩٦٣) والوادعي في الصحيح المسند (٢٣٨) (١٩٣/١). وهو عند النسائي والحاكم.

(٢) انظر كتاب شرح صحيح البخارى - لابن بطل - (٢ / ٥٢٠-٥٢١)

(٣) صحيح: صححه الألباني صحيح الترغيب والترهيب - (٢ / ١٣١) (١٦٤٨).

(٤) صحيح: ورواه أحمد والنسائي وابن حبان والحاكم وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب - (٢ / ١١٩) (١٥٩٦) والوادعي في الصحيح المسند (١١٠٧) (١٦٩/٢)

(٥) زاد المعاد (١ / ٢٨٥)

(٦) كتاب الدعاء ص (٥٤)

٦: في السفر:

للمسافر دعوة مستجابة لما روى أبو داود عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رضي الله عنه - أَنَّ النَّبِيَّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ « ثَلَاثُ دَعَوَاتٍ مُسْتَجَابَاتٌ لَا شَكَّ فِيهِنَّ دَعْوَةُ الْوَالِدِ وَدَعْوَةُ الْمُسَافِرِ وَدَعْوَةُ الْمَظْلُومِ »^(١). وكانت دعوة المسافر مستجابة؛ لشدة حاجته، وافتقاره إلى ربه، وغريته عن بلده، وغيابه عن أهله وأقاربه، ولما يصاب به من العناء والإرهاق والتعب والجوع والعطش أثناء سفره. ففي الصحيحين عن أَبِي هُرَيْرَةَ - رضي الله عنه - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ « السَّفَرُ قِطْعَةٌ مِنَ الْعَذَابِ يَمْنَعُ أَحَدَكُمْ نَوْمَهُ وَطَعَامَهُ وَشَرَابَهُ فَإِذَا قَضَى أَحَدُكُمْ نَهْمَتَهُ مِنْ وَجْهِهِ فَلْيُعَجِّلْ إِلَى أَهْلِهِ ».

٧: عند الصوم:

للصائم دعوة مستجابة، في رمضان وفي غيره، لما روى البيهقي وغيره عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أَنَّ النَّبِيَّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ «ثلاث دعوات مستجابات : دعوة الصائم و دعوة المظلوم و دعوة المسافر»^(٢)

وروى الإمام أحمد عَنْ أَبِي سَعِيدٍ - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " إِنْ لِلَّهِ عِتْقَاءٌ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، وَإِنْ لِكُلِّ مُسْلِمٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ " ^(٣) والحديث في فضل شهر رمضان وصيامه، والشاهد منه أن دعوة الصائم مستجابة. وكانت دعوة الصائم مستجابة لفضل الصيام، وقرب الصائم من ربه، وانشغاله بطاعته، وسمته، وحسن خلقه، وبعده عن المعاصي والشهوات، وذلك لخلو جوفه من الطعام وضعف جسده، ولأن مجاري الشيطان مضيقه عنده، ونحو ذلك من الحكم، فكان ذلك أدعى للإجابة.

تنبيه:

كثير من الصائمين يحجم عن الدعاء سائر يومه، إلى قبيل إفطاره بلحظات، فيدعو عند إفطاره، اعتماداً على حديث ضعيف وهو: (ثلاثة لا ترد دعوتهم : الإمام العادل و الصائم حين يفطر و دعوة المظلوم يرفعها الله تعالى فوق الغمام و تفتح لها أبواب السماء و يقول الرب تبارك و تعالى : و عزتي لأنصرنك و لو بعد حين) ^(٤)

وجاء الحديث بالفاظ أخرى مضمونها أن للصائم دعوة مستجابة عند فطره كلها ضعيفة، والصحيح أن للصائم دعوة مستجابة سائر يومه كما تقدم من حديث أبي هريرة الأنف الذكر، فينبغي على الصائم أن يغتنم صومه بالإكثار من الدعاء في سائر الأوقات.

٨- عند نزول المطر:

يستجاب الدعاء وقت نزول المطر، لما روى أبو داود عن سهل بن سعد - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " ثنتان ما تردان : الدعاء عند النداء و تحت المطر " ^(٥). قال بعض أهل العلم وذلك لأنه وقت نزول الرحمة.

(١) صحيح: صحيحه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب - (٢ / ١٣١) (١٦٤٨) وهو عند أحمد والترمذي .

(٢) حسن: حسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢ / ٩٥) (٥٩٦) وهو عند الترمذي وأبي داود وأحمد وابن حبان.

(٣) كتاب الدعاء ص (٥٤)

(٤) ضعيف: رواه أحمد والترمذي والبيهقي عن أبي هريرة - رضي الله عنه . قال الشيخ الألباني في الجامع الصغير وزيادته - (١ / ٦٣٤) : (ضعيف) انظر

حديث رقم : (٢٥٩٢) في ضعيف الجامع.

(٥) (حسن) رواه الحاكم وحسنه الألباني، انظر حديث رقم : (٣٠٧٨) في صحيح الجامع

مصادقه مارواه مسلم عن أنس - رضي الله عنه - قال: أَصَابَنَا وَنَحْنُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- مَطَرٌ، قَالَ فَحَسَرَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- تَوْبَهُ حَتَّى أَصَابَهُ مِنَ الْمَطَرِ.

قال النووي: "مَعْنَى (حَسَرَ) : كَشَفَ ، أَيْ : كَشَفَ بَعْضَ بَدَنِهِ ، وَمَعْنَى (حَدِيثَ عَهْدٍ بِرَبِّهِ) أَيْ بِنُكُوبِ رَبِّهِ إِيَّاهُ ، مَعْنَاهُ أَنَّ الْمَطَرَ رَحْمَةٌ ، وَهِيَ قَرِيبَةُ الْعَهْدِ بِخَلْقِ اللَّهِ تَعَالَى لَهَا فَيَتَبَرَّكُ بِهَا . وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ دَلِيلٌ لِقَوْلِ أَصْحَابِنَا أَنَّهُ يُسْتَحَبُّ عِنْدَ أَوَّلِ الْمَطَرِ أَنْ يَكْشِفَ غَيْرَ عَوْرَتِهِ لِئِنَالَهُ الْمَطَرُ.." اهـ^(١)

٩- عند التحام الجيشين :

يستجاب دعاء المسلم تحت ظلال السيوف عندما يلتحم الجيشان، لما روى أبو داود عن سهل بن سعد رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " ثَنَّتَانِ لَا تَرْدَانِ : الدَّعَاءُ عِنْدَ النِّدَاءِ وَ عِنْدَ الْبَأْسِ حِينَ يَلْحَمُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا "^(٢) .
وكان الدعاء مستجابا في هذا الموطن ؛ لأن الجهاد في سبيل الله من أعظم الشعائر، ومن أفضل الأعمال ، وفيه نصرة للحق، وإقامة للدين، وكسر لشوكة الكفر والشرك ، وخذيلة للباطل، وفيه مخاطرة بالنفس والمال في سبيل الله، من سفك الدماء، وإزهاق الأرواح، والخوف، والجوع، والعطش، والسهر، ونحو ذلك، فحري أن يستجاب للمجاهد.
ولهذا روى النسائي عن رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم : أن رجلا قال يا رسول الله ما بال المؤمنين يفتنون في قبورهم إلا الشهيد قال: " كفى ببارقة السيوف على رأسه فتنة "^(٣)
وسياتي ذكر بعض فضائل الجهاد في سبيل الله في باب الأعمال المباركة إن شاء الله تعالى.

١٠- دعوة المظلوم:

يستجاب للمظلوم دعاؤه ولو كان فاجرا ، ولو كان كافرا، وحسابه على ربه،،فينبغي على المظلوم أن يلجأ إلى القوي سبحانه في هذه الحالة ويغتنم الفرصة بالدعاء على من ظلمه، فإن نواصي العباد بيديه سبحانه وتعالى .

فقد روى البخاري ومسلم عن معاذ بن جبل - رضي الله عنه - أن رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَهُ: "وَأَتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ"
وروى أبو داود عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رضي الله عنه - أَنَّ النَّبِيَّ -صلى الله عليه وسلم- قَالَ « ثَلَاثٌ دَعَوَاتٍ مُسْتَجَابَاتٌ لَا تَكُنْ فِيهِنَّ دَعْوَةُ الْوَالِدِ وَدَعْوَةُ الْمُسَافِرِ وَدَعْوَةُ الْمَظْلُومِ »^(٤)

وروى الطبراني عن خزيمة بن ثابت - رضي الله عنه - قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "انقوا دعوة المظلوم فإنها تحمل على الغمام يقول الله وعزتي وجلالي لأنصرنك ولو بعد حين "^(٥)
وروى أحمد والطيالسي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " دعوة المظلوم مستجابة وإن كان فاجرا ففجوره على نفسه "^(٦)
وروى أحمد عن أبي عبد الله الأسدي قال سمعت أنس بن مالك - رضي الله عنه - يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "دعوة المظلوم وإن كان كافرا ليس دونها حجاب "^(٧)

(١) شرح صحيح مسلم (٣ / ٣٠٢) .

(٢) صحيح: صححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب - (١ / ٦٥) (٢٦٦) ، وهو عند الحاكم وابن حبان .

(٣) صحيح: صححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب - (٢ / ٦٨) (١٣٨٠)

(٤) صحيح: صححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب - (٢ / ١٣١) (١٦٤٨) وهو أحمد والترمذي .

(٥) حسن: حسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢ / ٤٤٤) (٨٧٠)

(٦) حسن: حسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب - (٢ / ٢٦٥) (٢٢٢٩)

(٧) حسن: حسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب - (٢ / ٢٦٥) (٢٢٣١)

وكانت دعوة المظلوم مستجابة لشدة لجوئه إلى الله تعالى وافتقاره إليه، وانقطاعه عما سواه، وأنه ليس له ناصر إلا الله، ولقبح الظلم وسوء عاقبته، ولأن الله وعد المظلوم بنصرته ولو بعد حين .

فلا يستعجل المظلوم على الإجابة فإن الله وعد بالانتصار له ولو بعد حين، فإن بعض الناس من المظلومين يرى الظالم في أمن وعافية فيبأس، ويترك الدعاء، فإن الإجابة قد تؤخر حيناً من الدهر لحكمة بالغة لا يعلمها المظلوم، وربما هو استدراج من الله تعالى للظالم ثم يأخذه أخذ عزيز مقتدر.

ولا يأمن الظالم من مكر الله به ، ولا يأمن من دعوة المظلوم ، فإنها تسري إلى السماء كالسهم، فقد روى الحاكم عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "اتَّقُوا دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ، فَإِنَّهَا تَصْعَدُ إِلَى اللَّهِ كَأَنَّهَا شَرَارَةٌ"^(١).

وما أحسن قول القائل:

لا تظلمن إذا ما كنت مقتدرًا :: فالظلم آخره يفضي إلى الندم
تنام عيناك والمظلوم منتبّه :: يدعو عليك وعين الله لم تنم

فهم خاطئ:

بعض العامة يعتقد أن الدعاء على الظالم يقع على الظالم والمظلوم، وحجتهم في ذلك قول الملك: "ولك مثل" فإذا ما قيل للمظلوم: لماذا ماتدعو على من ظلمك؟ يقول: "الدعوة نصفان، ولكن حسبي عليه الله" وهذا غير صحيح، فقد تقدم أن دعوة المظلوم مستجابة ولو كان فاجراً، وأما قول الملك: "ولك مثل" هذا في حق من دعا لأخيه بخير، فإن الملك يقول ولك مثل.

١١- دعوة الوالدين:

دعوة الوالدين لولدهما مستجابة لما روى ابن ماجه عن أَبِي هُرَيْرَةَ - رضي الله عنه - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : "ثَلَاثُ دَعَوَاتٍ يُسْتَجَابُ لَهُنَّ ، لَا شَكَّ فِيهِنَّ : دَعْوَةُ الْمَظْلُومِ ، وَدَعْوَةُ الْمُسَافِرِ ، وَدَعْوَةُ الْوَالِدِ لِوَلَدِهِ"^(٢)

فليغتنم الولد هذا المقام العظيم، وليطلب الدعاء من والديه، قبل أن يموتا، فيغلق عليه باب من أبواب الخير، وليحرص على طاعتهم والإحسان إليهما ليظفر بدعائهما والأجور المترتبة على برهما.

وهكذا ليحذر الولد من عقوق الوالدين، فيخشى على العاق أن تصيبه سهامهما وذلك بالدعاء عليه. فقد روى الترمذي عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " ثلاث دعوات مستجابات لا شك فيهن دعوة المظلوم ودعوة المسافر ودعوة الوالد على ولده"^(٣)

وكانت دعوة الوالدين مستجابة؛ لحرصهما على الخير للولد وإخلاصهما في الدعاء له، فإنه من المعلوم عند كل أحد أن الوالدين يقدمان مصلحة الولد على مصلحتهما، ولا يريدان أن يريا فيه سوءاً أو مكروهاً، فالوالدان نور للولد يوشك أن ينطفئ.

(١) صحيح: صحيحه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب - (٢ / ٢٦٥) (٢٢٢٨)

(٢) حسن: حسنه الألباني في صحيح وضعيف سنن ابن ماجه - (٨ / ٣٦٢) (٣٨٦٢).

(٣) حسن: حسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب - (٢ / ١٣٣) (١٦٥٥) وهو عند أحمد.

وتكون دعوتهما على الولد مستجابة؛ إذا عقهما ونهرهما، فإنه يصيبهما القهر بسبب ما يحصل منه تجاههما، كونه أقرب الناس إليهما، ولهما الحق عليه، وقد ربّاه وتعبا وسهرا وجاعا من أجله، ثم يصدر منه العقوق! حينها ليس لهما حيلة إلا أن يلجأ إلى الله بالدعاء عليه بقلب محترق ومتضرع، يستغيثان الله منه، فيستجيب الله لهما، فتنزل به العقوبات العاجلة قبل الأجلّة، وهذا ملاحظ ومشاهد في الواقع لا يستطيع أحد إنكاره، فليحذر الأولاد من العقوق، واللبيب من اعتبر بغيره قبل أن يكون هو عبرة لغيره.

نصيحة للوالدين:

وننصح الوالدين بعدم التسرع في الدعاء على الأولاد لأتفه الأسباب، وليدعوا لهم بالهداية والصلاح أولى، فلأن يهديهم الله خير لهما من أن يأخذهم من بين أيديهما، أو يعاقبهم بمصيبة ربما تعم الجميع، فلا ينتفعان منهم، ولا يسلمان من شرهم، فإن بعض الآباء والأمهات يدعون على أولادهم، فيصاب الأولاد، فتدرك الوالدين الشفقة والرحمة، فيتحسران ويندمان على ما صدر منهما، ثم يتضرعان إلى الله بالعفو عن الأولاد المدعو عليهم، لكن بعد أن وقع الفأس على الرأس، وربما تضرر الوالدان، فيرهقهما ذلك الولد المبتلى الذي أصابه ذلك الدعاء.

وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن الدعاء على الأولاد، كما روى الإمام مسلم عن جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما - قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- « لَا تَدْعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ وَلَا تَدْعُوا عَلَى أَوْلَادِكُمْ وَلَا تَدْعُوا عَلَى خَدَمِكُمْ وَلَا تَدْعُوا عَلَى أَمْوَالِكُمْ لَا تَوَافِقُوا مِنَ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى سَاعَةً نِيلَ فِيهَا عَطَاءٌ فَيَسْتَجِيبَ لَكُمْ ».

ومن رحمة الله أنه يعفو عن الكثير، فلو استجاب كثيرًا من الدعوات، للحق الضرر بكثير من الناس، قال تعالى: { وَلَوْ يَعْجَلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالُهُمْ بِالْخَيْرِ لَفُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجْلُهُمْ فَنَذَرُ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ } [يونس : ١١]

تنبيه:

لا تضر دعوة الوالدين على الولد إذا لم يكن عاقا أو مقصرا في حقهما، أو بسبب أنه عصاهما في معصية الله، فدعوا عليه ظلما فإن الله سبحانه وتعالى، لا يستجيب دعوة فيها إثم أو قطيعة رحم كما تقدم،: {وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ} [فصلت : ٤٦]

وهكذا كل من دعا على إنسان ظلما، فإن الله لا يستجيب له ولا يتقبل دعوته، قال تعالى: { إِنَّهُ لَا يَفْلِحُ الظَّالِمُونَ } [الأنعام : ٢١]

١٢ - دعوة المسلم لأخيه المسلم بظهر الغيب.

من الدعوات المستجابات، دعوة المسلم لأخيه المسلم وهو غائب، لما روى الإمام مسلم عن صفوان - وهو ابن عبد الله بن صفوان - وَكَانَتْ تَحْتَهُ الدَّرْدَاءُ قَالَ قَدِمْتُ الشَّامَ فَأَتَيْتُ أَبَا الدَّرْدَاءِ فِي مَنْزِلِهِ فَلَمْ أَجِدْهُ وَوَجَدْتُ أُمَّ الدَّرْدَاءِ فَقَالَتْ أَتُرِيدُ الْحَجَّ الْعَامَ فَقُلْتُ نَعَمْ. قَالَتْ فَادْعُ اللَّهَ لَنَا بِخَيْرٍ فَإِنَّ النَّبِيَّ -صلى الله عليه وسلم- كَانَ يَقُولُ « دَعْوَةُ الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ لِأَخِيهِ بِظَهْرِ الْغَيْبِ مُسْتَجَابَةٌ، عِنْدَ رَأْسِهِ مَلَكٌ مُّوَكَّلٌ كُلَّمَا دَعَا لِأَخِيهِ بِخَيْرٍ قَالَ الْمَلَكُ الْمُوَكَّلُ بِهِ آمِينَ وَلَكَ بِمِثْلٍ ».

وكانت دعوة المسلم لأخيه المسلم بظهر الغيب مستجابة لما جاء في الحديث أن الملائكة تؤمن وتدعو للداعي.

ومن ذلك أنه يدل على إخلاص الداعي في الدعاء وحبه الخير لأخيه المسلم، إذ لا يظهر في ذلك محاباة ولا رياء وذلك لغيبه أخيه عنه والله أعلم.

قال النووي : "أَمَّا قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (بَيَّضَ الْغَيْبَ) فَمَعْنَاهُ : فِي غَيْبَةِ الْمَدْعُودِ لَهُ ، وَفِي سِرِّهِ ؛ لِأَنَّهُ أَبْلَغَ فِي الْإِخْلَاصِ " اهـ ^(١) .

(١) شرح مسلم (٩ / ٩٦)

أسباب الإجابة:

بعد أن ذكرنا أهم أوقات الإجابة، أحببنا أن نذكر الآن ما تيسر من أسباب الاستجابة، وسنذكرها تعداداً ثم ندلل عليها، فمنها:

- ١- الإخلاص.
- ٢- رفع الكفين عند الدعاء.
- ٣- دعاء الشعث التفل رث الهيئة.
- ٤- التوسل إلى الله بالربوبية.
- ٥- الدعاء في السفر.
- ٦- استقبال القبلة.
- ٧- دعاء المضطر.
- ٨- انكسار القلب وافتقاره.
- ٩- الإكثار من الدعاء في الرخاء من أسباب الاستجابة في الشدة.
- ١٠- المداومة على النوافل والإكثار منها.
- ١١- الدعاء بعد (لا إله إلا الله).
- ١٢- العزم والإلحاح في الدعاء.
- ١٣- حسن الظن بالله عند الدعاء.
- ١٤- اليقين عند الدعاء.
- ١٥- حضور القلب عند الدعاء.
- ١٦- الدعاء باسم الله الأعظم.
- ١٧- التوسل بأسماء الله الحسنى والصفات العليا.
- ١٨- التوسل إلى الله بالأعمال الصالحة.
- ١٩- تسبيح الله وتحميده وتكبيره وتمجيده والصلاة على نبيه عند الدعاء.
- ٢٠- بر الوالدين.
- ٢١- الدعاء يوم عرفة.
- ٢٢- خفض الصوت في الدعاء.
- ٢٣- دعاء المريض والمكروب.

دليل الإخلاص:

الدليل على أن الإخلاص من أسباب الاستجابة، قوله تعالى: {هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} [غافر : ٦٥]
قال السعدي في تفسيره: " { فَادْعُوهُ } وهذا شامل لدعاء العبادة، ودعاء المسألة { مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ } أي: اقصدوا بكل عبادة ودعاء وعمل، وجه الله تعالى، فإن الإخلاص، هو المأمور به، كما قال تعالى: { وَمَا أَمْرُو إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ خُنَفَاءَ }
"اهـ."

وقال تعالى: { فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلِكِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ }

[العنكبوت : ٦٥]

الشاهد أن الله تعالى لما علم إخلاصهم استجاب دعاءهم فأنجاهم وهم كفار، ولا يقبل الله سبحانه وتعالى من الأعمال ولا يستجيب من الدعاء إلا ما تحقق فيه شرط الإخلاص.

- دليل رفع الكفين عند الدعاء:

الدليل على أن رفع اليدين عند الدعاء من أسباب الإجابة، ما رواه الترمذي عَنْ سَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم-: «إِنَّ رَبَّكُمْ تَبَارَكَ وَتَعَالَى حَيٌّ كَرِيمٌ يَسْتَحْيِي مَنْ عَبَدَهُ إِذَا رَفَعَ يَدَيْهِ إِلَيْهِ أَنْ يَرُدَّهُمَا صِفْرًا خَائِبَتَيْنِ»^(١).
وحديث أبي هريرة الآتي: وفيه: "يمد يديه إلى السماء.." الحديث

- دليل دعاء الشعث التفل رث الهيئة.

- والتوسل إلى الله بالربوبية.

- وطول السفر.

الدليل على أن دعاء الشعث التفل رث الهيئة مستجاب الدعوة، وكذلك التوسل إلى الله بربوبيته بأن يقول الداعي: يارب، وكذلك طول السفر من أسباب الإجابة، ما رواه مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم-: «أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا وَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ فَقَالَ (يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ) وَقَالَ (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ)». ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلُ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ يَا رَبَّ يَا رَبَّ وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ». وروى مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رضي الله عنه - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- قَالَ: «رُبَّ أَشْعَثَ مَذْفُوعٍ بِالْأَبْوَابِ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لِأَبْرَهُ».

وروى أبو داود عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رضي الله عنه - أَنَّ النَّبِيَّ -صلى الله عليه وسلم- قَالَ: «ثَلَاثُ دَعَوَاتٍ مُسْتَجَابَاتٌ لَا شَكَّ فِيهِنَّ دَعْوَةُ الْوَالِدِ وَدَعْوَةُ الْمُسَافِرِ وَدَعْوَةُ الْمَظْلُومِ»^(٢).

في الحديث الأول دليل على طول السفر، وفي الحديث الثاني دليل على السفر مطلقاً، وكلاهما مستجاب الدعوة، وإن كان طول السفر أرجى، فإنه كلما حصل الإرهاق والتعب أكثر كانت الإجابة أقرب بإذن الله.

- دليل استقبال القبلة.

الدليل على أن استقبال القبلة من أسباب الاستجابة، أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يستقبل القبلة عند الدعاء، كما في حديث الاستسقاء من حديث عَبَادِ بْنِ تَمِيمٍ عَنْ عَمِّهِ قَالَ: رَأَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ خَرَجَ يَسْتَسْقِي، قَالَ: فَحَوَّلَ إِلَى النَّاسِ ظَهْرَهُ، وَاسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ يَدْعُو، ثُمَّ حَوَّلَ رِدَاءَهُ، ثُمَّ صَلَّى لَنَا رَكَعَتَيْنِ جَهَرَ فِيهِمَا بِالْقِرَاءَةِ. رواه البخاري وغيره.

- دليل دعاء المضطر.

الدليل على أن من أسباب الإجابة الاضطراب، وذلك لافتقار القلب إلى الله، وانقطاعه عما سواه، قوله تعالى: {أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ إِلَهُ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ} [النمل: ٦٢]

قال ابن كثير في تفسيره: "أي: مَنْ هو الذي لا يلجأ المضطر إلا إليه، والذي لا يكشف ضر المضرورين سواه" اهـ.

(١) صحيح: صححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب - (٢ / ١٢٨) (١٦٣٥) وهو عند أبي داود وابن ماجه وأحمد والبيهقي والحاكم.

(٢) صحيح: صححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب - (٢ / ١٣١) (١٦٤٨) وهو عند أحمد والترمذي .

- دليل انكسار القلب وافتقاره إلى الله تعالى.

الأدلة على أن دعاء الضعيف منكسر القلب المفتقر إلى الله من أسباب الإجابة قوله تعالى: { ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ } [الأعراف : ٥٥]
وقوله تعالى: { إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ } [الأنبياء : ٩٠]

وحديث حارثة بن وهب الخزاعي - رضي الله عنه - قَالَ : سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: " أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ الْجَنَّةِ كُلِّ ضَعِيفٍ مُتَضَعِّفٍ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لِأَبْرَةٍ أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ النَّارِ كُلِّ عَتَلٍ جَوَاطٍ مُسْتَكْبِرٍ " متفق عليه واللفظ للبخاري.
الشاهد: قوله: " لو أقسم على الله لأبره ".

قال الحافظ ابن حجر وقوله: " لو أقسم على الله لأبره " قيل لو دعا لأجابه.
وقال في موضع آخر : لو أقسم على الله لأبره، أي: لو حلف يميناً على شيء أن يقع طمعاً في كرم الله بإبراره لأبره وأوقعه لأجله، وقيل هو كناية عن إجابة دعائه " اهـ ^(١)
ويدخل تحت هذا أدلة كثيرة كدعوة المظلوم، ودعوة الوالدين، ودعوة الملهوف، ودعوة الغريق، ودعوة اليتيم، والمسكين وغير ذلك، فإن الكل منكسر القلب بين يدي الله سبحانه وتعالى ضعيف مفتقر إلى الله.

- الإكثار من الدعاء في الرخاء من أسباب الاستجابة في الشدة:

الدليل على أن الإكثار من الدعاء في الرخاء من أسباب الاستجابة في الشدة، ما روى الترمذي عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " من سره أن يستجيب الله له عند الشدائد والكرب فليكثر الدعاء في الرخاء " ^(٢)

وروى الطبراني عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة " ^(٣)
وهذا الحديث عام، ويدخل تحته التعرف إلى الله بالدعاء.

- المداومة على النوافل والإكثار منها.

الدليل على أن المداومة على النوافل والإكثار منها من أسباب استجابة الدعاء، ما رواه البخاري عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " إِنَّ اللَّهَ قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أَجِبَهُ فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا وَإِنْ سَأَلَنِي لِأَعْطِيَتْهُ وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لِأُعِيذَنَّهُ وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدَّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ " .

الشاهد قوله: (ولا يزال يتقرب إلي بالنوافل...) إلى قوله: (وإن سألتني لأعطينه ولن استعاذني لأعيزنه)

قال ابن بطال: " ورأيت لبعض الناس أن معنى قوله تعالى: (فأكون عينيه اللتين يبصر بهما وأذنيه وبديه ورجليه) قال: وجه ذلك أنه لا يحرك جارحة من جوارحه إلا في الله والله، فجوارحه كلها تعمل بالحق، فمن كان كذلك لم تُرد له دعوة. اهـ ^(٤) .

(١) فتح الباري (١ / ١٧٣)

(٢) حسن: حسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب - (٢ / ١٢٧) (١٦٢٨) وهو عند الحاكم.

(٣) صحيح: صححه الألباني انظر حديث رقم: (٢٩٦١) في صحيح الجامع . وهو الحاكم.

(٤) شرح صحيح البخاري - لابن بطال - (١٠ / ٢١٢)

- الدعاء بعد (لا إله إلا الله).

- الأدلة على أن الدعاء بعد (لا إله إلا الله) بإخلاص من أسباب الإجابة كثيرة منها:
ما روى الترمذي عن سعد- رضي الله عنه - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " دعوة ذي النون إذ دعا وهو في بطن الحوت لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين ، فإنه لم يدع بها رجل مسلم في شيء قط إلا استجاب الله له" (١)

وروى النسائي عن سعد- رضي الله عنه - قال : كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : "أَلَا أُخْبِرُكُمْ ، أَوْ أَحَدْتُكُمْ ، بِشَيْءٍ إِذَا نَزَلَ بِرَجُلٍ مِنْكُمْ كَرَبٌ أَوْ بَلَاءٌ مِنْ بَلَاءِ الدُّنْيَا دَعَا بِهِ فُرِّجَ عَنْهُ ؟" فَقِيلَ لَهُ : بَلَى ، قَالَ : "دَعَاءُ ذِي النُّونِ : لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ" (٢).

وروى البخاري عن عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ ، رضي الله عنه ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : " مَنْ تَعَارَّ مِنَ اللَّيْلِ فَقَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسُبْحَانَ اللَّهِ ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ ، وَلَا حَوْلَ ، وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ ثُمَّ قَالَ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ، أَوْ دَعَا اسْتَجِيبَ فَإِنْ تَوَضَّأَ وَصَلَّى قُبِلَتْ صَلَاتُهُ".
ومعنى تعار: انتبه و استيقظ من نومه وفي القاموس المحيط: سهر وتقلب في الليل مع كلام.

- دليل العزم والإلحاح في الدعاء.

روى البخاري عن أنس ، رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إِذَا دَعَا أَحَدُكُمْ فَلْيَعِزِّمْ الْمَسْأَلَةَ ، وَلَا يَقُولَنَّ اللَّهُمَّ إِنْ شِئْتَ فَأَعْطِنِي فَإِنَّهُ لَا مُسْتَكْرَهَ لَهُ".
وروى البخاري عن أبي هريرة ، رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " لَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي اللَّهُمَّ ارْحَمْنِي إِنْ شِئْتَ لِيَعِزِّمْ الْمَسْأَلَةَ فَإِنَّهُ لَا مُكْرَهَ لَهُ".
وعند مسلم عن أبي هريرة ، رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم - قال « إِذَا دَعَا أَحَدُكُمْ فَلَا يَقُلِ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي إِنْ شِئْتَ وَلَكِنْ لِيَعِزِّمْ الْمَسْأَلَةَ وَلِيُعْظِمِ الرَّغْبَةَ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَتَعَاطَمُهُ شَيْءٌ أَعْطَاهُ ».

قال المباركفوري : "قوله : (لِيَعِزِّمْ الْمَسْأَلَةَ) : المراد بِالْمَسْأَلَةِ الدُّعَاءُ قَالَ الْعُلَمَاءُ : عَزَمُ الْمَسْأَلَةَ الشَّدَّةُ فِي طَلِبِهَا وَالْحَزْمُ بِهِ مِنْ غَيْرِ ضَعْفٍ فِي الطَّلَبِ وَلَا تَغْلِيْقٍ عَلَى مَشِيئَةٍ وَنَحْوِهَا : وَقِيلَ هُوَ حُسْنُ الظَّنِّ بِاللَّهِ تَعَالَى فِي الْإِجَابَةِ . وَمَعْنَى الْحَدِيثِ اسْتِحْبَابُ الْجَزْمِ فِي الطَّلَبِ وَكَرَاهَةُ التَّغْلِيْقِ عَلَى الْمَشِيئَةِ . قَالَ الْعُلَمَاءُ سَبَبُ كَرَاهَتِهِ أَنَّهُ لَا يَتَحَقَّقُ اسْتِعْمَالُ الْمَشِيئَةِ إِلَّا فِي حَقِّ مَنْ يَتَوَجَّهُ عَلَيْهِ الْإِكْرَاهُ وَاللَّهُ تَعَالَى مُنْزَعٌ عَنْ ذَلِكَ ، وَهُوَ مَعْنَى قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي آخِرِ الْحَدِيثِ : "فَإِنَّهُ لَا مُسْتَكْرَهَ لَهُ" . وَقِيلَ سَبَبُ الْكَرَاهَةِ أَنَّ فِي هَذَا اللَّفْظِ صُورَةَ الْإِسْتِغْنَاءِ عَنِ الْمَطْلُوبِ وَالْمَطْلُوبِ مِنْهُ قَالَهُ النَّوَوِيُّ" (٣) اهـ.

- دليل حسن الظن بالله عند الدعاء.

حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم- « إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي وَأَنَا مَعَهُ إِذَا دَعَانِي » . متفق عليه واللفظ لمسلم.

(١) صحيح: صححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب - (٢ / ١٣٠) (١٦٤٤) وهو عند أحمد والنسائي والحاكم.

(٢) صحيح: صححه الألباني في السلسلة الصحيحة - (٤ / ٢٤٣) (١٧٤٤) . وأخرجه الحاكم من طريق ابن أبي الدنيا.

(٣) تحفة الأحوذى - (٨ / ٣٩٦)

- دليل اليقين عند الدعاء.

روى الترمذي عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة واعلموا أن الله لا يستجيب دعاء من قلب غافل لاه" (١).

- دليل حضور القلب عند الدعاء.

روى الإمام أحمد عن عبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "القلوب أوعية وبعضها أوعى من بعض فإذا سألتهم الله عز وجل يا أيها الناس فاسألوه وأنتم موقنون بالإجابة فإن الله لا يستجيب لعبد دعاه عن ظهر قلب غافل" (٢).

- الدعاء باسم الله الأعظم.

روى أبو داود عن بُرَيْدَةَ - رضي الله عنه - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- سَمِعَ رَجُلًا يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ أَنِّي أَشْهَدُ أَنَّكَ أَنْتَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ الْأَحَدُ الصَّمَدُ الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ. فَقَالَ « لَقَدْ سَأَلْتَ اللَّهَ بِالْإِسْمِ الَّذِي إِذَا سُئِلَ بِهِ أُعْطِيَ وَإِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ » (٣) وروى أبو داود عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ - رضي الله عنه - قَالَ : سَمِعَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلًا يَقُولُ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنَّ لَكَ الْحَمْدَ ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ ، وَحَدِّكَ لَا شَرِيكَ لَكَ ، الْمَنَّانُ ، بَدِيعَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ، ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ، فَقَالَ : "لَقَدْ سَأَلَ اللَّهَ بِأَسْمِهِ الْأَعْظَمِ ، الَّذِي إِذَا سُئِلَ بِهِ أُعْطِيَ ، وَإِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ" (٤).

وأرجح الأقوال أن الاسم الأعظم هو: (الله) فقد ذهب كثير من أهل العلم إلى أن هذا الاسم هو الاسم الأعظم الذي إذا دعي الله به أجاب (قال التستري : " الله : هو الاسم الأعظم الذي حوى الأسماء كلها" وممن قال بهذا ابن خزيمة والطحاوي والإمام الألباني والعلامة الحجوري وغيرهم .

- دليل التوسل بأسماء الله الحسنى والصفات العليا.

قوله تعالى: { وَ لِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا } [الأعراف : ١٨٠] ودليل التوسل بصفات الله قوله تعالى: { وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ } [يونس : ٨٦] وروى النسائي عن السائب قال : صلى بنا عمار بن ياسر صلاة فأوجز فيها فقال له بعض القوم لقد خفت أو أوجزت الصلاة، فقال أما على ذلك فقد دعوت فيها بدعوات سمعتهن من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما قام تبعه رجل من القوم هو أبي غير أنه كنى عن نفسه فسأله عن الدعاء ثم جاء فأخبر به القوم: "اللهم بعلمك الغيب وقدرتك على الخلق أحيني ما علمت الحياة خيرا لي وتوفني إذا علمت الوفاة خيرا لي اللهم وأسألك خشيتك في الغيب والشهادة وأسألك كلمة الحق في الرضا والغضب وأسألك القصد في الفقر والغنى وأسألك نعيما لا ينفد وأسألك قرة عين لا تنقطع وأسألك الرضا بعد القضاء وأسألك برد العيش بعد الموت وأسألك لذة النظر إلى وجهك والشوق إلى لقائك في غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة اللهم زينا بزينة الإيمان واجعلنا هداة مهتدين" (٥).

(١) حسن: حسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب - (٢ / ١٣٣) (١٦٥٣) وهو عند الحاكم.

(٢) حسن: حسنه الألباني في السلسلة الصحيحة - (٢ / ٩٣) (٥٩٤) وهو عند الترمذي

(٣) صحيح: صححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب - (٢ / ١٣٠) (١٦٤٠) والوادعي في الصحيح المسند (١٣١/١) (١٥٢) ورواه الترمذي وابن ماجه وابن حبان

(٤) حسن: حسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٧ / ٢٣) (٣٤١١) وحسنه الوادعي في الصحيح المسند (٩١/١) (١٠١) ورواه أحمد والنسائي وابن ماجه

(٥) صحيح: رواه الحاكم وصححه الألباني في صحيح وضعيف سنن النسائي - (٣ / ٤٤٩) (١٣٠٥)

- دليل التوسل إلى الله بالأعمال الصالحة:

قال تعالى: { الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ } [آل عمران : ١٦]

توسلوا إلى الله بإيمانهم أن يغفر لهم وينجيهم من النار ، والإيمان عمل صالح.

وعن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - قال : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : انْطَلَقَ ثَلَاثَةَ رَهْطٍ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ حَتَّى أَوْوَا الْمَبِيتَ إِلَى غَارٍ فَدَخَلُوهُ فَأَنْحَدَرَتْ صَخْرَةٌ مِنَ الْجَبَلِ فَسَدَّتْ عَلَيْهِمُ الْغَارَ فَقَالُوا إِنَّهُ لَا يُنْجِيكُمْ مِنْ هَذِهِ الصَّخْرَةِ إِلَّا أَنْ تَدْعُوا اللَّهَ بِصَالِحِ أَعْمَالِكُمْ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنْهُمْ اللَّهُمَّ كَانَ لِي أَبَوَانِ شَيْخَانِ كَبِيرَانِ وَكُنْتُ لَا أَغِيقُ قَبْلَهُمَا أَهْلًا وَلَا مَالًا، فَنَأَى بِي فِي طَلَبِ شَيْءٍ يَوْمًا، فَلَمْ أَرْخُ عَلَيْهِمَا حَتَّى نَامَا فَحَلَبْتُ لَهُمَا غُبُوقَهُمَا فَوَجَدْتُهُمَا نَائِمَيْنِ وَكَرِهْتُ أَنْ أَغِيقَ قَبْلَهُمَا أَهْلًا ، أَوْ مَالًا فَلَبِثْتُ وَالْفَدْحُ عَلَى يَدَيَّ أَنْتَظِرُ اسْتِيقَاطَهُمَا حَتَّى بَرَقَ الْفَجْرُ فَاسْتَيْقَظَا فَشَرِبَا غُبُوقَهُمَا اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءً وَجْهَكَ فَفَرِّجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ مِنْ هَذِهِ الصَّخْرَةِ، فَأَنْفَرَجْتُ شَيْئًا لَا يَسْتَطِيعُونَ الْخُرُوجَ ، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَقَالَ الْآخَرُ اللَّهُمَّ كَانَتْ لِي بِنْتُ عَمٍّ كَانَتْ أَحَبَّ النَّاسِ إِلَيَّ فَأَرَدْتُهَا عَنْ نَفْسِهَا فَأَمْتَنَعَتْ مِنِّي حَتَّى أَلَمْتُ بِهَا سَنَةً مِنَ السَّنِينَ فَجَاءَتْنِي فَأَعْطَيْتُهَا عَشْرِينَ وَمِئَةً دِينَارٍ عَلَى أَنْ تَحْلِيَ بَنِيَّ وَبَيْنَ نَفْسِهَا فَفَعَلْتُ حَتَّى إِذَا قَدَرْتُ عَلَيْهَا قَالَتْ لَا أَجِلُ لَكَ أَنْ تَفْضُ الْخَاتِمَ إِلَّا بِحَقِّهِ فَتَحَرَّجْتُ مِنَ الْوُقُوعِ عَلَيْهَا فَانْصَرَفْتُ عَنْهَا وَهِيَ أَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ وَتَرَكْتُ الذَّهَبَ الَّذِي أُعْطِيتُهَا، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءً وَجْهَكَ فَافْرِجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ فَأَنْفَرَجَتْ الصَّخْرَةُ غَيْرَ أَنَّهُمْ لَا يَسْتَطِيعُونَ الْخُرُوجَ مِنْهَا، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَالَ الثَّالِثُ اللَّهُمَّ إِنِّي اسْتَأْجَرْتُ أَجْرَاءَ فَأَعْطَيْتُهُمْ أَجْرَهُمْ غَيْرَ رَجُلٍ وَاحِدٍ تَرَكَ الَّذِي لَهُ وَذَهَبَ فَنَمَرْتُ أَجْرَهُ حَتَّى كَثُرَتْ مِنْهُ الْأَمْوَالُ فَجَاءَنِي بَعْدَ حِينٍ فَقَالَ يَا عَبْدَ اللَّهِ أَدِّ إِلَيَّ أَجْرِي فَقُلْتُ لَهُ كُلُّ مَا تَرَى مِنْ أَجْرِكَ مِنَ الْإِبِلِ وَالْبَقَرِ وَالْغَنَمِ وَالرَّقِيقِ فَقَالَ يَا عَبْدَ اللَّهِ لَا تَسْتَهْزِئْ بِي فَقُلْتُ إِنِّي لَا أَسْتَهْزِئُ بِكَ فَأَخَذَهُ كُلَّهُ فَاسْتَأْفَقَهُ فَلَمْ يَبْرُكْ مِنْهُ شَيْئًا اللَّهُمَّ فَإِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءً وَجْهَكَ فَافْرِجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ فَأَنْفَرَجَتْ الصَّخْرَةُ فَخَرَجُوا يَمْسُونَ". متفق عليه واللفظ للبخاري.

ومعنى ، نأى: أي بُعد، ومعنى: أغبق : أسقى اللبن، والغبوق شرب آخر النهار مقابل الصبح

- دليل تسبيح الله وتحميده وتكبيره وتمجيده والصلاة على نبيه عند الدعاء.

روى أبو داود عن فضالة بن عبيد - رضي الله عنه - أن رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- سمع رجلاً يَدْعُو فِي صَلَاتِهِ لَمْ يُمَجِّدِ اللَّهَ تَعَالَى وَلَمْ يُصَلِّ عَلَى النَّبِيِّ -صلى الله عليه وسلم- فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- « عَجَلْ هَذَا ». ثُمَّ دَعَا فَقَالَ لَهُ أَوْ لِعِيرِهِ « إِذَا صَلَّيْ أَدْحُكُمُ فَلْيَبْدَأْ بِتَحْمِيدِ رَبِّهِ جَلَّ وَعَزَّ وَالتَّنَاءِ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصَلِّ عَلَى النَّبِيِّ -صلى الله عليه وسلم- ثُمَّ يَدْعُو بَعْدَ مَا شَاءَ »^(١)

والذي يظهر من لفظ الحديث أن ذلك يكون في دبر الصلاة بعد التشهد وقبل التسليم، ولا مانع من حمل الحديث على عمومه ، وهو قبل أن يدعو العبد يبدأ بتمجيد الله والتناء عليه ويصلي على نبيه ، ثم يدعو بما شاء ، كما في حديث الرجل الذي سمعه النبي صلى الله عليه وسلم يدعو الله و يثني عليه ويمجده كما عند أبي داود عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ - رضي الله عنه - قَالَ : سَمِعَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلًا يَقُولُ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنَّ لَكَ الْحَمْدَ ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ ، وَحَدِّكَ لَا شَرِيكَ لَكَ ، الْمَنَانُ ، بَدِيعَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ، ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ، فَقَالَ : "لَقَدْ سَأَلَ اللَّهُ بِاسْمِهِ الْأَعْظَمِ ، الَّذِي إِذَا سُئِلَ بِهِ أُعْطِيَ ، وَإِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ"^(٢).

الشاهد أن الرجل مجد الله وأثنى عليه ، ووافق الاسم الأعظم.

ولذلك يشرع في صلاة الجنازة تحميد الله وتمجيده قبل الدعاء للميت ، وذلك عند قراءة الفاتحة بعد التكبيرة الأولى وفيها تحميد وتمجيد لله تعالى ، وبعد التكبيرة الثانية الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم الدعاء للميت بعد التكبيرة الثالثة.

(١) صحيح: صححه الألباني في صحيح أبي داود - (٢٢١ / ٥) (١٣٣١) والوادعي في الصحيح المسند (١٢٤/٢) (١٠٦٤) وهو عند الترمذي وأحمد.

(٢) حسن: حسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٧ / ٢٣) (٣٤١١) وحسنه الوادعي في الصحيح المسند (٩١/١) (١٠١) ورواه أحمد والنسائي وابن ماجه

وروى الإمام أحمد والنسائي عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال جاءت أم سليم إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت : يا رسول الله علمني كلمات أدعو بهن قال: " تسبحين الله عز و جل عشرا وتحمدينه عشرا وتكبرينه عشرا ثم سلي حاجتك فإنه يقول قد فعلت قد فعلت" ^(١)

دليل بر الوالدين.

بر الوالدين من الأعمال الصالحة التي يستجيب الله بسببه الدعاء، ويشرع التوسل إلى الله ببر الوالدين، كما تقدم من توسل الثلاثة نفر إلى ربهم بأعمالهم الصالحة ومنهم رجل بار بوالديه .
وروى الإمام مسلم عن أسير بن جابر قال كان عمر بن الخطاب إذا أتى عليه أمداد أهل اليمن سألهم أفيكم أويس بن عامر حتى أتى على أويس فقال أنت أويس بن عامر قال نعم . قال من مراد ثم من قرن قال نعم.

قال فكان بك برص فبرأت منه إلا موضع درهم قال نعم . قال لك والدته قال نعم . قال سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم- يقول « يأتى عليكم أويس بن عامر مع أمداد أهل اليمن من مراد ثم من قرن كان به برص فبرأ منه إلا موضع درهم له والدته هو بها بر لو أقسم على الله لأبره فإن استطعت أن تستغفر لك فافعل » . فاستغفر لي . فاستغفر له . فقال له عمر أين تريد قال الكوفة . قال ألا أكتب لك إلى عاملها قال أكون في غبراء الناس أحب إلي . قال فلما كان من العام المقبل حج رجل من أشرافهم فوافق عمر فسأله عن أويس قال تركته رث البيت قليل المتاع . قال سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم- يقول « يأتى عليكم أويس بن عامر مع أمداد أهل اليمن من مراد ثم من قرن كان به برص فبرأ منه إلا موضع درهم له والدته هو بها بر لو أقسم على الله لأبره فإن استطعت أن تستغفر لك فافعل » . فأتى أويسا فقال استغفر لي . قال أنت أحدث عهدا بسفر صالح فاستغفر لي . قال استغفر لي . قال أنت أحدث عهدا بسفر صالح فاستغفر لي . قال أقيت عمر قال نعم . فاستغفر له . ففطن له الناس فانطلق على وجهه . قال أسير وكسوته بردة فكان كلما رآه إنسان قال من أين لأويس هذه البردة

دليل الدعاء يوم عرفة.

روى الترمذي عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده - رضي الله عنه - أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "خير الدعاء دعاء يوم عرفة، وخير ما قلت أنا والنبيون من قبلي: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير" ^(٢) .
وهو عام لمن كان في عرفات أو خارج عرفات لفضل هذا اليوم.

ودليل خفض الصوت عند الدعاء:

قوله تعالى: { ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ } [الأعراف : ٥٥]
قال المفسر ابن كثير- رحمه الله - : " قيل معناه: تذللًا واستكانة، و { خُفْيَةً } كما قال: { وَادْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ } [تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ] [الأعراف: ٢٠٥]
وقال المفسر البغوي - رحمه الله - : أي: تذللًا واستكانة "وخفية" أي: سرا قال الحسن: بين دعوة السر والعلن سبعون ضعفًا ولقد كان المسلمون يجتهدون في الدعاء وما يسمع لهم صوت وإن كان إلا همسا بينهم وبين ربهم. اهـ

(١) حسن: حسنه الإمام الوادعي في الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين (٦٠/١) (٤٧).

(٢) حسن: صحيح الترغيب والترهيب - (١٠٦ / ٢) (١٥٣٦)

وَعَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ : كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَكُنَّا إِذَا أَشْرَفْنَا عَلَى وَادٍ هَلَّلْنَا وَكَبَّرْنَا ارْتَفَعَتْ أَصْوَاتُنَا فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " يَا أَيُّهَا النَّاسُ ارْبِعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ فَإِنَّكُمْ لَا تَدْعُونَ أَصَمًّا ، وَلَا غَائِبًا إِنَّهُ مَعَكُمْ إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ تَبَارَكَ اسْمُهُ وَتَعَالَى جَدُّهُ " . متفق عليه .

قال النووي - رحمه الله - : " مَعْنَاهُ : ارْفُقُوا بِأَنْفُسِكُمْ وَاخْفِضُوا أَصْوَاتَكُمْ فَإِنَّ رَفَعَ الصَّوْتِ إِنَّمَا يَفْعَلُهُ الْإِنْسَانُ لِيُعَدَّ مَنْ يُخَاطَبُهُ لِيَسْمِعَهُ وَأَنْتُمْ تَدْعُونَ اللَّهَ تَعَالَى وَلَيْسَ هُوَ بِأَصَمٍّ وَلَا غَائِبٌ بَلْ هُوَ سَمِيعٌ قَرِيبٌ وَهُوَ مَعَكُمْ بِالْعِلْمِ وَالْإِحَاطَةِ ، فَفِيهِ النَّذْبُ إِلَى خَفْضِ الصَّوْتِ بِالذِّكْرِ إِذَا لَمْ تَدْعُ حَاجَةً إِلَى رَفْعِهِ فَإِنَّهُ إِذَا خَفَضَهُ كَانَ أَبْلَغَ فِي تَوْقِيرِهِ وَتَعْظِيمِهِ " . اهـ^(١)

وكان خفض الصوت أقرب إلى إجابة الدعاء؛ لأن فيه تأدبا مع الله سبحانه وتعالى وتعظيما له، بينما رفع الصوت عند الدعاء لغير حاجة، فيه نوع من الاعتداء في الدعاء، ولهذا حث الله على التضرع في الدعاء بين يديه خفية، وختم الآية بدم الاعتداء كما في قوله تعالى: " ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ " [الأعراف : ٥٥]

دليل دعاء المريض والمكروب:

يرجى استجابة دعاء المريض والمكروب؛ لما يكون عندهما من الذل والانكسار بين يدي الله وشدة الحاجة إليه، واليأس مما عند الناس، فإن الغالب على المريض والمكروب أنهما يقبلان على الله بقلوبهما، ولا يلجان إلا إليه تعالى في هذه الحالة، حتى الكفار وقت الشدة والكرب فإنهم يلجئون إلى الله، فحري أن يُستجاب لمن افتقر قلبه إلى الله واستكان لربه وانقطع عن الخلق كائنا من كان. والله تعالى يقول في كتابه الكريم: { أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذْكُرُونَ } [النمل : ٦٢] وقال تعالى: { وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظَّلْلِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ } [لقمان : ٣٢]

موانع الإجابة:

بعد أن ذكرنا أوقات الإجابة وأسبابها، سنتطرق إلى ذكر بعض موانع الإجابة للمناسبة في ذكرها، منها:

- ١- أكل الحرام
- ٢- الدعاء باثم أو قطيعة رحم.
- ٣- استعجال الإجابة
- ٤- الغفلة عند الدعاء.
- ٥- الاعتداء في الدعاء.
- ٦- السكوت عن المنكر مع القدرة على تغييره.

أولاً: أكل الحرام:

أكل الحرام والتكسب من الحرام من أي وجه كان مانع من موانع إجابة الدعاء، وذلك لأن الداعي غدى جسده وأفسد قلبه بالحرام، وسواء كان الحرام في المأكل أو الملبس أو المشرب أو المسكن، فإنه يعد مانعا من موانع الإجابة لأن العلة واحدة.

فقد روى مسلم عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- « يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا وَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ فَقَالَ (يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنْ

(١) شرح النووي على مسلم (٩ / ٢٨)

الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ) وَقَالَ (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ) «. ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ يَا رَبَّ يَا رَبَّ وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ».

ففي الحديث أربعة أسباب من أسباب الإجابة ومانع واحد من موانعها، فغلب المانع الأسباب، ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم: "فكيف يستجاب له؟!!"

ثانياً: الدعاء بإثم أو قطيعة رحم.

لا يستجيب الله سبحانه وتعالى دعاء من دعا بإثم أو قطيعة رحم، لما روى الإمام مسلم عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عَنِ النَّبِيِّ -صلى الله عليه وسلم- أَنَّهُ قَالَ « لَا يَزَالُ يُسْتَجَابُ لِلْعَبْدِ مَا لَمْ يَدْعُ بِإِثْمٍ أَوْ قَطِيعَةٍ رَحِمٍ مَا لَمْ يَسْتَعْجِلْ » الحديث.

وروى الإمام أحمد عن أبي سعيد - رضي الله عنه - أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ما من مسلم يدعو بدعوة ليس فيها إثم ولا قطيعة رحم إلا أعطاه الله بها إحدى ثلاث، إما أن تعجل له دعوته وإما أن يدخرها له في الآخرة وإما أن يصرف عنه من السوء مثلها قالوا إذا نكث قال الله أكثر^(١) والدعاء بإثم : مثل أن يسأل الله شيئاً محرماً ، أو يسأل الله أن يسهل له معصية ما ، والدعاء في قطيعة الرحم ، مثل أن يدعو على أحد ظلماً كأن يدعو على أبيه أو أخيه أو ابنه ظلماً.

ثالثاً: استعجال الإجابة:

الدليل على أن الاستعجال من موانع الإجابة، حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- « يُسْتَجَابُ لِأَحَدِكُمْ مَا لَمْ يَعْجَلْ يَقُولْ قَدْ دَعَوْتُ رَبِّي فَلَمْ يَسْتَجِبْ لِي » متفق عليه وعند مسلم عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عَنِ النَّبِيِّ -صلى الله عليه وسلم- أَنَّهُ قَالَ « لَا يَزَالُ يُسْتَجَابُ لِلْعَبْدِ مَا لَمْ يَدْعُ بِإِثْمٍ أَوْ قَطِيعَةٍ رَحِمٍ مَا لَمْ يَسْتَعْجِلْ ». قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا الْإِسْتِعْجَالُ قَالَ « يَقُولُ قَدْ دَعَوْتُ وَقَدْ دَعَوْتُ فَلَمْ أَرِ يَسْتَجِبْ لِي فَيَسْتَحْسِرُ عِنْدَ ذَلِكَ وَيَدْعُ الدُّعَاءَ ».

ومعنى ، يستحسر : أي ينقطع عن الدعاء. فرواية مسلم فيها بيان المانع من إجابة الدعاء وهو الانقطاع عنه بسبب الاستعجال. وربما حصل عند العبد نوع من اليأس وسوء الظن بالله تعالى، فأضاف مانعاً آخر من موانع الاستجابة.

رابعاً: الغفلة عند الدعاء:

من موانع الإجابة أن يدعو العبد وقلبه غافل، غير حاضر، فقد روى الترمذي عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ "ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة واعلموا أن الله لا يستجيب دعاء من قلب غافل لاه"^(٢).

فينبغي على العبد أن يدعو وقلبه حاضر يدري ما يقول، ويتدبر معاني الكلمات التي يدعو بها، مع اللهفة والرجاء.

خامساً: الاعتداء في الدعاء.

الاعتداء في الدعاء : هو الخروج فيه عن الوُضْع الشرعي والسُّنَّة المأثورة أو سؤال أشياء لا تليق به أو لا يستحقها أو سؤال المستحيل أو مخالفة السنة في الدعاء. قال تعالى: { ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ } [الأعراف : ٥٥]

(١) صحيح: صححه العلامةان الألباني والوادعي، الألباني في صحيح الترغيب والترهيب - (٢ / ٢٨٨) (١٦٣١) والوادعي في الصحيح المسند (٤١٢) (٣٤٨/١)

ورواه البزار وأبو يعلى والحاكم.

(٢) حسن: حسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب - (٢ / ١٣٣) (١٦٥٣) وهو عند الحاكم.

قال المفسر السعدي - رحمه الله - في تفسير قوله تعالى: { إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ } أي: المتجاوزين للحد في كل الأمور، ومن الاعتداء كون العبد يسأل الله مسائل لا تصلح له، أو يتنطع في السؤال، أو يبالغ في رفع صوته بالدعاء، فكل هذا داخل في الاعتداء المنهي عنه". اهـ.

وروى ابن ماجه عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُعَفَّلٍ - رضي الله عنه - أَنَّهُ سَمِعَ ابْنَهُ يَقُولُ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْقَصْرَ الْأَبْيَضَ عَنْ يَمِينِ الْجَنَّةِ ، إِذَا دَخَلْتُهَا ، فَقَالَ : أَيُّ بُنَى سَلَّ اللَّهُ الْجَنَّةَ ، وَعَدَّ بِهِ مِنَ النَّارِ ، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : "سَيَكُونُ قَوْمٌ يَعْتَدُونَ فِي الدُّعَاءِ"^(١)

وَعَنْ ابْنِ لِسْعِدٍ أَنَّهُ قَالَ سَمِعَنِي أَبِي وَأَنَا أَقُولُ "اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْجَنَّةَ وَنَعِيمَهَا وَبَهْجَتَهَا وَكَدَا وَكَدَا، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ وَسَلَاسِلِهَا وَأَغْلَالِهَا وَكَدَا وَكَدَا، فَقَالَ يَا بُنَى إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- يَقُولُ « سَيَكُونُ قَوْمٌ يَعْتَدُونَ فِي الدُّعَاءِ ». فَإِيَّاكَ أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ إِنْ أُعْطِيتِ الْجَنَّةَ أُعْطِيَتْهَا وَمَا فِيهَا مِنَ الْخَيْرِ وَإِنْ أَعْذَتْ مِنَ النَّارِ أَعْذَتْ مِنْهَا وَمَا فِيهَا مِنَ الشَّرِّ".^(٢)

سادسا: السكوت عن المنكر مع القدرة على تغييره.

روى الترمذي وأحمد عن حذيفة بن اليمان - رضي الله عنه - عن النبي صلى الله عليه وسلم: "قال والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقابا منه ثم تدعونه فلا يستجاب لكم"^(٣)

ذكر بعض آداب الدعاء:

تقدم في هذا الفصل ذكر آداب كثيرة من آداب الدعاء بأدلتها، ذكرناها متفرقة حسب المناسبات، وسنذكر هنا أهمها جملة؛ للفت الانتباه إليها وعدم الغفلة عنها.

منها:

- الإخلاص في الدعاء .
- حضور القلب عند الدعاء.
- اليقين عند الدعاء.
- الإلحاح في الدعاء.
- استقبال القبلة.
- عدم الاعتداء في الدعاء.
- خفض الصوت والتذلل فيه وعدم رفع الصوت إلا لحاجة.
- وغير ذلك.

(١) صحيح: وهو عند أحمد وأبي داود وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه - (٢ / ٣٣١) (٣٨٥٤) وانظر (صحيح) المشكاة (٤١٨)

، صحيح أبي داود (٨٦) ، الارواء (١٤٠).

(٢) حسن: رواه أبو داود وحسنه الألباني في صحيح أبي داود - (٥ / ٢٢٠) (١٣٣٠).

(٣) حسن: حسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب - (٢ / ٢٨٦) (٢٣١٣)

الباب الثاني فضل الأماكن المباركة واغتنامها

يقول الله في كتابه الكريم: {وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ} [القصص: ٦٨]

فإن الله تعالى خلق المخلوقات، وفضل بعضها على بعض بحكمته، فخلق البشر وفضل بعضهم على بعض، ففضل الأنبياء والمرسلين على سائر البشر، وفضل أولي العزم من الرسل على سائر الأنبياء والمرسلين، وفضل نبينا صلى الله عليه وسلم على سائر الخلق أجمعين.

وخلق الأزمنة، ففضل فيها شهر رمضان على سائر الشهور، وفضل ليالي العشر الأواخر من رمضان على سائر الليالي، وفضل ليلة القدر على سائر ليالي السنة، وفضل أيام عشر ذي الحجة على سائر الأيام، وفضل يوم النحر على سائر أيام السنة، وفضل يوم الجمعة على سائر أيام الأسبوع.

وفضل من الأماكن المساجد، وجعلها أحب البقاع إليه، وفضل المساجد الثلاثة على سائر المساجد.

فهذه الأوقات والأماكن فضّلها الله على غيرها، وجعل فيها مزية وفضيلة على غيرها لحكم يعلمها هو سبحانه، فجعل أوقاتها وأماكن مباركة، وجعل الأجور فيها مضاعفة، واختص فيها أعمالاً بمزيد فضل، وبالمقابل فهناك أوقات وأماكن نهى عن العبادات فيها، وتوعد من تعبد له فيها، فيجب التقيد بما شرع الله سبحانه وتعالى، بالامتنال لأوامره، والاجتناب لنواهيه، والوقوف عند حدوده، لأنه علم ما يصلح عباده فشرع لهم، وما يفسدهم فنهاهم عنه، فشرع لهم ما فيه صلاحهم، وحرم عليهم ما فيه فسادهم قال تعالى: {قُلْ أَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ} [البقرة: ١٤٠] {صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً} [البقرة: ١٣٨] {وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ} [المائدة: ٥٠]

واختار لهم أشياء تنفعهم، ومنعهم من أشياء تضرهم، وكل ذلك بمقتضى حكمته، فلا معقب لحكمه، ولا راد لقضائه، ولا اعتراض على أقداره، {وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقَّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ} [الرعد: ٤١]

الفصل الأول ذكر ما جاء في البقاع

المبحث الأول : فضل مكة المكرمة:

إنه لا يخفى على مسلم فضل مكة المكرمة التي كرمها الله وفضلها على غيرها من البلدان ، وجعلها أحب البقاع إليه وإلى رسوله صلى الله عليه وسلم ، وبعث فيها رسوله ، وجعلها مهبط الوحي ، ومنبع الرسالة ، وفيها قبلة المسلمين ، وحرمتها إلى قيام الساعة ، وفيها أفضل المساجد ، وهو بيته الحرام ، كما سيأتي ذكر فضائله ، وخصها الله بخصائص كثيرة سيأتي ذكر بعضها .

فضائل مكة:

- فمن فضائلها أنها خير البلدان وأحبها إلى الله وإلى رسوله صلى الله عليه وسلم ، فقد روى الترمذي عن عبد الله بن عدي بن الحمراء - رضي الله عنه - قال : رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَهُوَ عَلَى نَاقَتِهِ ، وَاقِفٌ بِالْحَزْوَرَةِ يَقُولُ : "وَاللَّهِ إِنَّكَ ، لَخَيْرُ أَرْضِ اللَّهِ ، وَأَحَبُّ أَرْضِ اللَّهِ إِلَيَّ ، وَاللَّهِ لَوْلَا أَنِّي أَخْرَجْتُ مِنْكَ ، مَا خَرَجْتُ" (١)

وروى الترمذي عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمكة: " ما أطيبك من بلد وأحبك إلي ولولا أن قومي أخرجوني منك ما سكنت غيرك " (٢)

- ومن فضلها أن الله أقسم بها في قوله تعالى : { لَا أَقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ * وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ * وَالْوَالِدِ وَمَا وَلَدَ * لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ } [البلد : ١ - ٤] والله عظيم يقسم بما شاء من مخلوقاته العظيمة .

- ومن فضلها أن الله أحلها لنبيه صلى الله عليه وسلم ساعة من نهار يوم فتح مكة ولا تحل لأحد بعده إلى قيام الساعة .
قال تعالى : { إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلَدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ } [النمل : ٩١] .

وروى البخاري ومسلم عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : "إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ مَكَّةَ فَلَمْ تَحِلْ لِأَحَدٍ قَبْلِي ، وَلَا تَحِلُّ لِأَحَدٍ بَعْدِي وَإِنَّمَا أُحِلَّتْ لِي سَاعَةٌ مِنْ نَهَارٍ لَا يُخْتَلَى خَلَاهَا ، وَلَا يُعْضَدُ شَجَرُهَا ، وَلَا يُنْفَرُ صَيْدُهَا ، وَلَا تُلْقَطُ لُقَطَتُهَا إِلَّا لِمُعَرَّفٍ وَقَالَ الْعَبَّاسُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِلَّا الْإِذْخِرَ لِمَا عَتَيْنَا وَقُبُورِنَا فَقَالَ: "إِلَّا الْإِذْخِرَ"

- ومن خصائص مكة ، أن الله جعلها دار أمن ، ولا يجوز لأحد أن يخوف أحدا فيها ، وأنه بارك فيها وفي ما يخرج منها ، فقد أخبر الله سبحانه وتعالى أنه أنعم على هذه البلدة بالأمن التام في غير ما آية ، قال

(١) صحيح: صححه الألباني في صحيح الترمذي (٣ / ٢٥٠) (٣٠٨٢) والوادعي في الصحيح المسند (٥٧٤/١) (٧١٠). وهو عند ابن ماجه والنسائي

وأحمد والبيهقي وابن حبان والحاكم

(٢) صحيح: صححه الألباني في صحيح الترمذي (٣ / ٢٥٠) (٣٠٨٢) والوادعي في الصحيح المسند (٥٧٤/١) (٧١٠). وهو عند ابن ماجه والنسائي

وأحمد والبيهقي وابن حبان والحاكم

تَعَالَى : { وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ
الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ } [البقرة : ١٢٦]
وقال تعالى عن إبراهيم عليه السلام : { رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ
رَبَّنَا لِئُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْنِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ } [إبراهيم :
٣٧]

وقال تعالى: { لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ * إِيْلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ * فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ * الَّذِي أَطْعَمَهُمْ
مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ } [قريش ١ : ٤]

قال المفسر ابن كثير في قوله تعالى: { لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ } أي: لانتلافهم واجتماعهم في بلدهم آمينين.
وقيل: المراد بذلك ما كانوا يألفونه من الرحلة في الشتاء إلى اليمن، وفي الصيف إلى الشام في المتاجر
وغير ذلك، ثم يرجعون إلى بلدهم آمينين في أسفارهم؛ لعظمتهم عند الناس، لكونهم سكان حرم الله، فمن
عرّفهم احترّمهم، بل من صوفي إليهم وسار معهم أمن بهم. هذا حالهم في أسفارهم ورحلتهم في شتائهم
وصيفهم. وأما في حال إقامتهم في البلد، فكما قال الله: { أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُنَظَّفُ النَّاسُ
مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ } [العنكبوت : ٦٧] اهـ.

وقال تعالى: { وَقَالُوا إِنْ نَتَّبِعِ الْهُدَى مَعَكَ نُنْخَطَفُ مِنْ أَرْضِنَا أَوَلَمْ نُمْكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجَبَى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ
كُلِّ شَيْءٍ رِزْقًا مِنْ لَدُنَّا وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ } [القصص : ٥٧]
قال ابن كثير في قوله تعالى: { أَوَلَمْ نُمْكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا } يعني: هذا الذي اعتدروا به كذب وباطل؛ لأن
الله جعلهم في بلد آمين، وحرم معظم أمن منذ وضع.. اهـ

وقال المفسر السعدي: "قال الله مبينا لهم حالة هم بها دون الناس وأن الله اختصهم بها، فقال: { أَوَلَمْ نُمْكِّنْ
لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجَبَى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقًا مِنْ لَدُنَّا } أي: أولم نجعلهم متمكنين ممكنين في حرم
يكثره المتأبون ويقصده الزائرون، قد احترّمه البعيد والقريب، فلا يهاج أهله، ولا ينتقصون بقليل ولا
كثير.

والحال أن كل ما حولهم من الأماكن، قد حف بها الخوف من كل جانب، وأهلها غير آمنين ولا مطمئنين،
فَلْيُحْمَدُوا رَبَّهُمْ عَلَى هَذَا الْأَمْنِ التَّامِ، الذي ليس فيه غيرهم، وعلى الرزق الكثير، الذي يجيء إليهم من كل
مكان، من الثمرات والأطعمة والبضائع، ما به يرتزقون ويتوسعون. وَلْيَتَّبِعُوا هَذَا الرِّسُولَ الْكَرِيمَ، ليتم
لهم الأمن والرخاء" اهـ.

- ومن خصائص هذه البلدة المباركة، أنه لا يجوز قطع أشجارها ولا عشبها، ولا تؤخذ لقطتها إلا
لمنشد، فقد روى البخاري عن ابن عباس - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ: " إِنَّ هَذَا الْبَلَدَ حَرَمُ اللَّهِ لَا يُعْضَدُ شَوْكُهُ ، وَلَا يُنْقَرُ صَيِّدُهُ ، وَلَا يُلْتَقِطُ لُقَطَتُهُ إِلَّا مَنْ
عَرَفَهَا". وفي رواية له: " ولا يختلى خلاها" وهو العشب.

وأما حكم لقطة مكة فإنها تعرف دائما ولا يستفاد منها:

- قال الشيخ عبد المحسن العباد- حفظه الله - عند قوله صلى الله عليه وسلم : " (ولا تحل لقطتها إلا
لمنشد) أي: لمن يستمر على التعريف بها، وذلك أن اللقطة إذا فقدت في مكة فإن مكة يتردد عليها
الناس للحج في كل عام، ولذلك ميزت على غيرها؛ لأن لقطتها لا تكون كلقطة غيرها بأن تعرف ثم
يستفيد منها من عرفها، بل إنها تعرف دائماً، وذلك أن صاحبها قد يأتي في حجة أخرى أو في حجة

ثانية أو ثالثة وهكذا، فلا تملك لقطتها أو لا يستفاد من لقطتها كما يستفاد منها في الأماكن الأخرى غير مكة" اهـ^(١).

- ومن خصائص هذه البلدة أن الله تعالى وكلّ عليها ملائكة يحرسونها ولا يدخلها الدجال: ففي صحيح البخاري ومسلم عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : "لَيْسَ مِنْ بَلَدٍ إِلَّا سَيَطُوهُ الدَّجَالُ إِلَّا مَكَّةَ وَالْمَدِينَةَ لَيْسَ لَهُ مِنْ نِقَابِهَا نَقَبٌ إِلَّا عَلَيْهِ الْمَلَائِكَةُ صَافِّينَ يَحْرُسُونَهَا ثُمَّ تَرْجُفُ الْمَدِينَةُ بِأَهْلِهَا ثَلَاثَ رَجَفَاتٍ فَيُخْرِجُ اللَّهُ كُلَّ كَافِرٍ وَمُنَافِقٍ". فتعنتم هذه البلدة بسكناها لمن استطاع ذلك، أو مزاورتها ومزاورة المسجد الحرام والصلاة فيه، كما سيأتي ذكر فضائله.

(١) شرح سنن أبي داود (١٠ / ٣٣٤)

المبحث الثاني: فضل المدينة النبوية

إن للمدينة النبوية فضلا عظيما، فضلها الله واختصها على سائر البلدان، وجعلها مهبطا للوحي، ومقاما لنبيه، ودارا لهجرته، ومأوى لأوليائه، ومعقلا لدينه، فانتشر منها الإسلام، وكُسرت شوكة المشركين والكافرين، وكُبت المنافقون، وأجلى منها اليهود، وأظهر الله فيها رسوله، وأعلى كلمته، وأعز دينه، وفيها المسجد النبوي، وفيها خير خلقه، وهم رسوله صلى الله عليه وسلم، وخلفاؤه، وصحابته، هاجروا إليها، وعاشوا فيها، وماتوا ودفنوا فيها، وسماها الله ورسوله صلى الله عليه وسلم طيبة، لطيبتها، وطيب ساكنيها، وطيب العيش فيها، وحرمها النبي صلى الله عليه وسلم كما حرم مكة، ودعا لها، كما دعا إبراهيم عليه السلام لمكة، وتوعد ولعن من أذى أو أخاف أهلها.

فهي خير ما سكن الناس، لما في الصحيحين عَنْ سَفْيَانَ بْنِ أَبِي زُهَيْرٍ - رضي الله عنه - قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- يَقُولُ « يُفْتَحُ الْيَمَنُ فَيَأْتِي قَوْمٌ يَبْسُونَ فَيَتَحَمَّلُونَ بِأَهْلِيهِمْ وَمَنْ أَطَاعَهُمْ وَالْمَدِينَةُ خَيْرٌ لَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ، ثُمَّ يُفْتَحُ الشَّامُ فَيَأْتِي قَوْمٌ يَبْسُونَ فَيَتَحَمَّلُونَ بِأَهْلِيهِمْ وَمَنْ أَطَاعَهُمْ، وَالْمَدِينَةُ خَيْرٌ لَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ، ثُمَّ يُفْتَحُ الْعِرَاقُ فَيَأْتِي قَوْمٌ يَبْسُونَ فَيَتَحَمَّلُونَ بِأَهْلِيهِمْ وَمَنْ أَطَاعَهُمْ، وَالْمَدِينَةُ خَيْرٌ لَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ».

ومعنى يَبْسُونَ: أي، يسوقون النوق ويزجرونها.
وسميت طيبة لطيبها وطيب أهلها، فعن جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ - رضي الله عنه - قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- يَقُولُ « إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى سَمَّى الْمَدِينَةَ طَابَةً » رواه مسلم.
وفي رواية عند الطبراني وأحمد واللفظ له: "إن الله تبارك وتعالى سمى المدينة طيبة" (١)

قال بدر الدين العيني الحنفي: "أي من أسمائها طابة وليس فيه ما يدل على أنها لا تسمى بغير ذلك وأصل طابة طيبة لأنها من الطيب فقلبت الياء ألفا لتحركها وانفتاح ما قبلها فوزنها فالة لا فاعة.." (٢)

وقال القاضي أبو الفضل عياض اليحصبي "وقيل: سميت المدينة طابة وطيبة، من الطيب، وهو تطهيرها من الشرك وظهور الإسلام بها وقيل غيره" (٣).

ومن خصائص المدينة أن النبي صلى الله عليه وسلم حرّمها كما حرم مكة وحرم قطع أشجارها وتغيير صيدها وجعل الله فيها ملائكة يحرسونها:

ففي صحيح الإمام مسلم عَنْ أَبِي سَعِيدٍ مَوْلَى الْمُهَرِّى أَنَّهُ أَصَابَهُمْ بِالْمَدِينَةِ جَهْدٌ وَشِدَّةٌ وَأَنَّهُ أَتَى أَبَا سَعِيدٍ الْخُدْرِيَّ فَقَالَ لَهُ إِنِّي كَثِيرُ الْعِيَالِ وَقَدْ أَصَابَتْنَا شِدَّةٌ فَأَرَدْتُ أَنْ أَنْقُلَ عِيَالِي إِلَى بَعْضِ الرَّيْفِ. فَقَالَ أَبُو سَعِيدٍ لَا تَفْعَلْ الزَّمِ الْمَدِينَةَ فَإِنَّا خَرَجْنَا مَعَ نَبِيِّ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- - أَطُنُّ أَنَّهُ قَالَ - حَتَّى قَدِمْنَا عُسْفَانَ فَأَقَامَ بِهَا لَيْلًا فَقَالَ النَّاسُ وَاللَّهِ مَا نَحْنُ هَا هُنَا فِي شَيْءٍ وَإِنْ عِيَالُنَا لَخُلُوفٌ مَا نَأْمَنُ عَلَيْهِمْ. فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ -صلى الله عليه وسلم- فَقَالَ « مَا هَذَا الَّذِي بَلَغَنِي مِنْ حَدِيثِكُمْ - مَا أَدْرِي كَيْفَ قَالَ - وَالَّذِي أَخْلَفَ بِهِ أَوْ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ هَمَمْتُ أَوْ إِنْ شِئْتُمْ - لَا أَدْرِي أَيَّتُهُمَا قَالَ - لِأَمْرٍ بِنَاقَتِي تُرْحَلُ ثُمَّ لَا أَحُلُّ لَهَا عُقْدَةً حَتَّى أَقْدِمَ الْمَدِينَةَ - وَقَالَ - اللَّهُمَّ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ حَرَّمَ مَكَّةَ فَجَعَلَهَا حَرَمًا وَإِنِّي حَرَّمْتُ الْمَدِينَةَ حَرَامًا مَا بَيْنَ مَازِمِيهَا أَنْ لَا يُهْرَاقَ فِيهَا دَمٌ وَلَا يُحْمَلَ فِيهَا سِلَاحٌ لِقِتَالٍ وَلَا يُخْبَطُ فِيهَا شَجَرَةٌ إِلَّا لِعَلْفٍ، اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي مَدِينَتِنَا، اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي صَاعِنَا، اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي مُدَنَّا، اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي صَاعِنَا، اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي

(١) صحيح: صححه الألباني انظر حديث رقم: (١٧٢٣) في صحيح الجامع

(٢) عمدة القاري شرح صحيح البخاري - (١٨٣ / ١٦)

(٣) إكمال المعلم في شرح صحيح مسلم: (٢٨٣ / ٣)

مُذْنًا، اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي مَدِينَتِنَا، اللَّهُمَّ اجْعَلْ مَعَ الْبَرَكَةِ بَرَكَتَيْنِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا مِنْ الْمَدِينَةِ شَعْبٌ وَلَا نَقَبٌ إِلَّا عَلَيْهِ مَلَكَانِ يَحْرُسَانِيهَا حَتَّى تَقْدَمُوا إِلَيْهَا - ثُمَّ قَالَ لِلنَّاسِ - ارْتَحِلُوا. »
 و عند أبي داود عَنْ عَلِيٍّ - رضي الله عنه - عَنِ النَّبِيِّ -صلى الله عليه وسلم- قَالَ « لَا يُخْتَلَى خَلَاهَا وَلَا يُنْفَرُ صَيْدُهَا وَلَا تُلْتَقَطُ لُقَطَتُهَا إِلَّا لِمَنْ أَشَادَ بِهَا وَلَا يَصْلُحُ لِرَجُلٍ أَنْ يَحْمِلَ فِيهَا السَّلَاحَ لِقِتَالٍ وَلَا يَصْلُحُ أَنْ يُقَطَعَ مِنْهَا شَجَرَةٌ إِلَّا أَنْ يَعْلِفَ رَجُلٌ بَعِيرَهُ »^(١).

قال الشيخ عبد المحسن العباد عند قوله صلى الله عليه وسلم : "[(ولا تلتقط لقطتها إلا لمن أشاد بها)] هذه الجملة تدل على أن المدينة مثل مكة فيما يتعلق باللقطة، وأنها لا تحل لمن يأخذها إلا أن ينشدها، بخلاف اللقطة في الأماكن الأخرى فإن صاحبها يعرفها حولاً كاملاً وبعد ذلك يتمولها ويتملكها، ولو جاء صاحبها فيما بعد ووصفها وصفاً يطابق وصفها، فإنه يعطيه إياها. وأما بالنسبة للقطة الحرمين مكة والمدينة فإنها تعرف دائماً، قيل: ولعل السر في ذلك أن مكة والمدينة يتردد عليها الناس في مختلف الأوقات،... اهـ" ^(٢)

وقال : "فلا يحل للإنسان أن يملك اللقطة في الحال إلا إذا عرف أن صاحبها قد تركها مستغنياً عنها، أو كانت من الأشياء النافهة التي لا يؤبه ولا يهتم بها، وإلا فإن الأصل هو التعريف لها." اهـ^(٣)

- ومن خصائصها أن النبي صلى الله عليه وسلم دعا لها:
 فعَنْ عَائِشَةَ - رضي الله عنها - قَالَتْ قَدِمْنَا الْمَدِينَةَ وَهِيَ وَبِيئَةٌ فَاسْتَكَى أَبُو بَكْرٍ وَاسْتَكَى بِلَالٌ فَلَمَّا رَأَى رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- شَكَاى أَصْحَابِهِ قَالَ « اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا الْمَدِينَةَ كَمَا حَبَبْتَ مَكَّةَ أَوْ أَشَدَّ وَصَحَّحْهَا وَبَارِكْ لَنَا فِي صَاعِهَا وَمُدَّهَا وَحَوْلِ حُمَاهَا إِلَى الْجُحْفَةِ » متفق عليه
 وفي رواية لمسلم عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ زَيْدٍ بْنِ عَاصِمٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- قَالَ « إِنَّ إِبْرَاهِيمَ حَرَّمَ مَكَّةَ وَدَعَا لِأَهْلِهَا وَإِنِّي حَرَّمْتُ الْمَدِينَةَ كَمَا حَرَّمَ إِبْرَاهِيمُ مَكَّةَ وَإِنِّي دَعَوْتُ فِي صَاعِهَا وَمُدَّهَا بِمِثْلِي مَا دَعَا بِهِ إِبْرَاهِيمُ لِأَهْلِ مَكَّةَ ».

وروى مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رضي الله عنه - أَنَّهُ قَالَ كَانَ النَّاسُ إِذَا رَأَوْا أَوَّلَ الثَّمَرِ جَاءُوا بِهِ إِلَى النَّبِيِّ -صلى الله عليه وسلم- فَإِذَا أَخَذَهُ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- قَالَ « اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي ثَمَرِنَا وَبَارِكْ لَنَا فِي مَدِينَتِنَا وَبَارِكْ لَنَا فِي صَاعِنَا وَبَارِكْ لَنَا فِي مُدْنَا اللَّهُمَّ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ عَبْدُكَ وَخَلِيلُكَ وَنَبِيُّكَ وَإِنِّي عَبْدُكَ وَنَبِيُّكَ وَإِنَّهُ دَعَاكَ لِمَكَّةَ وَإِنِّي أَدْعُوكَ لِلْمَدِينَةِ بِمِثْلِ مَا دَعَاكَ لِمَكَّةَ وَمِثْلِهِ مَعَهُ ». قَالَ ثُمَّ يَدْعُو أَصْغَرَ وَلِيدٍ لَهُ فَيُعْطِيهِ ذَلِكَ الثَّمَرَ.

- ومن خصائصها أن الله توعده ولعن من أخاف أهلها أو مكر بهم أو أرادهم بسوء :

ففي الصحيحين عَنْ عَائِشَةَ - رضي الله عنها - قَالَتْ : سَمِعْتُ سَعْدًا - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: " لَا يَكِيدُ أَهْلَ الْمَدِينَةِ أَحَدٌ إِلَّا أَنْعَاعٌ كَمَا يَنْمَاعُ الْمِلْحُ فِي الْمَاءِ ".

وفي رواية لمسلم عن سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ أَيْضًا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- قَالَ. « وَلَا يُرِيدُ أَحَدٌ أَهْلَ الْمَدِينَةِ بِسُوءٍ إِلَّا أَذَابَهُ اللَّهُ فِي النَّارِ ذَوْبَ الرِّصَاصِ أَوْ ذَوْبَ الْمِلْحِ فِي الْمَاءِ ».

(١) صحيح: صححه الألباني في صحيح أبي داود - (٦ / ٢٧٤) (١٧٧٤)

(٢) شرح سنن أبي داود - (١٠ / ٣٨١)

(٣) المصدر السابق (٢٦ / ٢٤٩)

ومعنى أنماع: أي ذاب ،وقد فسرته رواية مسلم.

وروى الطبراني عن السائب بن خالد - رضي الله عنه - عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "اللهم من ظلم أهل المدينة وأخافهم فأخفه وعلية لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا"^(١)

ومن خصائصها أن الإحداث فيها أكبر من غيرها، والمحدث فيها ملعون:

لما جاء في الصحيحين واللفظ لمسلم من طريق عاصم قال قُلْتُ لَأَنْسِ بْنِ مَالِكٍ أَحَرَّمَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- الْمَدِينَةَ قَالَ نَعَمْ مَا بَيْنَ كَذَا إِلَى كَذَا فَمَنْ أَحَدَّثَ فِيهَا حَدَّثًا - قَالَ - ثُمَّ قَالَ لِي هَذِهِ شَدِيدَةٌ « مَنْ أَحَدَّثَ فِيهَا حَدَّثًا » وفي رواية (أو آوى محدثا) فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ لَا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ صَرْفًا وَلَا عَدْلًا ». قَالَ فَقَالَ ابْنُ أَنَسٍ أَوْ آوَى مُحَدِّثًا.

ومعنى من أحدث فيها: أي ارتكب معصية أو أحدث بدعة، ومعنى آوى محدثا: أي أجاز مجرما أو مبتدعا ودافع عنه.

قال النووي: "قَالَ الْقَاضِي : مَعْنَاهُ مَنْ أَتَى فِيهَا إِثْمًا أَوْ آوَى مَنْ أَتَاهُ وَضَمَّهُ إِلَيْهِ وَحَمَاهُ" اهـ^(٢).

وقال أبو الفضل عياض اليحصبي : "قيل الحدث هنا الإثم وقيل يعم الجنايات وغيرها والحدث في الدين كله" اهـ^(٣)

ومعنى لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا:

أي لا يقبل منه فريضة ولا نافلة ،وبيان ذلك في ما يأتي:

قال النووي : "قوله : (لَا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ صَرْفًا وَلَا عَدْلًا) ، قَالَ الْقَاضِي : قَالَ الْمَازِرِيُّ : اخْتَلَفُوا فِي تَفْسِيرِهِمَا ، فَقِيلَ : الصَّرْفُ : الْفَرِيضَةُ ، وَالْعَدْلُ : النَّافِلَةُ ، وَقَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ : الصَّرْفُ : النَّافِلَةُ ، وَالْعَدْلُ : الْفَرِيضَةُ ، عَكْسَ قَوْلِ الْجُمْهُورِ ، وَقَالَ الْأَصْمَعِيُّ : الصَّرْفُ : التَّوْبَةُ ، وَالْعَدْلُ : الْفِدْيَةُ ، وَرُويَ ذَلِكَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَقَالَ يُونُسُ : الصَّرْفُ الْإِكْتِسَابُ ، وَالْعَدْلُ : الْفِدْيَةُ ، وَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ : الْعَدْلُ : الْحِيلَةُ ، وَقِيلَ : الْعَدْلُ : الْمِثْلُ . وَقِيلَ : الصَّرْفُ : الدِّيَّةُ ، وَالْعَدْلُ : الزِّيَادَةُ ، قَالَ الْقَاضِي : وَقِيلَ : الْمَعْنَى : لَا تُقْبَلُ فَرِيضَتُهُ وَلَا نَافِلَتُهُ قَبُولَ رِضَا ، وَإِنْ قُبِلَتْ فَيُؤَلَّ جَزَاءٌ ، وَقِيلَ : يَكُونُ الْقَبُولُ هُنَا بِمَعْنَى تَكْفِيرِ الذَّنْبِ بِهِمَا ، قَالَ : وَقَدْ يَكُونُ مَعْنَى الْفِدْيَةِ هُنَا : أَنَّهُ لَا يَجِدُ فِي الْقِيَامَةِ فِدَاءَ يَفْتَدِي بِهِ بِخِلَافِ غَيْرِهِ مِنَ الْمُذْنِبِينَ الَّذِينَ يَتَفَضَّلُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْهُمْ بِأَنْ يَفْدِيَهُ مِنَ النَّارِ بِبُحْدٍ أَوْ نُصْرَانِيٍّ ، كَمَا تَبَيَّنَ فِي الصَّحِيحِ" اهـ^(٤).

(١) صحيح: صححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١ / ٣٥٠) (٣٥١) وهو عند النسائي.

(٢) شرح صحيح مسلم (٥ / ٣١)

(٣) مشارق الأنوار على صحاح الآثار - (١ / ١٨٤)

(٤) شرح صحيح مسلم (٥ / ٣١)

ومن فضائل المدينة أن فيها جبل أحد، الذي أحبه الرسول صلى الله عليه وسلم، وفيها وادي العقيق المبارك:

فقد روى البخاري ومسلم عن أنس بن مالك ، رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم طلع له أحد فقال: " هَذَا جَبَلٌ يُحِبُّنَا وَنُحِبُّهُ اللَّهُمَّ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ حَرَّمَ مَكَّةَ وَإِنِّي أَحَرَّمُ مَا بَيْنَ لَابَتَيْهَا". وعن أنس بن مالك ، رضي الله عنه ، أن النبي صلى الله عليه وسلم صعد أحدًا ، وأبو بكر وعمر وعثمان فرجف بهم فقال: " اثْبُتْ أَحَدُ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ نَبِيٌّ وَصِدِّيقٌ وَشَهِيدَانِ " متفق عليه.

وروى البخاري عن عمر ، رضي الله عنه ، قال : سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِوَادِي الْعَقِيقِ يَقُولُ : "أَتَانِي اللَّيْلَةُ أَتٍ مِنْ رَبِّي فَقَالَ صَلِّ فِي هَذَا الْوَادِي الْمُبَارَكِ وَقُلْ عُمْرَةً فِي حَجَّةٍ" فيه فضل الصلاة في وادي العقيق.

فتغتتم المدينة النبوية بالسكنى فيها لمن استطاع ، أو الإكثار من زيارتها وزيارة المسجد النبوي والصلاة فيه ، كما سيأتي ذكر فضائله.

المبحث الثالث: فضل الشام

للشام فضائل عديدة، وخصائص كثيرة، منها: أن الله سبحانه وتعالى اختصها بإرسال الرسل، وبارك فيها وفي أهلها، وبعث كثيرا من الأنبياء والمرسلين فيها، ومنهم ثلاثة من أولي العزم وهم إبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام، ولأنها الأرض المقدسة، وفيها بيت المقدس الذي عرج منه نبينا صلى الله عليه وسلم إلى سدره المنتهى، وصلى فيه بالأنبياء، والصلاة فيه بمائتين وخمسين صلاة، كما سيأتي ذكر فضله في بابه إن شاء الله، ودعا النبي صلى الله عليه وسلم لأرض الشام، وفيها البقعة المباركة، والوادي المقدس الذي كلم الله موسى عليه السلام فيهما كما أخبر الله في كتابه، وفيها ينزل عيسى عليه السلام آخر الزمان ويصلي خلف المهدي ويقتل الدجال.

قال سبحانه وتعالى عن إبراهيم الخليل عليه السلام: {وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ} [الأنبياء : ٧١]

قال ابن كثير - رحمه الله تعالى - : "يقول تعالى مخبراً عن إبراهيم، أنه سلمه الله من نار قوم، وأخرجه من بين أظهرهم مهاجراً إلى بلاد الشام، إلى الأرض المقدسة منها، كما قال الربيع بن أنس، عن أبي العالية، عن أبي بن كعب في قوله: { إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ } قال: الشام، وما من ماء عذب إلا يخرج من تحت الصخرة. وكذا قال أبو العالية أيضاً.
وقال قتادة: كان بأرض العراق، فأنجاه الله إلى الشام، وكان يقال للشام: عماد دار الهجرة، وما نقص من الأرض زيد في الشام، وما نقص من الشام زيد في فلسطين. وكان يقال: هي أرض المحشر والمنشر، وبها ينزل عيسى ابن مريم، عليه السلام، وبها يهلك المسيح الدجال.
وقال كعب الأحبار في قوله: { إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ } إلى حران.
وقال السدي: انطلق إبراهيم ولوط قبل الشام، فلقي إبراهيم سارة، وهي ابنة ملك حران، وقد طعنت على قومها في دينهم، فتزوجها على ألا يغيرها" اهـ.

وقال المفسر البغوي في تفسير قوله تعالى: { فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ } لموسى، جعلها الله مباركة لأن الله كلم موسى هناك وبعثه نبيا. وقال عطاء: يريد المقدسة" اهـ

وقال تعالى: { هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى * إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى } [النازعات : ١٥-١٦]

قال المفسر السعدي في قوله تعالى: { إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى } وهو المحل الذي كلمه الله فيه، وامتن عليه بالرسالة، واختصه بالوحي والاحتباء.
وقال في قوله: { إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى } أخبره أنه ربه، وأمره أن يستعد ويتهيأ لمناجاته، ويهتم لذلك، ويلقي نعليه، لأنه بالوادي المقدس المطهر المعظم، ولو لم يكن من تقديسه، إلا أن الله اختاره لمناجاته كلمه موسى لكفى.. " اهـ

ومن فضائل بلاد الشام أن عيسى عليه السلام ينزل فيها ويجتمع بالمهدي، ويقتل الدجال :

فقد روى الإمام مسلم عن الثَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ . رضي الله عنه - قَالَ ذَكَرَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- الدَّجَالَ ذَاتَ غَدَاةٍ... ثُمَّ ذَكَرَ الْحَدِيثَ فَقَالَ: "... فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ بَعَثَ اللَّهُ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ فَيَنْزِلُ عِنْدَ الْمَنَارَةِ الْبَيْضَاءِ شَرْقَى دِمَشْقَ بَيْنَ مَهْرُودَتَيْنِ وَاضِعًا كَفَّيْهِ عَلَى أَجْنِحَةِ مَلَكَينِ إِذَا طَاطَأَ رَأْسَهُ قَطْرٌ وَإِذَا رَفَعَهُ تَحَدَّرَ مِنْهُ

جُمانٌ كَاللُّؤْلُؤِ فَلَا يَحِلُّ لِكَافِرٍ يَجِدُ رِيحَ نَفْسِهِ إِلَّا مَاتَ وَنَفْسُهُ يَنْتَهَى حَيْثُ يَنْتَهَى طَرْفُهُ فَيَطْلُبُهُ حَتَّى يُدْرِكَهُ
بِبَابٍ لَدَى فَيْقُوتُهُ"

- ومن فضائل الشام أن النبي صلى الله عليه وسلم دعا لها.

فقد روى البخاري ومسلم عن ابن عمر - رضي الله الله عنه - أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي شَامِنَا وَفِي يَمَنِنَا" قَالَ ، قَالُوا وَفِي نَجْدِنَا قَالَ : "قَالَ اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي شَامِنَا وَفِي يَمَنِنَا" قَالَ ، قَالُوا وَفِي نَجْدِنَا قَالَ : " قَالَ هُنَاكَ الزَّلَازِلُ وَالْفِتَنُ وَبِهَا يَطْلُعُ قَرْنُ الشَّيْطَانِ".

ومن فضائل بلاد الشام وخصائصها أن الناس يحشرون فيها يوم القيامة:

فقد روى أبو الحسن ابن شجاع الربيعي في فضائل الشام عن أبي ذر - رضي الله عنه - أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "الشام أرض المحشر و المنشر"^(١)
قال المناوي قوله (الشام أرض المحشر و المنشر) ، أي: البقعة التي يجمع الناس فيها إلى الحساب وينشرون من قبورهم ثم يساقون إليها ، وخصت بذلك لأنها الأرض التي قال الله فيها * (باركنا فيها للعالمين) * وأكثر الأنبياء بعثوا منها فانتشرت في العالمين شرائعهم فناسب كونها أرض المحشر و المنشر" اهـ"^(٢).

(١) قال الشيخ الألباني : صحيح ، انظر حديث رقم : (٣٧٢٦) في صحيح الجامع .

(٢) فيض القدير (٤ / ٢٢٥)

الفصل الثاني ذكر ما جاء في فضل المساجد

المبحث الأول: فضل المساجد عموماً:

إنه لا شك ولا ريب في فضل المساجد؛ لأنها بيوت الله تقام فيها الشعائر، وتؤدى فيها الصلوات وكثير من العبادات، فيجب احترامها وتعظيمها، فقد عظمها الله، وشرفها، وفضلها على سائر البقاع، وأمر بمعاهدتها، وإقام الصلوات فيها، ورتب على العبادة فيها أجوراً عظيمة.

قال تعالى: { فِي بُيُوتِ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ } [النور: ٣٦، ٣٨]

قال المفسر السعدي في تفسير قوله تعالى: { فِي بُيُوتِ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ } : "أي: يتعبد لله { فِي بُيُوتِ } عظيمة فاضلة، هي أحب البقاع إليه، وهي المساجد. { أَذِنَ اللَّهُ } أي: أمر ووصى { أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ } هذان مجموع أحكام المساجد، فيدخل في رفعها، بناؤها، وكنسها، وتنظيفها من النجاسة والأذى، وصونها من المجانين والصبيان الذين لا يتحرزون عن النجاسة، وعن الكافر، وأن تصان عن اللغو فيها، ورفع الأصوات بغير ذكر الله. { وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ } يدخل في ذلك الصلاة كلها، فرضها، ونفلها، وقراءة القرآن، والتسبيح، والتلهيل، وغيره من أنواع الذكر، وتعلم العلم وتعليمه، والمذاكرة فيها، والاعتكاف، وغير ذلك من العبادات التي تفعل في المساجد، ولهذا كانت عمارة المساجد على قسمين: عمارة بنيان، وصيانة لها، وعمارة بذكر اسم الله، من الصلاة وغيرها، وهذا أشرف القسمين، ولهذا شرعت الصلوات الخمس والجمعة في المساجد، وجوبا عند أكثر العلماء، أو استحباباً عند آخرين. ثم مدح تعالى عمارها بالعبادة فقال: { يُسَبِّحُ لَهُ } إخلاصاً { بِالْغُدُوِّ } أول النهار { وَالْآصَالِ } آخره" اهـ.

- ومن فضائل المساجد أن الله شهد لأهلها بالإيمان والهداية فقال سبحانه: { إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنِ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ } [التوبة: ١٨].

- والمساجد هي أحب البقاع إلى الله، فقد روى الإمام مسلم عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: « أَحَبُّ الْبِلَادِ إِلَى اللَّهِ مَسَاجِدُهَا وَأَبْغَضُ الْبِلَادِ إِلَى اللَّهِ أَسْوَاقُهَا ».

قال النووي قوله: (أَحَبُّ الْبِلَادِ إِلَى اللَّهِ مَسَاجِدُهَا)؛ لَأَنَّهَا بُيُوتُ الطَّاعَاتِ وَأَسَاسُهَا عَلَى التَّقْوَى . قوله: (وَأَبْغَضُ الْبِلَادِ إِلَى اللَّهِ أَسْوَاقُهَا)؛ لِأَنَّهَا مَحَلَّ الْعِشِّ وَالْخِدَاعِ وَالرِّبَا وَالْإِيمَانِ الْكَاذِبَةِ وَإِخْلَافِ الْوَعْدِ وَالْإِعْرَاضِ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا فِي مَعْنَاهُ .. وَالْمَسَاجِدُ مَحَلُّ نَزُولِ الرَّحْمَةِ ، وَالْأَسْوَاقُ ضِدُّهَا" اهـ^(١).

- والمساجد بيوت الأتقياء، لما روى الطبراني والبخاري عن أبي الدرداء - رضي الله عنه - قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "المسجد بيت كل تقي" ^(١).

(١) شرح صحيح مسلم (٢ / ٤٧٥)

فضل الجلوس في المساجد ومعاهدتها وإقام الصلاة فيها:

تقدم ذكر شيء من فضل المساجد، لكن الفضل يكون منوطاً بمعاهدتها والجلوس فيها واغتنام العبادات فيها من الصلاة والذكر وتلاوة القرآن الكريم وغير ذلك.

فقد روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال « سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ الْإِمَامُ الْعَادِلُ وَشَابُّ نَشَأَ بِعِبَادَةِ اللَّهِ وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْمَسَاجِدِ وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالَ فَقَالَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ. وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ ».

الشاهد قوله: " وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْمَسَاجِدِ "

أي: مداوم على الصلوات والجماعات وكثير من العبادات فيها، لا يرتاح إلا فيها، ولا تخطئه صلاة فيها، ويلزم حلق الذكر فيها ونحو ذلك من العبادات والقربات التي تؤدي في بيوت الله، فهذا الصنف من السبعة الذين يظلهم الله في ظل عرشه، يوم تدنو الشمس من رؤوس الخلائق مقدار ميل، فيعرفون فيذهب عرقهم في الأرض سبعين ذراعاً، فيظل الله هؤلاء الأصناف في ظله يوم لا ظل إلا ظله.

قال النووي: في قوله: " وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْمَسَاجِدِ " وَمَعْنَاهُ : شَدِيدُ الْحُبِّ لَهَا وَالْمُلَازِمَةُ لِلْجَمَاعَةِ فِيهَا ، وَلَيْسَ مَعْنَاهُ : دَوَامُ الْقُعُودِ فِي الْمَسْجِدِ " اهـ (٢) .

وأهل المساجد تجالسهم الملائكة وتعينهم وتتفقدهم وتحفهم بأجنتها، وينزل الله عليهم الرحمة والسكينة ويذكرهم في الملأ الأعلى.

فقد روى الإمام مسلم عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال « مَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ تَعَالَى يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ وَغَشِيَتْهُمْ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ ».

وروى الإمام أحمد والحاكم عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " إن للمساجد أوتادا الملائكة جلساؤهم، إن غابوا يفتقدونهم، وإن مرضوا عادوهم، وإن كانوا في حاجة أعانواهم "

وفي رواية لأحمد: " قال: وجلس المسجد على ثلاث خصال: أخ مستفاد، أو كلمة حكمة، أو رحمة مُنتظرة " (٣)

وروى الترمذي وأحمد عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " أتاني الليلة ربي تبارك وتعالى في أحسن صورة - قال أحسبه في المنام - فقال يا محمد هل تدري فيم يختصم الملأ الأعلى ؟ قال قلت : لا قال فوضع يده بين كتفي حتى وجدت بردها بين ثديي أو قال في نحري فعلمت ما في السموات وما في الأرض قال يا محمد هل تدري فيم يختصم الملأ الأعلى ؟ قلت نعم، قال في الكفارات : والكفارات المكث في المساجد بعد الصلوات والمشي على الأقدام إلى الجماعات وإسباغ الوضوء في المكاره ومن فعل ذلك عاش بخير ومات بخير وكان من خطيئته كيوم ولدته أمه وقال يا محمد إذا صليت فقل اللهم إني أسألك فعل الخيرات وترك المنكرات وحب المساكين وإذا أردت

(١) حسن: حسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢ / ٢١٥) (٧١٦)

(٢) شرح مسلم (٣ / ٤٨١)

(٣) حسن: حسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (١٤ / ١٣) (٣٤٠١)

بعبادك فتنه فاقبضني إليك غير مفتون قال والدرجات إفشاء السلام وإطعام الطعام والصلاة بالليل والناس نيام" (١)

الشاهد قوله : "والكفارات المكث في المساجد بعد الصلوات والمشي على الأقدام إلى الجماعات"

فهذه الخصال الحميدة خاصة بأهل المساجد ، لا يتحصل عليها أصحاب الملك والوجاهات بمناصبهم ، ولا أصحاب الدنيا بأموالهم ، ولا أصحاب الجيوش بعددهم وعتادهم ، وإنما خص بها أهل المساجد الملازمون لها المتعاهدون لها بعبادة مولا هم جل وعلا ، فهنيئاً لهم ، وأكرم بها من خصائص ، وأعظم بها من مكارم .
ويزيد أجر الجلوس في المسجد ، إذا جلس العبد من بعد صلاة الفجر إلى أن تطلع الشمس ، ثم ترتفع فيصلّي ركعتين .

فقد روى الترمذي عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "من صلى الصبح في جماعة ثم قعد يذكر الله حتى تطلع الشمس ثم صلى ركعتين كانت له كأجر حجة وعمره" قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "تامة تامة تامة" (٢)

وهذا الفضل المترتب على هاتين الركعتين ، يشترط فيه أن يصلي العبد الفجر في جماعة في بيت من بيوت الله ، ثم يجلس يذكر الله أو يقرأ قرآناً أو نحو ذلك حتى تشرق الشمس ، ثم ينتظر حتى ترتفع قدر رمح - ويقدر ما بين ربع ساعة إلى ثلث ساعة - ثم يصلي ركعتين ، فإنه يحوز بذلك الأجر العظيم ، وهذا كله من فضائل المساجد والجلوس فيها لذكر الله واغتنامها بذلك .

نم الجلوس في المساجد من أجل الدنيا:

يشترط في الحصول على الأجور المترتبة على الجلوس في المساجد ، أن يكون الجالس في المسجد مخلصاً لوجه الله مبتغياً الأجر من الله ، موافقاً لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لا رياء ولا سمعة ولا من أجل أغراض دنيوية ولا مآرب حزبية ولا مصالح شخصية ، ولا يكون المكث فيها على البدع أو إحيائها ، أو إحداث شيء منها ، فإن كثيراً من الناس مقصدهم من الجلوس في المساجد هو الدنيا وجمع الأموال ، أو الجلوس على البدع والولاء والبراء من أجل أحزاب محدثة أو شخصيات معينة أو أفكار منحرفة .

فقد روى الطبراني وغيره عن ابن مسعود - رضي الله عنه - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم - قال : « سيكون في آخر الزمان قوم يجلسون في المساجد حلقة حلقة ، إمامهم الدنيا فلا تجالسوهم ، فإنه ليس لله فيهم حاجة » (٣) .

فضل الجماعة في المساجد:

إن الاجتماع من حيث الأصل ممدوح ومطلوب شرعاً ، حتى في الأمور الدنيوية ، فقد حث الله سبحانه وتعالى على جمع الكلمة ووحدة الصف ، فإن الجمع قوة والتفرق ضعف ، والشيطان يتسلط على الواحد ويضعف أمام الجمع .

فقد روى النسائي عن جابر بن سمرة ، قال : خَطَبَنَا عُمَرُ بِالْجَابِيَةِ فَقَالَ : قَامَ فِينَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَقَامِي فِيكُمْ الْيَوْمَ فَقَالَ : "أَحْسِنُوا إِلَيَّ أَصْحَابِي ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ، ثُمَّ يَفْشُو الْكَذِبُ حَتَّى يَشْهَدَ الرَّجُلُ عَلَى الشَّهَادَةِ لَا يُسَأَّلُهَا ، وَحَتَّى يَخْلَفَ عَلَى الْيَمِينِ لَا يُسَأَّلُهَا ، فَمَنْ أَرَادَ بُحْبُوحَةَ الْجَنَّةِ فَلْيَلْزِمِ الْجَمَاعَةَ ،

(١) صحيح: صححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١٢ / ٢) (٣١٦٩)

(٢) حسن: حسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (١٤ / ١٥) (٣٤٠٣) .

(٣) حسن: حسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب - (١ / ٧٢) (٢٩٦) وانظر السلسلة الصحيحة (٣ / ١٥١) (١١٦٣)

فَإِنَّ الشَّيْطَانَ مَعَ الْوَاحِدِ وَهُوَ مِنَ الْإِثْنَيْنِ أَبْعَدُ أَلَّا لَا يَخْلُوَنَّ أَحَدُكُم بِالْمَرْأَةِ ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ ثَالِثُهُمَا ، وَمَنْ سَرَّتُهُ حَسَنَتُهُ وَسَاءَتُهُ سَيِّئَتُهُ فَهُوَ مُؤْمِنٌ" (١) .

فهكذا جاء الحث على الاجتماع في الدين ، ومن ذلك الاجتماع وقت الصلوات، فشرع الله أن تؤدي الصلوات جماعة في بيوت الله ورتب على ذلك أجورا عظيمة من الدرجات والكفارات، وفي صلاة الجماعة فوائد كثيرة ومقاصد شرعية تظهر لمن حافظ على الجماعات، من المحبة والمودة بين المصلين والتعاون على الخير والمشاورة والمزاورة والمناسحة والسؤال عن الدين وأداء الصلاة بأركانها وشروطها وغير ذلك، والذي يتهاون في صلاة الجماعة تقوته جل تلك الفوائد، وربما أدى به الأمر إلى ترك الصلوات بالكلية بسبب ترك الجماعات.

روى البخاري ومسلم عن ابن عمر - رضي الله عنه - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- قَالَ « صَلَاةُ الْجَمَاعَةِ أَفْضَلُ مِنْ صَلَاةِ الْفَذِّ بِسَبْعٍ وَعِشْرِينَ دَرَجَةً » .
والفد: هو الفرد.

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رضي الله عنه - قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- « صَلَاةُ الرَّجُلِ فِي جَمَاعَةٍ تَزِيدُ عَلَى صَلَاتِهِ فِي بَيْتِهِ وَصَلَاتِهِ فِي سُوقِهِ بَضْعًا وَعِشْرِينَ دَرَجَةً وَذَلِكَ أَنْ أَحَدَهُمْ إِذَا تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ ثُمَّ أَتَى الْمَسْجِدَ لَا يَنْهَرُهُ إِلَّا الصَّلَاةُ لَا يُرِيدُ إِلَّا الصَّلَاةَ فَلَمْ يَخْطُ خَطْوَةً إِلَّا رَفَعَ لَهُ بِهَا دَرَجَةً وَحُطَّ عَنْهُ بِهَا خَطِيئَةٌ حَتَّى يَدْخُلَ الْمَسْجِدَ فَإِذَا دَخَلَ الْمَسْجِدَ كَانَ فِي الصَّلَاةِ مَا كَانَتْ الصَّلَاةُ هِيَ تَحْبِسُهُ وَالْمَلَائِكَةُ يُصَلُّونَ عَلَى أَحَدِكُمْ مَا دَامَ فِي مَجْلِسِهِ الَّذِي صَلَّى فِيهِ يَقُولُونَ اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ اللَّهُمَّ نُبِّ عَلَيْهِ مَا لَمْ يُؤْذِ فِيهِ مَا لَمْ يُحْدِثْ فِيهِ » .متفق عليه

وفي رواية للبخاري: "وَلَا يَزَالُ أَحَدُكُمْ فِي صَلَاةٍ مَا انْتَهَرَ الصَّلَاةَ". وفي رواية له: " صَلَاةُ الرَّجُلِ فِي الْجَمَاعَةِ تُضَعَّفُ عَلَى صَلَاتِهِ فِي بَيْتِهِ وَفِي سُوقِهِ خَمْسًا وَعِشْرِينَ ضِعْفًا .. "

وقوله في حديث أبي هريرة المتقدم: "فَإِذَا دَخَلَ الْمَسْجِدَ كَانَ فِي الصَّلَاةِ مَا كَانَتْ الصَّلَاةُ هِيَ تَحْبِسُهُ وَالْمَلَائِكَةُ يُصَلُّونَ عَلَى أَحَدِكُمْ مَا دَامَ فِي مَجْلِسِهِ الَّذِي صَلَّى فِيهِ يَقُولُونَ اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ اللَّهُمَّ نُبِّ عَلَيْهِ مَا لَمْ يُؤْذِ فِيهِ مَا لَمْ يُحْدِثْ فِيهِ »

وتقدم حديث ابن عباس - رضي الله عنهما قوله - صلى الله عليه وسلم -: "والكفارات المكث في المساجد بعد الصلوات والمشى على الأقدام إلى الجماعات" رواه الترمذي

ففي هذه الأحاديث بيان فضل الجلوس في المسجد، ودعاء الملائكة للعبد بشرط ألا يؤذي ولا يحدث فيه حدثا، كما في حديث أبي هريرة، فإن من الناس من يؤذي بالجدال والخصام والخلاف والصياح في المسجد، ومنهم من يحدث فيه بدعا وآثاما، فإن الحدث لفظ عام يطلق على معنيين: إما أن يكون بإحداث البدع والآثام والجدال والخصام، فهذا يأتى بأذاه، ويدل على ذلك قوله: "ما لم يؤذ فيه" وإما بانتقاض الوضوء والطهارة فإن المحدث في المسجد لا يظفر بدعاء الملائكة والله أعلم.

قال الحافظ: "...وقد قيل: المراد بالحدث هنا أعم من ذلك أي ما لم يحدث سوءا ويؤيده رواية مسلم: "ما لم يحدث فيه ما لم يؤذ فيه" وفي أخرى للبخاري: "ما لم يؤذ فيه يحدث فيه" اهـ (٢)

وقال ابن الجوزي: "إذا قعد المتوضى ينتظر الصلاة أعطي حكم المصلي فإذا أحدث خرج عن تلك الحالة" اهـ (١)

(١) صحيح: صححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٧١٧ / ١) (٤٣٠) ورواه الترمذي وأحمد وابن حبان والحاكم والطحاوي وأبو يعلى والبيهقي

(٢) الفتح (١ / ٥٣٨)

- الجمع بين الروایتین، قوله صلى الله عليه وسلم: "سبع وعشرين درجة" وقوله "خمسا وعشرين درجة" أي في فضل الجماعة:

الصلاة تختلف من شخص لآخر ومن مسجد لآخر من حيث إقامتها، فإنه كلما كان العبد أخشع في صلاته وأقرب إلى السنة، ويؤديها بشروطها وأركانها وسننها ويحضر قلبه فيها، فإنها تكون أفضل والأجر فيها أكثر والدرجات فيها أكمل، وبالعكس كلما حصل نقص في الصلاة مما تقدم ذكره فإن النقص يكون فيها بقدر ذلك الخلل، وقد تبطل الصلاة إذا فقد فيها أحد أركانها أو شروطها. وكلما كانت الصلاة في مسجد أقرب إلى السنة، وتؤدي على السنة، كما صلاها النبي صلى الله عليه وسلم، فإنها تكون أكثر أجورا، وكلما كان المصلون أكثر عدداً، كانت الجماعة أزكى مما لو كان عدد المصلين أقل، وهلم جرا.

قال النووي: "وَالْجَمْعُ بَيْنَهَا مِنْ ثَلَاثَةِ أَوْجُهٍ : أَحَدُهَا : أَنَّهُ لَا مُنَافَاةَ بَيْنَهَا فَذَكَرَ الْقَلِيلَ لَا يَنْفِي الْكَثِيرَ ، وَمَقْهُومُ الْعَدَدِ بَاطِلٌ عِنْدَ جُمْهُورِ الْأُصُولِيِّينَ . وَالثَّانِي : أَنَّ يَكُونَ أَخْبَرَ أَوَّلًا بِالْقَلِيلِ ، ثُمَّ أَعْلَمَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِزِيَادَةِ الْفَضْلِ فَأَخْبَرَ بِهَا . وَالثَّالِثُ : أَنَّهُ يَخْتَلِفُ بِاخْتِلَافِ أَحْوَالِ الْمُصَلِّينَ وَالصَّلَاةِ ، فَيَكُونُ لِبَعْضِهِمْ خَمْسٌ وَعِشْرُونَ وَلِبَعْضِهِمْ سَبْعٌ وَعِشْرُونَ ، بِحَسَبِ كَمَالِ الصَّلَاةِ وَمُحَافَظَتِهِ عَلَى هَيْئَاتِهَا وَخُشُوعِهَا ، وَكَثْرَةِ جَمَاعَتِهَا وَفَضْلِهِمْ ، وَشَرَفِ الْبُقْعَةِ وَنَحْوِ ذَلِكَ ، فَهَذِهِ هِيَ الْأَجُوبَةُ الْمُعْتَمَدَةُ" اهـ^(١) .

فضل انتظار الصلاة بعد الصلاة:

تقدم حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - في الصحيحين عند قوله صلى الله عليه وسلم: "فَإِذَا دَخَلَ الْمَسْجِدَ كَانَ فِي الصَّلَاةِ مَا كَانَتْ الصَّلَاةُ هِيَ تَحْسِبُهُ" وفي رواية للبخاري: "وَلَا يَزَالُ أَحَدُكُمْ فِي صَلَاةٍ مَا انْتَهَرَ الصَّلَاةَ" بمعنى أنه يكتب له أجر صلاة أخرى.

قال صاحب المنتقى: "قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " لَا يَزَالُ أَحَدُكُمْ فِي صَلَاةٍ مَا دَامَتْ الصَّلَاةُ تَحْسِبُهُ" يُرِيدُ أَنَّ حُكْمَهُ حُكْمُ مَنْ هُوَ فِي صَلَاةٍ فِي كَثْرَةِ ثَوَابِهِ إِذَا نَوَى بِمُقَامِهِ فِي مَوْضِعِهِ انْتِظَارَ الصَّلَاةِ، لَا يَكُونُ لِمُقَامِهِ وَامْتِنَاعِهِ مِنَ الْإِنْقِلَابِ إِلَى أَهْلِهِ مَعْنَى غَيْرِ انْتِظَارِ الصَّلَاةِ فِي الْمَسْجِدِ، وَقَدْ يَكُونُ انْتِظَارُ الصَّلَاةِ لِمَعْنَيْنِ :

أَحَدُهُمَا، أَنْ يَنْتَظِرَ وَقْتَهَا ، وَالثَّانِي، أَنْ يَنْتَظِرَ إِقَامَتَهَا فِي الْجَمَاعَةِ ، وَفِي الْمُبْسُوطِ سُئِلَ مَالِكٌ عَنْ رَجُلٍ صَلَّى فِي غَيْرِ جَمَاعَةٍ ثُمَّ قَعَدَ بِمَوْضِعِهِ يَنْتَظِرُ صَلَاةً أُخْرَى أَنْتَرَاهُ فِي صَلَاةٍ بِمَنْزِلَةٍ مَنْ كَانَ فِي الْمَسْجِدِ كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ؟ قَالَ: نَعَمْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، أَرَجُو أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ" اهـ^(٢) .

وروى الترمذي عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أتاني الليلة ربي (وفي رواية) رأيت ربي في أحسن صورة فقال لي: يا محمد قلت لبيك ربي وسعديك، قال هل تدري فيم يختصم الملائكة؟ قلت: لا أعلم، فوضع يده بين كتفي حتى وجدت بردها بين ثديي، أو قال

(١) كشف المشكل من حديث الصحيحين - (١ / ٩٦٢)

(٢) شرح صحيح مسلم (٢ / ٤٤٨)

(٣) شرح الموطأ (١ / ٣٩٤)

في نحري، فعلمت ما في السموات وما في الأرض، أو قال ما بين المشرق والمغرب، قال: يا محمد أتدري فيم يختصم الملاً الأعلى؟ قلت: نعم، في الدرجات، والكفارات، ونقل الأقدام إلى الجماعات، وإسباغ الوضوء في السبرات، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، ومن حافظ عليهن عاش بخير ومات بخير وكان من ذنوبه كيوم ولدته أمه ^(١)

وروى البزار واللفظ له والبيهقي وغيرهما عن أنس - رضي الله عنه - عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "ثلاث كفارات، وثلاث درجات، وثلاث منجيات، وثلاث مهلكات، فأما الكفارات، فإسباغ الوضوء في السبرات، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، ونقل الأقدام إلى الجماعات، وأما الدرجات فإطعام الطعام، وإفشاء السلام، والصلاة بالليل والناس نيام، وأما المنجيات، فالعدل في الغضب والرضا، والقصد في الفقر والغنى، وخشية الله في السر والعلانية، وأما المهلكات، فشح مطاع، وهوى متبع، وإعجاب المرء بنفسه" ^(٢)

والسبرات: هي شدة البرد. الشاهد هو قوله: "وانتظار الصلاة بعد الصلاة" فإن ذلك من مكفرات الذنوب والسيئات.

(١) صحيح: صححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب - (١ / ٤٦) (١٩٤) وهو عند البزار والطبراني

(٢) حسن: حسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب - (١ / ١٠٨) (٤٥٣)

المبحث الثاني: (فضل المسجد الحرام) واغتنامه

تقدم أن ذكرنا أن خير البلاد وأحبها إلى الله وإلى رسوله صلى الله عليه وسلم لهي مكة المكرمة، واختصت بخصائص كثيرة ومزايا عديدة، منها: أن فيها المسجد الحرام بما فيه قبلة المسلمين، فإن المسجد الحرام هو خير البقاع، وهو أفضل المساجد على الإطلاق، وهو أول بيت وضع للناس، وطهره الله وشرفه على سائر البقاع، وجعل الصلاة فيه خيرا من مائة ألف صلاة، وتوعد من ألد فيه أو أحدث فيه حدثا بالعذاب الأليم، وجعله آمن البيوت، فلا يجوز تخويف الحيوانات فيه فضلا عن بني آدم.

قال تعالى: {إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ * فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ} [آل عمران : ٩٦ ، ٩٧]
وقال تعالى: {أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ} [العنكبوت : ٦٧]

وروى البخاري ومسلم واللفظ له عَنْ أَبِي ذَرٍّ - رضي الله - قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّ مَسْجِدٍ وَضِعَ فِي الْأَرْضِ أَوَّلُ؟ قَالَ: « الْمَسْجِدُ الْحَرَامُ ». قُلْتُ ثُمَّ أَيُّ؟ قَالَ: « الْمَسْجِدُ الْأَقْصَى ». قُلْتُ كَمْ بَيْنَهُمَا؟ قَالَ « أَرْبَعُونَ سَنَةً وَأَيْنَمَا أَدْرَكَتْكَ الصَّلَاةُ فَصَلِّ فَهُوَ مَسْجِدٌ ». وَفِي حَدِيثِ أَبِي كَامِلٍ « ثُمَّ حِينَئِذَا أَدْرَكَتْكَ الصَّلَاةُ فَصَلِّ فَإِنَّهُ مَسْجِدٌ ».

فمن فضائل المسجد الحرام أن الأجور فيه مضاعفة، والصلاة فيه أفضل من مائة ألف صلاة.
فقد روى البخاري ومسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رضي الله عنه - يَبْلُغُ بِهِ النَّبِيُّ - صلى الله عليه وسلم - قَالَ « صَلَاةٌ فِي مَسْجِدِي هَذَا أَفْضَلُ مِنْ أَلْفِ صَلَاةٍ فِيمَا سِوَاهُ إِلَّا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ ».

وروى أحمد عن جابر - رضي الله عنه - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " صلاة في مسجدي أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام وصلاة في المسجد الحرام أفضل من مائة ألف صلاة فيما سواه" (١)
فيه فضل الصلاة فيه على ما سواه من المساجد سواء كانت فريضة أم نافلة، لعموم الحديث.

- ومن خصائصه أنه مسرى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم إلى المسجد الأقصى ثم إلى سدره المنتهى

قال تعالى: {سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} [الإسراء : ١]

(١) صحيح: صححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب - (٢ / ٢١) (١١٧٣) والوادعي في الصحيح المسند (١٨٨/١) (٢٢٨) وهو عند ابن ماجه

والبيهقي.

- ومن خصائصه أن الله تعالى حرم القتال عنده.

قال تعالى: {وَلَا تَقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلَكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَاتَلَكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ} [البقرة : ١٩١]

- ومن خصائصه أنه لا يحل لمشرك أن يدخله.

قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ} [التوبة : ٢٨]

- ومن خصائصه أن الله جعل الناس فيه سواءً في زيارته والنزول فيه وسكنائه، وتوعد من هم فيه بمعصية بالعذاب الأليم.

قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَادِ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ} [الحج : ٢٥]

قال المفسر السعدي: "يخبر تعالى عن شناعة ما عليه المشركون الكافرون بربههم، وأنهم جمعوا بين الكفر بالله ورسوله، وبين الصد عن سبيل الله ومنع الناس من الإيمان، والصد أيضا عن المسجد الحرام، الذي ليس ملكا لهم ولا لأبائهم، بل الناس فيه سواء، المقيم فيه، والطارئ إليه، بل صدوا عنه أفضل الخلق محمدا وأصحابه، والحال أن هذا المسجد الحرام، من حرمة واحترامه وعظمته، أن من يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب أليم.

فمجرد إرادة الظلم والإلحاد في الحرم، موجب للعذاب، وإن كان غيره لا يعاقب العبد عليه إلا بعمل الظلم، فكيف بمن أتى فيه أعظم الظلم، من الكفر والشرك، والصد عن سبيله، ومنع من يريده بزيارة، فما ظنكم أن يفعل الله بهم؟" اهـ

وروى البخاري عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : "أَبْغَضُ النَّاسِ إِلَى اللَّهِ ثَلَاثَةٌ مُلْحِدٌ فِي الْحَرَمِ وَمُبْتَغٍ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ وَمُطْلَبٌ دَمِ امْرِئٍ بَغِيرِ حَقِّ لِيُهِرِيقَ دَمَهُ".

قال التبريزي (ملحد في الحرم) أي ظالم أو عاص فيه ، والإلحاد الميل عن الصواب ، والعدول عن القصد. قال الحافظ : وظاهر سياق الحديث أن فعل الصغيرة في الحرم أشد من فعل الكبيرة في غيره ، فإن مرتكب الصغيرة مائل عن الحق والقصد ، وهو مشكل ، فتعين أن المراد بالإلحاد فعل الكبيرة. وقال القسطلاني : أجب بأن الإلحاد في العرف مستعمل في الخارج عن الدين ، فإذا وصف به من ارتكب معصية كان في ذلك إشارة إلى عظمها" اهـ^(١).

ومن خصائص المسجد الحرام أنه أحد المساجد الثلاثة التي يشرع شد الرحال إليها.

فقد روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة - رضي الله عنه - يَبْلُغُ بِهِ النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- « لَا تُشَدُّ الرَّحَالُ إِلَّا إِلَى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ مَسْجِدِي هَذَا وَمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَسْجِدِ الْأَقْصَى ». فينبغي الإكثار من الصلاة في هذا المسجد المبارك لمن كان من أهل تلك البلاد أو وفقه الله لزيارته.

(١) مشكاة المصابيح : (١ / ٥٦٨)

المبحث الثالث: (فضل المسجد النبوي) واغتنامه

تقدم ذكر فضل المدينة لما خصها الله تعالى بخصائص كثيرة، ومنها وجود المسجد النبوي فيها، فإنه أفضل المساجد وأشرفها بعد المسجد الحرام، ومنه انتشر الدين، وانطلق المجاهدون، وتخرج منه السادة والقادة والعلماء الربانيون، من الصحابة والتابعين، رضوان الله عليهم أجمعين، والأجور فيه مضاعفة، والصلاة فيه خير من ألف صلاة فيما سواه، وفيه روضة من رياض الجنة. فقد روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "صلاة في مسجدي هذا خير من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام". فالصلاة فيه مضاعفة سواء كانت فريضة أم نافلة، لعموم الحديث. وسواء كانت الصلاة في أصل مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، أم في التوسعة فإن لها حكم المسجد. قال الشيخ عبد المحسن العباد - حفظه الله - : "إنَّ التَّضْعِيفَ الواردَ في الحديثِ ليس مُختَصًّا في البقعة التي هي المسجد في زمانه - صلى الله عليه وسلم -، بل لها ولكل ما أضيف إلى المسجد من زيادات، ويدلُّ على ذلك أنَّ الخلفَيْنِ الرَّاشِدَيْنِ عمر وعثمان رضي الله عنهما زادا المسجد من الجهة الأمامية، ومن المعلوم أنَّ الإمامَ والصفوفَ التي تليه في الزيادة خارجُ المسجد الذي كان في زمانه - صلى الله عليه وسلم -، فلولا أنَّ الزيادة لها حكمُ المزيد لما زاد هذان الخلفيتان المسجدَ من الجهة الأمامية، وقد كان الصحابةُ في وقتها متوافرين ولم يعترض أحدٌ على فعلهما، وهو واضحُ الدلالة على أنَّ التضعيفَ ليس خاصًّا بالبقعة التي كانت هي المسجد في زمانه - صلى الله عليه وسلم" اهـ^(١)

ومن خصائص المسجد النبوي أنه أحد المساجد الثلاثة التي يشرع شد الرحال إليها: فقد روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة يبلغ به النبي - صلى الله عليه وسلم - « لا تُشدُّ الرَّحَالُ إِلَّا إِلَى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ مَسْجِدِي هَذَا وَمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَسْجِدِ الْأَقْصَى ».

فضل الروضة:

روى البخاري ومسلم عن عبد الله بن زيد الأنصاري - رضي الله عنه - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: ((ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة)) قال ابن بطال: "وإنما عنى - صلى الله عليه وسلم - أن ذلك الموضع للمصلى فيه، والذاكر الله عنده والعامل بطاعته كالعامل في روضة من رياض الجنة، وأن ذلك يقود إلى الجنة" اهـ^(٢) وقال الشيخ العباد: "وتخصيصها بهذا الوصف دون غيرها من المسجد يدلُّ على فضلها وتميُّزها، وذلك يكون بأداء التواقل فيها، وكذا ذكر الله وقراءة القرآن فيها إذا لم يحصل إضرارٌ بأحدٍ فيها أو في الوصول إليها، أمَّا صلاة الفريضة فإنَّ أدائها في الصفوف الأمامية أفضل؛ لقوله - صلى الله عليه وسلم -: ((خيرُ صفوف الرجال أولها وشرُّها آخرها))، رواه مسلم، وقوله - صلى الله عليه وسلم -: ((لو يعلم الناس ما في النداء والصف الأول، ثم لم يجدوا إلا أن يستهموا عليه لاستهموا عليه))، رواه البخاري ومسلم" اهـ^(٣)

(١) فضل المدينة وآداب سكناها وزيارتها (٨ / ١)

(٢) شرح صحيح البخاري (١٩٩ / ٥)

(٣) فضل المدينة وآداب سكناها وزيارتها - (٩ / ١)

فينبغي الإكثار من الصلاة في هذا المسجد المبارك لمن كان من أهل تلك البلاد، أو وفقه الله لزيارته، ثم زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم وصاحبيه، والسلام عليهم، ولا يشرع تخصيص زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم وصاحبيه - رضي الله عنهما -، أو السفر وشد الرحال من أجله فإن ذلك من البدع، وذريعة إلى الشرك، وإنما تكون زيارتهم على الطريق من زيارة المسجد النبوي تبعاً لا استقلالاً.

شبهة الرد عليها:

استدل كثير من الضلال القبوريين والمبتدعة على جواز إدخال القبور في المساجد، أو جواز بناء المساجد على القبور استدلالاً بقبر رسول الله صلى الله عليه وسلم، وذلك أنه داخل المسجد النبوي.

والرد عليهم من وجوه:

أولها: أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن ذلك ولعن من فعل ذلك، في أحاديث كثيرة صحيحة صريحة محكمة غير منسوخة.

ثانيها: أن النبي صلى الله عليه وسلم قُبر في حجرة عائشة - رضي الله عنها - ولم يقبر في مسجده.

ثالثها: أن توسعة المسجد حصلت بعد موته في عهد الدولة الأموية حتى جعلوا قبره صلى الله عليه وسلم في المسجد، وقد أنكر عليهم بعض التابعين ومن بقي من الصحابة آنذاك، فأصر أمراء بني أمية على ذلك، وفعلهم ليس بحجة، فالمسألة دولية لا دليلية.

رابعها: أنه يوجد على قبره صلى الله عليه وسلم ثلاثة جدران بحيث لا يستطيع أحد استقبال قبره. وربما يوجد وجوه أخرى كثيرة في الرد على المجيزين لإدخال القبر في المسجد، فشبّهتهم واهية، وحبّتهم داحضة، وقلوبهم زائغة، فليس بعد الحق إلا الضلال.

قال الشيخ العباد: "ابتلي كثير من المسلمين في كثير من الأقطار الإسلامية ببناء المساجد على القبور، أو دفن الموتى في المساجد، وقد يتشبهت بعضهم لتسويغ ذلك بوجود قبره - صلى الله عليه وسلم - في مسجده، ويجاب عن هذه الشبهة بأن النبي - صلى الله عليه وسلم - هو الذي بنى المسجد أول قدمه المدينة، وبنى بيوته التي تسكنها أمهات المؤمنين بجوار مسجده، ومنها بيت عائشة الذي دُفن فيه - صلى الله عليه وسلم -، وبقيت هذه البيوت كما هي خارج المسجد في زمن الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم وزمن معاوية رضي الله عنه، وزمن خلفاء آخرين بعده، وفي أثناء خلافة بني أمية وسع المسجد وأدخل بيت عائشة الذي قُبر فيه - صلى الله عليه وسلم - في المسجد، وقد جاء عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أحاديث محكمة لا تقبل النسخ تدل على تحريم اتخاذ القبور مساجد، منها حديث جندب بن عبد الله البجلي رضي الله عنه الذي سمعه من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قيل وفاته بخمس ليالٍ قال فيه: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - قِيلَ أَنْ يَمُوتَ بِخَمْسٍ يَقُولُ: ((إِنِّي أَبْرَأُ إِلَى اللَّهِ أَنْ يَكُونَ لِي مِنْكُمْ خَلِيلٌ، فَإِنَّ اللَّهَ اتَّخَذَنِي خَلِيلًا كَمَا اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا، وَلَوْ كُنْتُ مَتَّخِذًا مِنْ أُمَّتِي خَلِيلًا لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا، أَلَا وَإِنْ كَانَ قَبْلَكُمْ كَانُوا يَتَّخِذُونَ قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ وَمَسَاجِدَ، أَلَا فَلَا تَتَّخِذُوا الْقُبُورَ مَسَاجِدَ فَإِنِّي أَنَهَاكُم عَنْ ذَلِكَ))، رواه مسلم في صحيحه.

بل إن النبي - صلى الله عليه وسلم - لما نزل به الموت حذر من اتخاذ القبور مساجد كما في الصحيحين عن عائشة وابن عباس رضي الله عنهما قالاً: ((لَمَّا نَزَلَ بِرَسُولِ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - طَفِقَ يَطْرُخُ خَمِيصَةً عَلَى وَجْهِهِ، فَإِذَا اغْتَمَّ كَشَفَهَا عَنْ وَجْهِهِ، فَقَالَ وَهُوَ كَذَلِكَ: لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ، يُحَدِّثُ مَا صَنَعُوا)).

فهذه الأحاديث عن عائشة وابن عباس وجندب رضي الله عنهم محكمة لا تقبل النسخ بحال من الأحوال؛ لأن حديث جندب في آخر أيامه، وحديثي عائشة وابن عباس في آخر لحظاته - صلى الله عليه وسلم -، فلا يجوز لأحد من المسلمين أفراد أو جماعات ترك ما دلت عليه هذه الأحاديث الصحيحة المحكمة،

والتعويض على عملٍ حصل في أثناء عهد بني أمية، وهو إدخال القبر في مسجده - صلى الله عليه وسلم -
فيستدل بذلك على جواز بناء المساجد على القبور أو دفن الموتى في المساجد^(١).

(١) المصدر السابق (١ / ١٠ / ١)

المبحث الرابع : (فضل المسجد الأقصى) واغتنام الصلاة فيه

للمسجد الأقصى فضائل عديدة ،منها أنه في الأرض التي بارك الله فيها،ومنها أنه معراج نبيينا صلى الله عليه وسلم إلى سدره المنتهى،ومنها أنه ثاني بيت وضع للناس،والصلاة فيه مضاعفة ،وهي من مكفرات الذنوب،وهي بمائتين وخمسين صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام والمسجد النبوي.

فقد روى البخاري ومسلم واللفظ له عَنْ أَبِي ذَرٍّ - رضي الله - قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّ مَسْجِدٍ وُضِعَ فِي الْأَرْضِ أَوَّلُ؟ قَالَ: « الْمَسْجِدُ الْحَرَامُ ». قُلْتُ ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: « الْمَسْجِدُ الْأَقْصَى ». قُلْتُ كَمْ بَيْنَهُمَا؟ قَالَ « أَرْبَعُونَ سَنَةً وَأَيْنَمَا أَدْرَكْتَكِ الصَّلَاةُ فَصَلِّ فَهُوَ مَسْجِدٌ ». وَفِي حَدِيثِ أَبِي كَامِلٍ « ثُمَّ حِينَئِذَا أَدْرَكْتَكِ الصَّلَاةُ فَصَلِّ فَإِنَّهُ مَسْجِدٌ ».

وروى البيهقي والحاكم عن أبي ذر - رضي الله عنه - أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الصلاة في بيت المقدس أفضل أو في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: " صلاة في مسجدي هذا أفضل من أربع صلوات فيه ولنعم المصلى هو أرض المحشر والمنشر وليأتين على الناس زمان ولقيد سوط أو قال قوس الرجل حيث يرى منه بيت المقدس خير له أو أحب إليه من الدنيا جميعا"^(١)

وروى النسائي عن عبد الله بن عمرو- رضي الله عنه - عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : " أن سليمان بن داود صلى الله عليه وسلم لما بنى بيت المقدس سأل الله عز و جل خلا لا ثلاثة، سأل الله عز و جل حكما يصادف حكمه فأوتيه، وسأل الله عز و جل ملكا لا ينبغي لأحد من بعده فأوتيه، وسأل الله عز و جل حين فرغ من بناء المسجد أن لا يأتيه أحد لا ينهزه إلا الصلاة فيه أن يخرجه من خطيئته كيوم ولدته أمه"^(٢)

ومن خصائص المسجد الأقصى أنه أحد المساجد الثلاثة التي يشرع شد الرحال إليها.

فقد روى البخاري ومسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ يَبْلُغُ بِهِ النَّبِيُّ -صلى الله عليه وسلم- « لَا تُشَدُّ الرَّحَالُ إِلَّا إِلَى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ مَسْجِدِي هَذَا وَمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَسْجِدِ الْأَقْصَى ».

وسياتي يوم بإذن الله يكون المسجد الأقصى في حوزة المسلمين كما وعد بذلك الذي لا ينطق عن الهوى، فنسأل الله العظيم رب العرش العظيم ،أن يطهر الأقصى من قبضة اليهود المعتدين.

(١) صحيح: صححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب - (٢ / ٢٢) (١١٧٩)

(٢) صحيح: صححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب - (٢ / ٢٢) (١١٧٨) . ورواه أحمد وابن ماجه وابن خزيمة وابن حبان والحاكم

المبحث الخامس (فضل مسجد قباء) واغتنام الصلاة فيه

إن لمسجد قباء فضلاً ومزيةً على كثير من المساجد، فهو أول مسجد أسس على التقوى من أول يوم ، فإن أول عمل قام به النبي صلى الله عليه وسلم عند وصوله إلى المدينة عام الهجرة هو بناء مسجد قباء، ومن فضائله أن الصلاة فيه كأجر عمرة، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يكثر من زيارته.

قال تعالى: {لَمَسْجِدُ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ} [التوبة: ١٠٨]

قال ابن كثير رحمه الله: ".ثم حثه على الصلاة في مسجد قباء الذي أسس من أول يوم بنائه على التقوى، وهي طاعة الله، وطاعة رسوله، وجمعا لكلمة المؤمنين ومَعَقلاً وموئلاً للإسلام وأهله؛ ولهذا قال تعالى: { لَمَسْجِدُ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ } والسياق إنما هو في معرض مسجد قباء" اهـ

وقال السعدي رحمه الله في قوله تعالى: { لَمَسْجِدُ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ } ظهر فيه الإسلام في "قباة" وهو مسجد "قباة" أسس على إخلاص الدين لله، وإقامة ذكره وشعائر دينه، وكان قديماً في هذا عريقاً فيه، فهذا المسجد الفاضل { أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ } وتتعبد، وتذكر الله تعالى فهو فاضل، وأهله فضلاء، ولهذا مدحهم الله بقوله: { فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا } من الذنوب، ويتطهروا من الأوساخ، والنجاسات والأحداث.

ومن المعلوم أن من أحب شيئاً لا بد أن يسعى له ويجتهد فيما يحب، فلا بد أنهم كانوا حريصين على التطهر من الذنوب والأوساخ والأحداث، ولهذا كانوا ممن سبق إسلامه، وكانوا مقيمين للصلاة، محافظين على الجهاد، مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإقامة شرائع الدين، وممن كانوا يتحرزون من مخالفة الله ورسوله" اهـ.

وروى البخاري عن ابن عمر - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - أَنَّهُ كَانَ لَا يُصَلِّي مِنَ الضُّحَى إِلَّا فِي يَوْمَيْنِ يَوْمَ يَقْدَمُ بِمَكَّةَ ، فَإِنَّهُ كَانَ يَقْدُمُهَا ضُحًى فَيَطُوفُ بِالْبَيْتِ ثُمَّ يُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ خَلْفَ الْمَقَامِ وَيَوْمَ يَأْتِي مَسْجِدَ قُبَاءَ ، فَإِنَّهُ كَانَ يَأْتِيهِ كُلُّ سَبْتٍ فَإِذَا دَخَلَ الْمَسْجِدَ كَرِهَ أَنْ يَخْرُجَ مِنْهُ حَتَّى يُصَلِّيَ فِيهِ قَالَ : وَكَانَ يُحَدِّثُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَزُورُهُ رَاكِبًا وَمَاشِيًا.

وروى الترمذي عن أُسَيْدِ بْنِ ظَهْرٍ الْأَنْصَارِيِّ - رضي الله عنه - وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، أَنَّهُ قَالَ : " صَلَاةٌ فِي مَسْجِدِ قُبَاءَ كَعُمْرَةٍ " (١) فيستحب لمن كان في المدينة ، أو زارها أن يزور مسجد قباء ، ويصلي فيه ما شاء الله له.

(١) صحيح: صححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب - (٢ / ٢٣) (١٨٠) وهو عند ابن ماجه والبيهقي

الباب الثالث فضل ما جاء في الأعمال المباركة:

تقدم في أول الكتاب فضل الأعمال عموماً، ونذكر هنا فضل بعض الأعمال على وجه الخصوص، وتقدم أن الحسنه بعشر أمثالها إلى سبعمئة ضعف إلى أضعاف كثيرة، وسنذكر هنا أعمالاً هي أعظم في الأجر وأكثر في الفضل، منها:

التوحيد وفضله وتحقيقه وهو العمل ب(لا إله إلا الله)

كلمة التوحيد، هي لا إله إلا الله، وهي كلمة الإخلاص، وكلمة التقوى، والعروة الوثقى، والكلمة الطيبة، والكلمة الباقية، وهي الميثاق، والقول الصواب، وهي الحجة، وأفضل الذكر، وهي أعظم حسنة، وهي خير الكلام، وكلمة الإسلام، ومفتاح دار السلام، وهي أول أركان الإسلام ودعائمه العظام لا يقبل من أحد الإسلام إلا بها.

فهي أعظم كلمة، وأثقل شيء في الميزان، وأثقل من السماوات والأرض، فمن أجلها خلق الله المخلوقات وبسط الأرض ورفع السماوات، ومن أجلها جردت السيوف من مغامدها بين أهلها وأعدائها، فمن قالها عصم دمه وماله إلا بحقها، ومن مات عليها دخل الجنة وإن أصابه قبل ذلك ما أصاب، وهي من أعظم المكفرات، ومن أسباب تفريج الكربات في الدنيا والآخرة، ومن أسباب النجاة من النار، لمن كان من أهلها قولاً وعملاً واعتقاداً ودعوة إلى ذلك.

فمن عظمتها أن الله شهد بها لنفسه وأشهد ملائكته وأشهد أولي العلم، قال الله تبارك وتعالى في كتابه الكريم: {شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} [آل عمران: ١٨]

قال المفسر البغوي في تفسيره: مَعْنَى شَهَادَةِ اللَّهِ: الْإِخْبَارُ وَالْإِعْلَامُ، وَمَعْنَى شَهَادَةِ الْمَلَائِكَةِ وَالْمُؤْمِنِينَ: الْإِقْرَارُ. اهـ

- ومن فضائل هذه الكلمة العظيمة أنها أثقل شيء في الميزان فلا يقابلها شيء من الذنوب ولو كثرت، كما هو حال صاحب البطاقة الذي خلصه الله بكلمة التوحيد وقد نشرت له السجلات الكثيرة والمليئة بالذنوب فنجاً وغفر الله له.

فقد روى الترمذي عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ - رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنَّ اللَّهَ سَيَخْلُصُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي عَلَى رُءُوسِ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُنْشَرُ عَلَيْهِ تِسْعَةٌ وَتِسْعِينَ سَجَلًا كُلُّ سَجَلٍ مِثْلُ مَدِّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَتُنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا؟ أَظْلَمَكَ كَتَبْتَنِي الْحَافِظُونَ؟ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: أَفَأَنْتَ عُدْرٌ؟ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: بَلَى إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَةً، فَإِنَّهُ لَا ظُلْمَ عَلَيْكَ الْيَوْمَ، فَتَخْرُجُ بِطَاقَةٍ فِيهَا: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَيَقُولُ: احْضُرْ وَزَنْتَكَ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ مَا هَذِهِ الْبِطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السَّجَلَاتِ، فَقَالَ: إِنَّكَ لَا تَظْلَمُ، قَالَ: فَتَوَضَّعَ السَّجَلَاتُ فِي كِفَّةٍ وَالبِطَاقَةُ فِي كِفَّةٍ، فَطَاشَتِ السَّجَلَاتُ وَثَقَلَتِ الْبِطَاقَةُ، فَلَا يَنْقُلُ مَعَ اسْمِ اللَّهِ شَيْءٌ" (١)

فهذا الفضل في حق من عمل بمقتضاها، وحقق شروطها، واجتنب نواقضها.

(١) صحيح: صححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١/ ٢١٢) برقم (١٣٥) ورواه أحمد وابن ماجه وابن حبان والحاكم والبيهقي

قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ: "فهناك فرق بين هذا الإنسان الذي قال: لا إله إلا الله، بعلم ويقين وإقرار وصدق ومحبة، فيغفر له بذلك ما كان من ذنوبه، ومن قالها بغير توفير شروطها، والله أعلم من يستحق الجنة ممن قال لا إله إلا الله، ومن يستحق النار من أهل لا إله إلا الله ... فمن قالها مخلصاً من قلبه، مقراً موقناً بها، محباً لها ولأهلها، محباً لله سبحانه وتعالى، راضياً بدينه، مخلصاً في عمله، هذا تنفعه هذه الكلمة يوم القيامة، حتى وإن أتى بمعاصٍ كثيرة. اهـ

فيجب تعلم شروط هذه الكلمة العظيمة والعمل بها والاهتمام بها، واجتناب نواقضها، لمن أراد النجاة في الدنيا والآخرة.

- ومن فضائلها: أنها اتفقت فيها جميع الشرائع، ودعت إليها جميع الرسل، قال تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ} [الأنبياء: ٢٥]

- ومن فضائلها: أنها لو وزنت بالسموات والأرض لرجحت عليهن، فكما أنها أثقل حسنة في الميزان يوم القيامة، فكذلك هي أثقل الأشياء في الدنيا.

فقد روى النسائي عن عبد الله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهما - أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "قَالَ نُوحٌ لِأَبْنِهِ: إِنِّي مُوصِيكَ بِوَصِيَّةٍ وَقَاصِرُهَا كَيْ لَا تَنْسَاهَا، أَوْصِيكَ بِأَتْنَيْنِ، وَأَنْهَكَ عَنْ أَتْنَيْنِ: أَمَّا اللَّتَانِ أَوْصِيكَ بِهِمَا فَيَسْتَبْشِرُ اللَّهُ بِهِمَا، وَصَالِحُ خَلْقِهِ، وَهُمَا يُكْثِرَانِ الْوُلُوجَ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى، أَوْصِيكَ بِلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَإِنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَوْ كَانَتَا حَلَقَةً قَصَمْتُهُمَا، وَلَوْ كَانَتْ فِي كَفَّةٍ وَزَنَتْهُمَا، وَأَوْصِيكَ بِسُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، فَإِنَّهَا صَلَاةُ الْخَلْقِ، وَبِهَا يَرْزُقُ الْخَلْقُ، {وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا}، وَأَمَّا اللَّتَانِ أَنْهَكَ عَنْهُمَا فَيَحْتَجِبُ اللَّهُ مِنْهُمَا، وَصَالِحُ خَلْقِهِ، أَنْهَكَ عَنِ الشِّرْكِ وَالْكِبَرِ" (١).

ولا بد فيها من الإخلاص، فإن الإخلاص يدفع العبد للعمل الصالح، وحسن العبادة، وكل ما يقرب الإنسان إلى الله من فرائض ونوافل، فمن قالها مخلصاً فيها، عاملاً بمقتضاها، مجتنباً لما يخدشها من الشرك، أو يخل بها من الذنوب والمعاصي، فإنها تصعد إلى السماء، وتفتح لها أبواب السموات السبع، حتى تصل إلى العرش.

فقد روى الترمذي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مَا قَالَ عَبْدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ قَطُّ مُخْلِصًا، إِلَّا فَتَحَتْ لَهُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ، حَتَّى تُفْضِيَ إِلَى الْعَرْشِ، مَا اجْتَنَبَ الْكِبَائِرَ" (٢).

ومعنى: (حتى تفضي إلى العرش) أي: حتى تصل إلى العرش.

قال المناوي: (إلا انفتحت له أبواب السماء) أي فتحت لقوله ذلك، فلا تزال كلمة الشهادة صاعدة (حتى تفضي إلى العرش) أي تنتهي إليه (ما اجتنبت الكبائر) أي وذلك مدة تجنب قائلها الكبائر من الذنوب" اهـ (٣)

فليحذر المؤمن الموحد من الذنوب فإن الكبائر تخدش في التوحيد، وقد تسبب لصاحبها دخول جهنم إلى ما شاء الله، ثم يخرج الله بتوحيده، فلا يظن العاصي الموحد أنه في مأمن من العذاب، بل هو تحت مشيئة الله، قد يغفر الله له برحمته بسبب توحيده وإخلاصه، وقد يعذبه بذنوبه، ثم تنفعه لا إله إلا الله فيخرج من العذاب، لما ثبت في صحيح البخاري ومسلم عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ - رضي الله عنه - عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَفِي قَلْبِهِ وَزُنْ شَعِيرَةٌ مِنْ خَيْرٍ، وَيَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَفِي قَلْبِهِ وَزُنْ دَرَّةٌ مِنْ خَيْرٍ»

(١) صحيح: صححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب - (٢ / ١٠٧) (١٥٤٣). وهو عند الحاكم والبيهقي.

(٢) حسن: حسنه الألباني في صحيح الترمذي - (٣ / ١٨٤) (٢٨٣٩).

(٣) فيض القدير (٥ / ٥٨٦).

فمن خطر الذنوب، أن العبد قد يدخل النار بذنوبه وهو من أهل التوحيد، لكن بفضل الله يخرج من النار بتوحيده: "فمن قال كلمة التوحيد وعمل بها نفعته يوما من الدهر وإن أصابه قبل ذلك ما أصابه .
فقد روى الطبراني والبخاري عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :
"من قال لا إله إلا الله نفعته يوما من الدهر يصيبه قبل ذلك ما أصابه"^(١).

أما من لقي الله موحدا مخلصا بعيدا عن الكبائر عابدا لله فإن الله حرم جسده على النار، فقد جاء في الصحيحين عن عتبان - رضي الله عنه - أن رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: " فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ " ويستلزم من ذلك أن يعبد الله بمقتضاها.

قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ: "يقولها بإخلاص، لأن الإخلاص يدفعه إلى العمل لله رب العالمين، وحسن العبادة، فهذا يستحق الجنة". اهـ

وقال الشيخ العثيمين: " ومعلوم أن الذي يقول هذا طالبا وجه الله فسيحصل كل شيء يقربه إلى الله من فروض ونوافل فلا يكون هذا دليل للكسالى والمهملين يقولون نحن نقول لا إله إلا الله نبتغي بذلك وجه الله

نقول: لو كنتم صادقين ما أهملتم العبادات الواجبة عليكم" اهـ^(٢)

- ومن فضائل لا إله إلا الله: أن من ختم له بها، فمات عليها دخل الجنة.

فقد روى الإمام مسلم من حديث عثمان بن عفان - رضي الله عنه - قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، دَخَلَ الْجَنَّةَ»

وعند أبي داود عن معاذ بن جبل - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة"^(٣)

ولهذا يشرع تلقين المحتضر (لا إله إلا الله) لتكون آخر كلامه من الدنيا، فقد حث النبي صلى الله عليه وسلم على تلقين المحتضر هذه الكلمة فقال: "لقنوا موتاكم لا إله إلا الله" رواه مسلم عن أبي سعيد رضي الله عنه.

وجاء عند ابن حبان وغيره، عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "لقنوا موتاكم لا إله إلا الله فإنه من كان آخر كلامه لا إله إلا الله عند الموت دخل الجنة يوما من الدهر وإن أصابه قبل ذلك ما أصابه"^(٤)

فمن نطق بها عند موته، وكان آخر كلامه لا إله إلا الله، فإنها علامة على حسن الخاتمة.
قال أهل العلم: وذلك بأن يذكره بها تذكيرا، بأن يذكرها عنده أو نحو ذلك، لا يأمره أمرا، حتى لا يتسجر وهو في تلك الحالة، فإن قالها ثم تكلم بعدها كلاما آخر ذكره مرة أخرى، حرصا على أن يكون آخر كلامه بها.

فمن مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله علما يقينيا منافيا للجهل دخل الجنة، فيعلم معناها (نفيا وإثباتا)، وذلك بأنه لا معبود بحق إلا الله، وغير الله إن عبد فقد عبد بباطل.

فيعلم معناها (نفيا) أي: بنفي جميع العبادات عما سوى الله، وبنفي جميع المعبودات سوى الله .

(١) صحيح: صححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب - (٢ / ١٠٣) (١٥٢٥) وانظر السلسلة الصحيحة (٣ / ٢٩٧)

(٢) شرح رياض الصالحين - (١ / ٤٧٧)

(٣) صحيح: صححه الألباني في صحيح وضعيف سنن أبي داود - (٧ / ١١٦) (٣١١٦) وانظر حديث رقم: (٦٤٧٩) في صحيح الجامع وهو عند أحمد والحاكم.

(٤) قال الشيخ الألباني: (صحيح) انظر حديث رقم: (٥١٥٠) في صحيح الجامع

ويعلم معناها (إثباتاً) أي: يثبت جميع العبادات لله القولية والفعلية والقلبية، وإثبات إله واحد وهو الله سبحانه وتعالى، فمن كان كذلك أدخله الله الجنة وحرمه على النار. فهذه الكلمة مرتبتان، وهما النفي والإثبات، ولا يكفي في معناها مجرد النفي دون الإثبات، ولا الإثبات دون النفي، إذ إن النفي فقط تعطيل، والإثبات فقط لا ينافي المشاركة فكان لابد فيها من النفي والإثبات. فهذا هو معنى لا إله إلا الله، الذي جهل معناها كثير من الناس إلا من بصره الله.

فيجب على العبد أن يتعلم معنى هذه الكلمة وأن يتعلم شروطها ويعمل بها، فمن لم يعمل بشروطها فيخشى عليه أن يفتن عنها عند الموت، ويحال بينه وبينها، حتى وإن كان يقولها في حال صحته. فينبغي على كل مسلم أن يعود نفسه عليها، وأن يرطب لسانه بالإكثار منها، وأن يملأ قلبه بحبها، فإنها خفيفة على اللسان، حبيبة إلى الرحمن، ثقيلة في الميزان، وهي أفضل الذكر وأعلى شعب الإيمان، كما عند الإمام ابن ماجه عن جابر - رضي الله عنه - أن رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قال: "أَفْضَلُ الذِّكْرِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَفْضَلُ الدُّعَاءِ الْحَمْدُ لِلَّهِ" (١)

وفي الصحيحين عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الإيمان بضع وسبعون شعبة أعلاها قول لا إله إلا الله» الحديث.

ومن أكثر منها ملئت صحيفته حسنات، وكفرت سيئاته، وعصم من الشيطان، ففي الصحيحين عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: " مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. فِي يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ، كَانَتْ لَهُ عَدَلٌ عَشْرَ رِقَابٍ، وَكُتِبَ لَهُ مِائَةُ حَسَنَةٍ، وَمُحِيتَ عَنْهُ مِائَةُ سَيِّئَةٍ، وَكَانَتْ لَهُ حِرْزًا مِنَ الشَّيْطَانِ، يَوْمَهُ ذَلِكَ حَتَّى يُمَسَّى، وَلَمْ يَأْتِ أَحَدٌ بِأَفْضَلٍ مِمَّا جَاءَ إِلَّا رَجُلٌ عَمِلَ أَكْثَرَ مِنْهُ "

ومن كان من أهلها حلت له الشفاعة يوم القيامة، وكان أسعد الناس بشفاعة المصطفى صلى الله عليه وسلم، لما ثبت في البخاري عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ، أَوْ نَفْسِهِ»

- ومن فضائل كلمة التوحيد أن من دعا بها استجاب الله له وفرج همه، لما روى الترمذي عن سعد بن أبي وقاص - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " دعوة ذي النون إذ دعاه وهو في بطن الحوت لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين فإنه لم يدع بها رجل مسلم في شيء قط إلا استجاب الله له" (٢)

فيجب الاعتناء بهذه الكلمة العظيمة والعمل بها والدعوة إليها، والمحافظة عليها مما يناقضها أو يخذشها أو يخل بها، أشد من المحافظة على العين، فإن مما يناقضها ويخذش بها الذبح والنذر لغير الله، والدعاء لغير الله وتصديق الكهنة والمشعوذين والذهاب إليهم، والحلف بغير الله والاستسقاء بالنجوم، وتعليق التمام والتشاؤم بالأشياء، وغير ذلك من الشركيات، مما يناقض كلمة التوحيد أو يخل بها.

أفهام خاطئة في معنى (لا إله إلا الله):

تقدم أن معنى لا إله إلا الله، هو: (لا معبود بحق إلا الله، وغير الله إن عبد فقد عبد بباطل)، قال تعالى: { ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ } [الحج: ٦٢]

وبمعنى آخر هو: (نفي استحقاق العبودية عما سوى الله، وإثباتها لله سبحانه وتعالى، ونفي جميع المعبودات من دون الله، وإثبات إله واحد وهو الله جل وعلا).

(١) حسن: حسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب - (٢ / ١٠٣) (١٥٢٦). ورواه الترمذي والنسائي وابن حبان والحاكم والبيهقي.

(٢) صحيح: صححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب - (٢ / ١٣٠) (١٦٤٤) وهو عند أحمد والنسائي والحاكم.

أما ما أحدثه بعض المتأخرين من المعاني، فإنها معانٍ باطلة.

منها: قول بعضهم في معنى لا إله إلا الله: (لا معبود إلا الله) وهذا المعنى باطل، وذلك لأن معناه: أن كل ما في الوجود من المعبودات هو الله، وهذا هو قول الحلولية والاتحادية الملحدين، فلا بد من تقييد التعريف بكلمة "حق" ليخرج بها كل معبود باطل من دون الله.

ومنها: (لا موجود إلا الله) وهذا المعنى هو نظير المعنى السابق، وهو باطل كما تقدم.

ومنها: (لا خالق ولا رازق إلا الله) وهذا معنى باطل، وصاحبه جاهل بمعنى لا إله إلا الله، إذ إنه فسر لا إله إلا الله بتوحيد الربوبية الذي أقره مشركو قريش، فإنهم كانوا يعترفون بأن الله هو الخالق الرازق المدبر، ومع هذا لم ينفعهم ذلك، ولم يدخلهم في الإسلام، ولو كان معناها هذا ماقاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، واستباح دماءهم وأموالهم.

ومنها: (لا حاكمية إلا لله) وهذا المعنى باطل وهو أفسد من سابقه، وصاحبه أجهل من صاحبه، إذ إنه فسر كلمة التوحيد بجزء من توحيد الربوبية، لأن الحكم من أفعال الله، وأفعال الله من قسم توحيد الربوبية، ولم ينكر توحيد الربوبية إلا الدهريون والقبوريون، وفرعون، والنمرود، وقد جاء الخلاف بين الرسل وأقوامهم، في توحيد الألوهية.

اغتنام السنة بالتمسك بها

السنة في اللغة: هي الطريقة.

وفي الاصطلاح: هي طريقة النبي صلى الله عليه وسلم في أقواله وأفعاله وصفاته وتقريراته.

فيجب العمل بالسنة والمحافظة عليها، فإن هذا هو مقتضى (شهادة أن محمدا رسول الله)

وقد عرفها شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب النجدي - رحمه الله - بقوله: " وَمَعْنَى شَهَادَةِ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ: طَاعَتُهُ فِيمَا أَمَرَ، وَتَصَدِيقُهُ فِيمَا أَخْبَرَ، وَاجْتِنَابُ مَا نَهَى عَنْهُ وَزَجَرَ وَأَلَّا يُعْبَدَ اللَّهُ إِلَّا بِمَا شَرَعَ" اهـ^(١)

وعرفها بعض أهل العلم بأنها: لا متبوع بحق إلا رسول الله وغيره إن اتبع فيما لا دليل عليه فقد اتبع بباطل. اهـ

فإن الله قد أمرنا بطاعته ونهانا عن معصيته فقال سبحانه: { وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمُ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ } [الحشر: ٧]

و (ما): اسم موصول يعم كل شيء، بمعنى أنه يجب امتثال جميع أوامره حسب الاستطاعة، واجتناب جميع نواهيه.

وقد جعل سبحانه طاعته من طاعة الله ومعصيته من معصية الله، فقال تعالى: { مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا } [النساء: ٨٠] أي: كما قال في آية أخرى: { إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ }.

ولا فرق بين القرآن والسنة فالقرآن يحثنا على التمسك بالسنة والسنة تحثنا على التمسك بالقرآن، وكلّ وحي من عند الله، قال تعالى: { وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ } [النساء: ١١٣]

قال ابن كثير في تفسيره: الكتاب هو القرآن والحكمة هي السنة. اهـ

وقال تعالى: { وَالنَّجْمُ إِذَا هَوَىٰ * مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ * وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ * عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ * ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ * وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ * ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى * فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ * فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ } [النجم: ١ - ١٠]

فيجب على كل من شهد أن محمدا رسول الله، أن يعمل بسنته، وأن يجتنب مخالفته والابتداع والإحداث في منهجه، لما روى الترمذي عن العرباض بن سارية - رضي الله عنه - قال: وَعَظَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا بَعْدَ صَلَاةِ الْعَدَاةِ مَوْعِظَةً بَلِيغَةً ذُرِفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ وَوَحِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ، فَقَالَ رَجُلٌ: إِنَّ هَذِهِ مَوْعِظَةٌ مُودَّعٌ فَمَآذَا تَعْهَدُ إِلَيْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: "أَوْصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، وَإِنْ عَبْدٌ حَبِشِيٌّ، فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ يَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا، وَإِيَّاكُمْ وَمُحَدَّثَاتِ الْأُمُورِ فَإِنَّهَا ضَلَالَةٌ فَمَنْ أَدْرَكَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَعَلَيْهِ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمُهَدِّبِينَ، عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ وَإِيَّاكُمْ وَمُحَدَّثَاتِ الْأُمُورِ فَإِنَّ كُلَّ مُحَدَّثَةٍ بَدْعَةٌ وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ" اهـ^(٢). وفي رواية: "وكل ضلالة في النار"^(٣)

والتمسك بالسنة نجاة في الدنيا والآخرة، قال الإمام الزهري - رحمه الله -: "التمسك بالسنة نجاة" اهـ ولا يقبل الله عملا يخالف السنة، فإن شروط قبول الأعمال، أن يكون العمل خالصا لله، وموافقا لهدي رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإذا خالف السنة فهو بدعة، وكل بدعة ضلالة، ومردودة على صاحبها، ومؤداها إلى النار والعياذ بالله.

(١) الأصول الثلاثة - (١ / ٨)

(٢) صحيح: صححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب - (١ / ١٠) (٣٧). والحديث رواه أبو داود وابن ماجه وابن حبان

(٣) صحيح: صححه الألباني في صحيح وضعيف سنن أبي داود - (١٠ / ١٠٧) (٤٦٠٧)

فقد روى الإمام البخاري ومسلم عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ، فَهُوَ رَدٌّ» وفي رواية لمسلم: «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ»

أي: مردود على صاحبه لأنه محدث صدر عن هوى من صاحبه، والغالب على هذا الصنف أنه لا يوفق للتوبة إلا أن يشاء الله، فقد روى الطبراني عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن الله حجب التوبة عن كل صاحب بدعة حتى يدع بدعته"^(١)

وقد حذر الله ورسوله من هذا الصنف؛ لأنه أضر على الدين من صاحب المعصية. قال سفيان الثوري - رحمه الله - : "البدعة أحب إلى إبليس من المعصية؛ لأن البدعة لا يُتاب منها، والمعصية يُتاب منها"^(٢) اهـ.

بمعنى أن العاصي مقر بخطئه ويؤمل التوبة، بينما المبتدع لا يؤمل التوبة؛ لأنه يرى نفسه مصيباً، والعاصي لا يدعو إلى البدعة بل يتستر بها، بينما المبتدع يدعو إلى بدعته على المنابر، ويشهرها بين الناس، بل ويتقرب بها إلى الله، فكانت البدعة أضر من المعصية وأشد، والمعصية أخف من البدعة وأهون.

ولهذا قال ابن القيم - رحمه الله - : "وفساق أهل السنة أولياء الله، وعباد أهل البدعة أعداء الله، وقبور فساق أهل السنة روضة من رياض الجنة، وقبور عباد أهل البدع حفرة من حفر النار، والتمسك بالسنة يكفر الكبائر، كما أن مخالفة السنة تحبط الحسنات، وأهل السنة إن قعدت بهم أعمالهم قامت بهم عقائدهم، وأهل البدع إذا قامت بهم أعمالهم قعدت بهم عقائدهم."^(٣) اهـ.

بمعنى أن عقائد أهل السنة سليمة، ستفهم بين يدي الله سبحانه وتعالى، وإن كانت أعمالهم قليلة لكنها على توحيد وسنة ومنهج سليم، بينما أهل البدع لا يفهم كثير من أعمالهم؛ لأنها محدثة وربما خلطوها بشرك أو خرافات أو عقائد فاسدة فتحبطها وربما غذبوا بسببها.

فأهل السنة العاملون بها هم الفرقة المنصورة في الدنيا، الناجية يوم القيامة. قال ابن القيم: "وقال مالك بن مغول: الكبائر ذنوب أهل البدع والسيئات ذنوب أهل السنة، قلت: يريد أن البدعة من الكبائر وأنها أكبر من كبائر أهل السنة، فكبائر أهل السنة صغائر بالنسبة إلى البدع، وهذا معنى قول بعض السلف: البدعة أحب إلى إبليس من المعصية لأن البدعة لا يتاب منها والمعصية يتاب منها"^(٤) اهـ.

وقد عرف أهل العلم البدعة بأنها: ما أحدث بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم بنية التعبد لله بغير دليل، وهذا لا يقبله الله إذ لم يأذن به، قال تعالى: {أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنَ بِهِ اللَّهُ} [الشورى: ٢١]

فمن عبد الله بغير سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقد شرع في دين الله مالم يأذن به الله، ومن أخذ دينه من غير رسول الله، صلى الله عليه وسلم، فقد اتخذ شريكاً مع الله والعياذ بالله، فكل الطرق إلى الله تعالى مسدودة، إلا طريق واحد، وهو طريق رسوله صلى الله عليه وسلم. قال ابن مسعود - رضي الله عنه - : "الاقتصاد في السنة خير من الاجتهاد في البدعة"^(٥)

(١) صحيح: صححه الألباني في صحيح وضعيف سنن أبي داود - (١٠ / ١٠٧) (٤٦٠٧)

(٢) انظر تلبيس إبليس - (١٥ / ١)

(٣) إعلام الموقعين - (٣ / ٣٢٩)

(٤) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين - (١ / ٣٢٢)

(٥) انظر اعتقاد أهل السنة - اللالكائي - (١ / ٥٥)

فينبغي الالتزام بالسنة قولاً وعملاً واعتقاداً، وصفة، فأما الأقوال فيلتزم العبد بما كان يقوله الرسول صلى الله عليه وسلم، كالأذكار المشروعة والأدعية المأثورة، وسائر العبادات القولية، فلا يخلق أقوالاً مصادمة للسنة، أو يخصص أذكارا لم تأت في السنة، وأما الأعمال فيلتزم العبد ما كان يعمل به الرسول صلى الله عليه وسلم من الأعمال والعبادات العملية بلا زيادة ولا نقصان، وأما الاعتقادات فيعتقد العبد ما كان يعتقد النبي صلى الله عليه وسلم، وصحابته الكرام - رضوان الله عليهم - من العقائد السليمة والمناهج الصحيحة، وأما الصفة، فيتصف بما اتصف به الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم من الصفات الطيبة والأخلاق الكريمة، والأعمال الحسنة، والمظاهر الشرعية، ويلبس ما لبسه النبي صلى الله عليه وسلم من الصفات الطيبة كالقميص والإزار والعمامة وإطلاق اللحية ونحو ذلك، ولا يتشبه بالكفرة والمبتدعة، فهذه هي السنة باختصار التي يترب على التمسك بها الأجور الكثيرة، والدرجات العالية بإذن الله رب العالمين.

حكم الاستهزاء بالسنة :

المستهزئ بالسنة كافر، لأنه استهزأ بشيء من الدين، والسنة وحي من السماء، وصاحبها هو محمد صلى الله عليه وسلم، فمن استهزأ بالسنة، فقد استهزأ بالنبي صلى الله عليه وسلم، والمستهزئ به عليه الصلاة والسلام أو بشيء من أقواله أو أفعاله أو صفاته كفر أكبر مخرج من الملة، فمن استهزأ باللحية مثلاً أو العمامة، أو الثوب القصير، أو غير ذلك لأجل أنها من السنة فهو كافر الكفر الأكبر المخرج من الملة. قال تعالى: { قُلْ أَبِإِلَهِهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ * لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ } [الآيتان] [التوبة : ٦٥ ، ٦٦]

وسبب نزول هذه الآية كما ذكره ابن كثير في تفسيره عند هذه الآية عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رجل في غزوة تبوك في مجلس: ما رأيت مثل فرائنا هؤلاء، أرغب بطونا، ولا أكذب ألسناً، ولا أجبن عند اللقاء. فقال رجل في المسجد: كذبت، ولكنك منافق. لأخبرن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ونزل القرآن. قال عبد الله بن عمر: وأنا رأيت متعلقاً بحَقَبِ ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم تَنكُبُ الحجارة وهو يقول: يا رسول الله، إنما كنا نخوض ونلعب. ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: { أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم } .

اغتنام الصلاة:

الصلاة هي الصلة بين العبد وربّه، وهي عمود الإسلام، وأحد أركانه العظام، وهي أول ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة، وهي سبيل قويم لمرضاة رب العالمين، وطريق عظيم لدخول جنات النعيم، وهي خمس صلوات في اليوم والليلة، أجراها بأجر خمسين صلاة، فرضت في سدرة المنتهى ليلة الإسراء والمعراج، وهي من أسباب حلول البركات في الأرزاق، ومن أسباب الحفظ للعبد، ومن أعظم أسباب الراحة وتفريج الكربات في الدنيا والآخرة، ومن أسباب النجاة من عذاب القبر ومن عذاب النار.

ومن خصائصها وأهميتها أنها فرضت في كل يوم خمس مرات، على الصغير والكبير، والغني والفقير، والصحيح والسقيم، لا تسقط بحال من الأحوال، إلا ما استتني بدليل، بينما الزكاة فرضت عند بلوغ النصاب وحلول الحول، على الأغنياء دون الفقراء، وفرض الصيام في السنة شهرا واحدا فقط، ورُخص للمريض والمسافر أن يفطران ويقضيان، بينما الصلاة لم تسقط بحال من الأحوال، ولا تقضى إن فات وقتها إلا من نسيها أو نام عنها، فالعاجز والمريض يصلّيها قياما أو قعودا أو على جنب، على حسب قدرة العبد، وفرض الحج في العمر مرة واحدة فقط مقيدا بالاستطاعة، بينما الصلاة في مقدور كل الناس أن يؤديها.

وفضائلها لا تدخل تحت الحصر، فينبغي اغتنامها بالمحافظة عليها ليظفر العبد بأجورها، فهي خير الأعمال، وتضمنت أحسن الأذكار، فالذي يتمعن في أذكار وأعمال الصلاة يرى أنها جمعت الخير كله، ففيها قراءة القرآن، وفيها التسبيح والتحميد وتهليل والتكبير والاستغفار والدعاء والاستعاذة والاستعاذة والاستغاثة، وفيها الركوع والسجود والقيام والاطمئنان والخشوع والخوف والرجاء، وفيها الامتناع عن الكلام والطعام والسلام والانقطاع عن الأنام، وفيها الاتصال بذي الجلال والإكرام، ولهذا جعل قرّة عين النبي صلى الله عليه وسلم فيها، فأعظم بها من عبادة، وأكرم بأهلها المحافظين عليها.

ففي الصحيحين عن أنس - رضي الله عنه - في حديث المعراج الطويل أن الله سبحانه وتعالى قال للنبي صلى الله عليه وسلم: "هِيَ خَمْسٌ وَهِيَ خَمْسُونَ لَا يُبَدِّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ"

أي: خمس في العمل وخمسون في الميزان، بمعنى أن أجر الخمس الصلوات بأجر خمسين صلاة. وهي أفضل الأعمال لما روى الإمام ابن ماجه عَنْ ثَوْبَانَ - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: "اسْتَقِيمُوا وَلَنْ تُحْصُوا، وَاعْلَمُوا أَنَّ خَيْرَ أَعْمَالِكُمُ الصَّلَاةُ، وَلَا يُحَافِظُ عَلَى الْوُضُوءِ إِلَّا مُؤْمِنٌ"^(١)

ومعنى "اسْتَقِيمُوا وَلَنْ تُحْصُوا" أي: استقيموا على دين الله وحافظوا على الأعمال الصالحة ومنها الصلاة فهي خير هذه الأعمال فلن تحصوا ثواب الاستقامة وثواب الصلاة التي لا يعلم قدرها إلا الله سبحانه وتعالى.

قال المناوي: "والصلاة جامعة لكل عبادة من قراءة وتسبيح وتكبير وتهليل وإمساك عن كلام البشر والمفطرات وهي معراج المؤمن ومقربته إلى جناب ربه. اهـ"^(٢)

(١) صحيح: صححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب - (١ / ٤٧) (١٩٧). والحديث رواه أحمد والبخاري والطبراني وابن حبان ومالك والدارمي

(٢) فيض القدير (١ / ٦٣٥)

- **ومن فضائل الصلاة**، أنها راحة للقلوب، وسكينة للجوارح، وفرج للهموم، ومخرج للضيق، وعون للعبد، إذا كانت بشروطها وأركانها، مع حضور القلب وخشوع الجوارح فيها، فهذا أمرنا الله سبحانه وتعالى بالاستعانة بها فقال: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ} [البقرة: ١٥٣] وقال سبحانه: {وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ} [البقرة: ٤٥]

قال العلامة السعدي في تفسيره: "وأمر تعالى بالاستعانة بالصلاة؛ لأن الصلاة هي عماد الدين، ونور المؤمنين، وهي الصلة بين العبد وبين ربه، فإذا كانت صلاة العبد صلاة كاملة، مجتمعاً فيها ما يلزم فيها، وما يسن، وحصل فيها حضور القلب، الذي هو لبها فصار العبد إذا دخل فيها، استشعر دخوله على ربه، ووقفه بين يديه، موقف العبد الخادم المتأدب، مستحضراً لكل ما يقوله وما يفعله، مستغرقاً بمناجاة ربه ودعائه لا جرم أن هذه الصلاة، من أكبر المعونة على جميع الأمور، فإن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، ولأن هذا الحضور الذي يكون في الصلاة، يوجب للعبد في قلبه وصفا وداعياً يدعو إلى امتثال أوامر ربه، واجتناب نواهيه، هذه هي الصلاة التي أمر الله أن نستعين بها على كل شيء". اهـ

ولهذا كان نبينا صلى الله عليه وسلم إذا اغتم بشيء، أو أشكل عليه شيء أو أحزنه، فزع إلى الصلاة وقال: "أرحنا بها يا بلال". فالصلاة راحة للأبدان وطمأنينة للقلوب، فقد روى الإمام أحمد عن حذيفة - رضي الله عنه - قال: كان النبي - صلى الله عليه وسلم - إذا حَزَبَهُ أَمْرٌ صَلَّى^(١). أي: إذا أهمله أو أغمه شيء، أو نزل به أمر شديد، يفزع إلى الصلاة. وكان عليه الصلاة والسلام لا تقر عينه إلا بالصلاة، لما جاء عند الإمام النسائي عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «حُبَّبَ إِلَيَّ مِنَ الدُّنْيَا النِّسَاءُ وَالطَّيِّبُ، وَجُعِلَ قَرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ»^(٢)

قال المناوي "..لأنها علم الإيمان، وعماد الدين، وطهرة القلوب من أدناس الذنوب، واستفتاح باب الغيوب، محل المناجاة، معدن المصافاة، تتسع فيها ميادين الأسرار، وتشرق فيها مشارق الأنوار، وتجمع من القرب ما تفرق في غيرها كطهر وستر وقراءة وذكر، ويمتنع فيها ما يمتنع في غيرها وتزيد بأمور أخرى" اهـ^(٣)

- **ومن فضائل الصلاة أنها من أسباب الرزق**، قال تعالى: {وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى} [طه: ١٣٢] قال ابن كثير - رحمه الله - وقوله: { لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ } يعني إذا أقمت الصلاة أتاك الرزق من حيث لا تحتسب، كما قال تعالى: { وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ } [الطلاق: ٢، ٣]. وقال تعالى: { وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ * مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُوا * إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ } [الذاريات: ٥٦-٥٨] اهـ

- **ومن فضائل الصلاة أنها تزكي العبد وتطهره من ذنوبه** فقد روى البخاري ومسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رضي الله عنه - أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَقُولُ « أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ نَهْرًا بِبَابِ أَحَدِكُمْ يَغْتَسِلُ مِنْهُ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ هَلْ يَبْقَى مِنْ ذَنْبِهِ شَيْءٌ ». قَالُوا لَا يَبْقَى مِنْ ذَنْبِهِ شَيْءٌ. قَالَ « فَذَلِكَ مَثَلُ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ يَمْحُو اللَّهُ بِهِنَّ الْخَطَايَا ».

(١) حسن: رواه أبو داود وأحمد وحسنه الألباني انظر حديث رقم: (٤٧٠٣) في صحيح الجامع

(٢) صحيح: قال الألباني في صحيح وضعيف سنن النسائي - (١١ / ٩) (٣٩٣٩) حسن صحيح، وحسنه الوادعي في الصحيح المسند (٩٠/١) (١٠٠). والحديث

رواه أحمد وأحمد والبيهقي وأبو يعلى.

(٣) فيض القدير (١ / ١٦٧)

فإذا اغتسل العبد في اليوم خمس مرات، فإن جسده يكون طاهرًا ولا يبقى من الوسخ شيئًا، فكذلك الصلوات الخمس تكفر الذنوب في سائر اليوم، وذلك كل يوم، وانظر كيف مثل النبي صلى الله عليه وسلم الذنوب بالوسخ والصلوة بالماء بجامع التطهير، فالماء يطهر حسيًا، والصلوة تطهر معنويًا، وهذا من بلاغة النبي صلى الله عليه وسلم وفصاحته، وذلك بأنه شبه الصلاة بماء الإطفاء وشبه الذنوب بالنار، فإن الذنوب هي في الحقيقة نار القلوب، فإنها تحرقها حتى تسود، فإذا اسودت فسدت، وإذا فسدت فسد الجسد وفسد صاحبه، ومن ثم تفسد عليه حياته الدينية والدنيوية، فينتقل من الاحتراق المعنوي الذي هو نار الذنوب، إلى الاحتراق الحسي الذي هو نار الآخرة والعياذ بالله.

فالذنوب لها حرارة في القلوب، فتحتاج إلى تبريد وإطفاء، فالصلوة هي التي تبرد هذه الحرارة، وتطفئ نيران الذنوب ونيران جهنم بإذن الله جل وعلا، بل وتدافع الصلاة عن صاحبها في قبره، وقد حرم الله على النار أن تأكل مواضع السجود إن دخلها العبد بسبب ذنوبه، فلا يتهاون المسلم بالصلوة ولا يستهن بها فشانها عظيم وثوابها جزيل وأثرها كبير في حياته.

وأخرج الطبراني عن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «تَحْتَرِفُونَ، تَحْتَرِفُونَ، فَإِذَا صَلَّيْتُمُ الْفَجْرَ غَسَلْتُمَا، ثُمَّ تَحْتَرِفُونَ تَحْتَرِفُونَ، فَإِذَا صَلَّيْتُمُ الظُّهْرَ غَسَلْتُمَا، ثُمَّ تَحْتَرِفُونَ تَحْتَرِفُونَ، فَإِذَا صَلَّيْتُمُ الْعَصْرَ غَسَلْتُمَا، ثُمَّ تَحْتَرِفُونَ تَحْتَرِفُونَ، فَإِذَا صَلَّيْتُمُ الْمَغْرِبَ غَسَلْتُمَا، ثُمَّ تَحْتَرِفُونَ تَحْتَرِفُونَ، فَإِذَا صَلَّيْتُمُ الْعِشَاءَ غَسَلْتُمَا، ثُمَّ تَنَامُونَ فَلَا يَكُنْبُ عَلَيْكُمْ شَيْءٌ حَتَّى تَسْتَيْقِظُوا»^(١)

فالصلوات الخمس تكفر ذنوب اليوم كله، وصلوة الجمعة إلى الجمعة، تكفر ذنوب الأسبوع، وهذا من كرم الله ولطفه بخلقه، فقد جاء في الصحيحين عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول: «الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان، مكفرات ما بينهن إذا اجتنب الكبائر»

لكن هناك شرط، وهو اجتناب الكبائر، فقد ذهب كثير من أهل العلم إلى أن هذا التكفير لا يحصل مع وجود الكبائر، بمعنى أن الصلاة لا تكفر ذنوب الذي يرتكب الكبائر، وإنما تكفر الصغائر فقط إذا لم توجد كبائر، لكن فضل الله واسع ورحمته قريب من المحسنين، فإنها تكفر صغائر الذنوب للأدلة المستفيضة في ذلك، ولكن يجب الابتعاد عن الكبائر؛ لأنها خطيرة على العبد؛ ولأن الكبائر لا تكفرها الصلاة والصيام وسائر الأعمال، وإنما تحتاج إلى توبة.

قال النووي: "معناه أن الذنوب كلها تُغفر إلا الكبائر، فإنها لا تُغفر، وليس المراد أن الذنوب تُغفر ما لم تكن كبيرة، فإن كان لا يُغفر شيء من الصغائر، فإن هذا وإن كان مُحتملاً فسيقاق الأحاديث ياباه. قال القاضي عياض: هذا المذكور في الحديث من غفران الذنوب ما لم تُؤت كبيرة هو مذهب أهل السنة، وأن الكبائر إنما تُكفرها التوبة أو رحمة الله تعالى وفضله. والله أعلم اهـ"^(٢)

وقال - رحمه الله -: "فإن لم يكن له صغائر كتب له حسنات ورفع له درجات". اهـ

- ومن فضائل الصلاة أنها وقاية للعبد من عذاب القبر والنار.

فقد روى الطبراني عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الميت إذا وضع في قبره إنه ليسمع خفق نعالهم حين يولون عنه مدبرين، فإن كان مؤمناً كانت الصلاة عند رأسه، والزكاة عن يمينه، والصوم عن شماله، وفعل الخيرات والمعروف والإحسان إلى الناس من قبل رجله، فيؤتى من قبل رأسه، فنقول الصلاة: ليس قبلي مدخل، فيؤتى عن يمينه، فنقول الزكاة: ليس من قبلي مدخل»^(٣) الحديث

(١) صحيح: قال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب - (١ / ٨٦) (٣٥٧) حسن صحيح.

(٢) شرح مسلم (١ / ٣٧٧)

(٣) حسن: حسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب - (٣ / ٢١٩) (٣٥٦١) وهو عند ابن حبان وحسنه الألباني.

فإن الصلاة تنافح عن صاحبها في قبره ،فتقول: (ما قبلي مدخل)أي: لا يمكن أن يعذب من جهتي، فإنه كان محافظا على الصلاة ، فهذه النجاة في القبر، وأما يوم القيامة فإن المصلين يأتون غرًا محجلين من آثار الوضوء "سيماهم في وجوههم من أثر السجود" يفوزون بالنعيم وينجون من الجحيم، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لَنْ يَلْجَ النَّارَ أَحَدٌ صَلَّى قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ، وَقَبْلَ غُرُوبِهَا» رواه مسلم عن أبي زهير عُمَارَةَ بْنِ رُوَيْبَةَ رضي الله عنه.

وخص بالذكر صلاة الفجر والعصر لأنهما علامة على غيرهما من الصلوات ، فإن من حافظ على صلاتي الفجر والعصر فهو لما سواهما أحفظ ،ومن ضيعهما فهو لما سواهما أضيع، ولأن هاتين الصلاتين لهما فضل على غيرهما من الصلوات.

قال المناوي - رحمه الله - : "خص هاتين الصلاتين لأن وقت الصبح وقت لذة - يقصد لذة النوم - فالقيام أشق على النفس منه في غيره، والعصر وقت قوة الاشتغال بالتجارة، فما ينلهى عن ذلك إلا من كمل دينه، ولأن الوقتين مشهودان، تشهدهما ملائكة الليل والنهار، وترفع فيهما الأعمال فإذا حافظ عليهما مع ما فيهما من التثاقل والتشاغل، فحافظته على غيرهما أشد، وما عسى أن يقع منه تقريط، فبالحري أن يقع مكفرًا فلن يلج النار. اهـ^(١)

- ومن فضائل الصلاة أنها سبب لدخول صاحبها الجنة:

فقد روى البخاري ومسلم عن أبي موسى - رضي الله عنه - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ صَلَّى الْبَرْدَيْنِ دَخَلَ الْجَنَّةَ»

والبردان: هما صلاة الفجر والعصر ،وسميتا بذلك لأنه اجتمع فيهما بردُ الليل والنهار، فبرد الليل في صلاة الفجر وبرد النهار في صلاة العصر.

ويقال في فضل هاتين الصلاتين ما قيل في الحديث الذي قبله من تخصيص صلاة الفجر والعصر، وإلا فالفضل عام في جميع الصلوات، وهناك أدلة عامة في أن من حافظ على الصلوات عموماً أورثه الله جنات الفردوس التي هي أفضل مكان وأعلى مكان في الجنة، كما قال تعالى: {قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ * إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ * فَمَنْ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ * أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ * الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} [المؤمنون: ١-١١]

ولأهمية الصلاة ذكرها الله في هذه الآيات مرتين، فامتدح المؤمنين الذين يخشعون في صلاتهم ويحافظون عليها، فابتدأها بالخشوع في الصلاة واختتمها بالمحافظة عليها، فشهد لهم بالفلاح ،ورتب على ذلك جنات الفردوس.

قال العلامة السعدي في تفسيره: "أي: قد فازوا وسعدوا ونجحوا، وأدركوا كل ما يرام المؤمنون الذين آمنوا بالله وصدقوا المرسلين، الذين من صفاتهم الكاملة أنهم {فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ} والخشوع في الصلاة: هو حضور القلب بين يدي الله تعالى، مستحضرا لقربه، فيسكن لذلك قلبه، وتطمئن نفسه، وتسكن حركاته، ويقل التفاته، متأدبا بين يدي ربه، مستحضرا جميع ما يقوله ويفعله في صلاته، من أول صلاته إلى آخرها، فتنتفي بذلك الوسوس والأفكار الرديئة، وهذا روح الصلاة، والمقصود منها، وهو الذي يكتب للعبد، فالصلاة التي لا خشوع فيها ولا حضور قلب، وإن كانت مجزئة مثابا عليها، فإن الثواب على حسب ما يعقل القلب منها..

(١) فيض القدير (٥ / ٣٨٦).

{وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ} أي: يداومون عليها في أوقاتها وحدودها وأشراتها وأركانها، فمدحهم بالخشوع بالصلاة، وبالمحافظة عليها، لأنه لا يتم أمرهم إلا بالأمرين، فمن يداوم على الصلاة من غير خشوع، أو على الخشوع من دون محافظة عليها، فإنه مذموم ناقص. اهـ

فلشرف الصلاة وفضلها ورث الله سبحانه أصحابها أعلى الجنان وأحسنها، وهي الفردوس الأعلى لما روى الترمذي عن مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ، رضي الله عنه ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " ذَرِ النَّاسَ يَعْمَلُونَ فَإِنَّ فِي الْجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ مَا بَيْنَ كُلِّ دَرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، وَالْفِرْدَوْسُ أَعْلَى الْجَنَّةِ وَأَوْسَطُهَا، وَفَوْقَ ذَلِكَ عَرْشُ الرَّحْمَنِ، وَمِنْهَا تُفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ، فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ فَاسْأَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ " (١)

فمن حافظ على الصلوات الخمس دون نقصان، بشروطها، وأركانها، وواجباتها، وجبت له الجنة وحرمه الله على النار، فقد روى الإمام أحمد عن حنظلة الكاتب - رضي الله عنه - قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "من حافظ على الصلوات الخمس ركوعهن وسجودهن ومواقيتهن وعلم أنهن حق من عند الله دخل الجنة أو قال وجبت له الجنة أو قال حرم على النار" (٢)

والصلاة هي آخر وصية لنبينا صلى الله عليه وسلم، على فراش الموت ، قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: كان آخر كلام رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "الصلاة الصلاة، اتقوا الله فيما ملكت أيمانكم" (٣)

(١) صحيح: انظر السلسلة الصحيحة (٤ / ٥٤٣) (١٩١٣) وهو عند الإمام أحمد .

(٢) حسن: حسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب - (١ / ٩١) (٣٨١)

(٣) صحيح: صححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب - (٢ / ٢٧٩) (٢٢٨٥) ، وانظر السلسلة الصحيحة (٢ / ٥٥١) (٨٦٨) وهو عند أبي داود وابن ماجه والبيهقي.

اغتنام السنن الرواتب

السنن الرواتب القبلية والبعدية للصلوات لها فضل عظيم وأجر كثيرة، وهي مكملّة للفريضة إن حصل فيها نقص، وهي من أسباب دخول الجنة، والنجاة من النار، ونيل الرحمة. فقد روى مسلم عن أم حبيبة - رضي الله عنها - زوج النبي - صلى الله عليه وسلم - أنها قالت سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول « ما من عبد مسلم يصلي لله كل يوم ثنتي عشرة ركعة تطوعاً غير فريضة إلا بنى الله له بيتاً في الجنة أو إلا بنى له بيت في الجنة ». قالت أم حبيبة: فما برحت أصليهن بعد. وقال عمرو: ما برحت أصليهن بعد. وقال النعمان مثل ذلك. وهذه الرواتب هي أربع قبل الظهر، وركعتان بعدها، وركعتان بعد المغرب، وركعتان بعد العشاء، وركعتان قبل الفجر.

وقد بينها النبي صلى الله عليه وسلم بقوله: "من ثابر على اثنتي عشرة ركعة في اليوم والليلة دخل الجنة، أربعاً قبل الظهر، وركعتين بعدها، وركعتين بعد المغرب، وركعتين بعد العشاء، وركعتين قبل الفجر" (١)

وروى مسلم عن عبد الله بن شقيق قال سألت عائشة - رضي الله عنها - عن صلاة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن تطوعه فقالت: كان يصلي في بيتي قبل الظهر أربعاً ثم يخرج فيصلي بالناس ثم يدخل فيصلي ركعتين وكان يصلي بالناس المغرب ثم يدخل فيصلي ركعتين ويصلي بالناس العشاء ويدخل بيتي فيصلي ركعتين، وكان يصلي من الليل تسع ركعات فيهن الوتر وكان يصلي ليلاً طويلاً قائماً وليلاً طويلاً قاعداً وكان إذا قرأ وهو قائم ركع وسجد وهو قائم وإذا قرأ قاعداً ركع وسجد وهو قاعد وكان إذا طلع الفجر صلى ركعتين.

وقلنا: إن الله يكمل بالرواتب ما يحصل من نقص في الفرائض، لما روى أبو داود عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال « إن أول ما يحاسب الناس به يوم القيامة من أعمالهم الصلاة قال يقول ربنا جل وعز لملايكته وهو أعلم انظروا في صلاة عبدي أتمها أم نقصها فإن كانت تامة كتبت له تامة وإن كان انتقص منها شيئاً قال انظروا هل لعبدي من تطوع فإن كان له تطوع قال أتموا لعبدي فريضته من تطوعه ثم تؤخذ الأعمال على ذاكم » (٢)

فضل راتبة الفجر واغتنامها:

ركعتا الفجر خير من الدنيا وما فيها من ممتلكات ومصانع ومركبات وقصور وعقارات، ولهذا كان يحافظ عليها نبينا صلى الله عليه وسلم في سفره وحضره، وشرع قضاءها بعد صلاة الفجر أو بعد الشروق لمن فاتته.

فقد روى الإمام مسلم عن عائشة - رضي الله عنها - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال « ركعتا الفجر خير من الدنيا وما فيها ».

وروى الترمذي عن ابن عمر - رضي الله عنهما - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " لا صلاة بعد الفجر إلا سجدة " (٣) يعني راتبة الفجر.

(١) صحيح: رواه الترمذي والنسائي والبيهقي عن عائشة - رضي الله عنها - وصححه الشيخ الألباني في صحيح الترغيب والترهيب - (١ / ٤٠) (٥٨٠) .

(٢) صحيح: صححه الألباني في صحيح أبي داود - (٤ / ١٦) (٨١٠) وهو عند أحمد والترمذي والنسائي والبيهقي والحاكم

(٣) صحيح: صححه الألباني في صحيح وضعيف سنن الترمذي - (١ / ٤١٩) (٤١٩) وانظر صحيح أبي داود - (٥ / ٢٣) (١١٥٩)

وروى الترمذي عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "من لم يصل ركعتي الفجر فليصلها بعد ما تطلع الشمس" (١)

فضل رواتب صلاة العصر والظهر:

روي أبو داود عن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : «رَجِمَ اللَّهُ امْرَأً صَلَّى قَبْلَ الْعَصْرِ أَرْبَعًا» (٢).
وروى الترمذي عن أم حبيبة، رضي الله عنها - عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "مَنْ صَلَّى قَبْلَ الظُّهْرِ أَرْبَعًا ، وَبَعْدَهَا أَرْبَعًا ، حَرَّمَ اللَّهُ عَلَى النَّارِ" (٣).

فينبغي على المسلم أن يحافظ على هذه الرواتب، فإننا نرى تساهلا بها وتكاسلا عنها عند كثير من المصلين، فإذا ما نصح أحدهم يرد قائلا: ليست واجبة، أو يقول: إذا حافظنا على الفرض فقد أتينا بخير كثير! وكأنه ضامن لنفسه أنه محافظ على الفرائض، وأنها تامة، ولم يعلم أن الرواتب تكمل الفرائض إن حصل فيها نقص، والنقص حاصل إلا من رحم الله، والغالب على الذي يتهاون بالرواتب، يصل به الأمر إلى التهاون بالجماعة ثم بالفرائض، والذي يحافظ على الرواتب يوفق للمحافظة على الفرائض، فصارت الرواتب كالحماية للفرائض.

اغتنام النداء

الأذان من أعظم العبادات، فإن للمؤذن أجورا عظيمة، ويشهد له كل من سمعه من إنسان وحيوان وجماد، ويكون المؤذنون أطول الناس أعناقا يوم القيامة، والنداء من أعظم الشعائر، لأن الأذان دعوة للناس إلى الصلاة، ولو يعلم الناس ما للمؤذن من الأجور لاستبقوا إليه ثم اقترعوا قرعة أيهم يؤذن.

فقد روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: «لَوْ يَعْلَمُ النَّاسُ مَا فِي النِّدَاءِ وَالصَّفِّ الْأَوَّلِ ثُمَّ لَمْ يَجِدُوا إِلَّا أَنْ يَسْتَهْمُوا عَلَيْهِ لَأَسْتَهْمُوا وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِي التَّهْجِيرِ لَأَسْتَبَقُوا إِلَيْهِ وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِي الْعَتَمَةِ وَالصُّبْحِ لَأَتَوْهُمَا وَلَوْ حَبْوًا».
ومعنى يستهمون: أي يقترعون عليه قرعة، والتهجير: أي: التبكير إلى الصلاة، والعتمة: أي صلاة العشاء.

قال العلامة العثيمين - رحمه الله -: "يعني لو تنازع اثنان في الأذان وليس بينهما مؤذن راتب ومتساويان في الصفات المطلوبة في الأذان فحينئذ نقرع بينهما فمن خرجت له القرعة هو الذي يؤذن ومع الأسف أنك ترى بعض الناس الآن جماعة مسافرين أو ما أشبه ذلك كل واحد يقول للثاني أذن أنت وهو لا يعلم ما في الأذان من خير فهو الأذان لا يسمعه شجر ولا مدر ولا حجر إلا شهد لك يوم القيامة فينبغي أن تبادر للأذان نسأل الله لنا ولكم الخير وأن يجعلنا من المتسابقين للخيرات إنه على كل شيء قدير" اهـ (٤)

وروى الإمام مسلم عن معاوية بن أبي سفيان - رضي الله عنهما - قال سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: «الْمُؤَذِّنُونَ أَطْوَلُ النَّاسِ أَعْنَاقًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

(١) صحيح: صححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٥ / ٤٧٨) (٢٣٦١) وهو عند أحمد والحاكم وابن خزيمة وابن حبان والبيهقي

(٢) حسن: رواه أبو داود وأحمد والترمذي وابن خزيمة وابن حبان، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب - (١ / ١٤٣) (٥٨٨) والوادعي في الصحيح المسند (١ / ٥٧٦-٥٧٧) (٤١٧).

(٣) صحيح: رواه أبو داود والترمذي والنسائي وأحمد والبيهقي وابن ماجه وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب - (١ / ١٤٢) (٥٨٤) .

(٤) شرح رياض الصالحين - (١ / ١٢٤٨)

وروى الإمام البخاري في صحيحه عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي صَعَصَعَةَ الْأَنْصَارِيِّ ثُمَّ الْمَازِنِيِّ ، أَنَّ أَبَا سَعِيدٍ الْخُدْرِيَّ قَالَ لَهُ: إِنِّي أَرَاكَ نُحِبُّ الْعَنَمَ وَالْبَادِيَةَ فَإِذَا كُنْتَ فِي عَنَمِكَ ، أَوْ بَادِيَتِكَ فَأَذْنَتْ بِالصَّلَاةِ فَارْفَعْ صَوْتَكَ بِالنِّدَاءِ ، فَإِنَّهُ لَا يَسْمَعُ مَدَى صَوْتِ الْمُؤَذِّنِ جُنَّ ، وَلَا إِنْسٍ ، وَلَا شَيْءٍ إِلَّا شَهِدَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ قَالَ أَبُو سَعِيدٍ سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ومن فضائل الأذان أن النبي صلى الله عليه وسلم استغفر للمؤذنين ففي سنن الترمذي عن أَبِي هُرَيْرَةَ - رضي الله عنه - قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - « الْإِمَامُ ضَامِنٌ وَالْمُؤَذِّنُ مُؤْتَمَنٌ اللَّهُمَّ ارْشِدِ الْأَيْمَةَ وَأَغْفِرِ لِلْمُؤَذِّنِينَ »^(١).

فضل ترديد الأذان بعد المؤذن وفضل الذكر بعده:

لما كان الأذان محصوراً على رجل واحد، فيحوز بأجره منفرداً ، وليس بالإمكان مشاركة الآخرين في الأذان في نفس الأمر، شرع الله لهم سنة ترديد الأذان وأذكار يشاركون المؤذن فيها فيظفرون بأجور عظيمة يترتب عليها الحصول على الشفاعة ودخول الجنة .

فقد روى البخاري ومسلم عن أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيَّ - رضي الله عنه - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ « إِذَا سَمِعْتُمُ النِّدَاءَ فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ الْمُؤَذِّنُ ».

وروى الإمام مسلم عن عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ - رضي الله عنه - قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : « إِذَا قَالَ الْمُؤَذِّنُ اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ فَقَالَ أَحَدُكُمْ اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ ثُمَّ قَالَ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ قَالَ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ثُمَّ قَالَ أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ قَالَ أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ثُمَّ قَالَ حَيَّ عَلَى الصَّلَاةِ قَالَ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ ثُمَّ قَالَ حَيَّ عَلَى الْفَلَاحِ قَالَ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ ثُمَّ قَالَ اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ فَقَالَ اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ ثُمَّ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مِنْ قَلْبِهِ دَخَلَ الْجَنَّةَ ».

وروى الإمام مسلم أيضاً عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ - رضي الله عنهما - أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَقُولُ « إِذَا سَمِعْتُمُ الْمُؤَذِّنَ فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ ثُمَّ صَلُّوا عَلَى فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّى عَلَى صَلَاةٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا ثُمَّ سَلُوا اللَّهَ لِي الْوَسِيلَةَ فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِي الْجَنَّةِ لَا تَنْبَغِي إِلَّا لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ فَمَنْ سَأَلَ لِي الْوَسِيلَةَ حَلَّتْ لَهُ الشَّفَاعَةُ ».

وروى الإمام البخاري عن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ - رضي الله عنهما - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : "مَنْ قَالَ حِينَ يَسْمَعُ النِّدَاءَ اللَّهُمَّ رَبِّ هَذِهِ الدَّعْوَةُ النَّامَةُ وَالصَّلَاةُ الْقَائِمَةُ آتِ مُحَمَّدًا الْوَسِيلَةَ وَالْفَضِيلَةَ وَابْعَثْهُ مَقَامًا مَحْمُودًا الَّذِي وَعَدْتُهُ حَلَّتْ لَهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ".

فينبغي اغتنام هذه الشعيرة العظيمة والإخلاص فيها، وابتغاء الأجر من الله، وربما وجد من يسابق على الأذان من أجل راتب شهري، أو غرض دنيوي، وقد روى أبو داود عن عُثْمَانَ بْنِ أَبِي الْعَاصِ - رضي الله

(١) صحيح: رواه أبو داود والترمذي وأحمد وابن حبان وابن خزيمة والبيهقي والبخاري وأبو يعلى والطبراني، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب -

(١ / ٥٨) (٢٣٧) وحسنه الوادعي في الصحيح المسند (٤٢١/١) (٤٢٨).

عنه - قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ اجْعَلْنِي إِمَامَ قَوْمِي. قَالَ « أَنْتَ إِمَامُهُمْ وَاقْتَدِ بِأَصْعَفِهِمْ وَاتَّخِذْ مُؤَدَّنَا لَا يَأْخُذُ عَلَى أَذَانِهِ أَجْرًا »^(١).

فضل الصفوف الأول في الصلاة:

إن للصفوف الأولى فضلاً عظيماً، ولويلعلم الناس مافي الصف الأول من الأجور لتسابقوا إليه، ولاقترعوا عليه قرعة عند الازدحام، فإن خير الصفوف، لهو الصف الأول، ثم الذي يليه، و الملائكة تصلي على أهل الصف الأول.

فقد روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- قَالَ « لَوْ يَعْلَمُ النَّاسُ مَا فِي النِّدَاءِ وَالصَّفِّ الْأَوَّلِ ثُمَّ لَمْ يَجِدُوا إِلَّا أَنْ يَسْتَهْمُوا عَلَيْهِ لَاسْتَهَمُوا وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِي التَّهَجِيرِ لَاسْتَبَقُوا إِلَيْهِ وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِي الْعَتَمَةِ وَالصُّبْحِ لَأَتَوْهُمَا وَلَوْ حَبَوًّا ». وروى مسلم عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- « خَيْرُ صُفُوفِ الرَّجَالِ أُولُهَا وَشَرُّهَا آخِرُهَا وَخَيْرُ صُفُوفِ النِّسَاءِ آخِرُهَا وَشَرُّهَا أُولُهَا ».

وروى أحمد عن النعمان بن بشير - رضي الله عنه - قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " إن الله وملائكته يصلون على الصف الأول أو الصفوف الأول "^(٢)

(١) صحيح:رواه الترمذي والنسائي وأحمد والحاكم، وصححه الألباني في صحيح أبي داود - (٣ / ٢٨)(٥٤١) والوادعي (٧/٢)(٩٠٦).

(٢) حسن: وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب - (١ / ١١٨)(٤٩٢) وهو عند ابن ماجه وأبي داود والبيهقي والحاكم والبخاري.

اغتنام قيام الليل.

قيام الليل من صفات الصالحين، وهودأب الأنبياء والمرسلين، وقربة إلى رب العالمين، ونور على وجوه المؤمنين، ومفزع الخائفين، وسر المخلصين. قال سبحانه وتعالى: {أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ} [الزمر: ٩]. وقال سبحانه في سياق المدح لعباد الرحمن: {وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا} [الفرقان: ٦٤].

ووصفهم بأنهم ساجدون راكعون وبحمده مسبحون، وأنهم يتركون أماكن النوم والراحة متجهدين. قال تعالى: {إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ * تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ} [السجدة: ١٥-١٦]. ثم بين ما أعد لهم في الجنة، وما أخفى لهم مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فقال سبحانه: {فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} [السجدة: ١٧].

قال السعدي رحمه الله في تفسيره: "قوله تعالى: {تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ} أي: ترتفع جنوبهم، وتنزع عن مضاجعها اللذيذة، إلى ما هو ألد عندهم منه وأحب إليهم، وهو الصلاة في الليل، ومناجاة الله تعالى... فكما صلوا في الليل، ودعوا، وأخفوا العمل، جازاهم من جنس عملهم، فأخفى أجركم، ولهذا قال: {جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} اهـ.

- ومن فضائل قيام الليل أن الله يكفر به السيئات، ويرفع به الدرجات، ويبقي به العبد من الآثام والمهلكات، وهو قربة يتقرب به العبد إلى رب البريات. فقد روى الترمذي وغيره عن أبي أمامة رضي الله عنه، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: "عَلَيْكُمْ بِقِيَامِ اللَّيْلِ فَإِنَّهُ دَأْبُ الصَّالِحِينَ قَبْلَكُمْ، وَهُوَ قُرْبَةٌ إِلَى رَبِّكُمْ، وَمَكْفَرَةٌ لِلْسَيِّئَاتِ، وَمَنْهَاطٌ عَنِ الْإِثْمِ"^(١).

وقيام الليل عز المؤمنين وشرف الصالحين.

فقد روى الطبراني عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: جَاءَ جَبْرِيلُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: «يَا مُحَمَّدُ، عَشْ مَا شِئْتَ فَإِنَّكَ مَيِّتٌ، وَاعْمَلْ مَا شِئْتَ فَإِنَّكَ مَجْزِيٌّ بِهِ، وَأَحِبِّبْ مَنْ شِئْتَ فَإِنَّكَ مُفَارِقُهُ، وَاعْلَمْ أَنَّ شَرَفَ الْمُؤْمِنِ قِيَامُ اللَّيْلِ، وَعِزُّهُ اسْتِغْنَاؤُهُ عَنِ النَّاسِ»^(٢).

ومن فضائل قيام الليل أنه من أسباب دخول الجنة.

فقد روى الترمذي عن عبد الله بن سلام - رضي الله عنه - قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: "يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أَفْشُوا السَّلَامَ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ، وَصَلُّوا وَالنَّاسُ نِيَامَ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِسَلَامٍ"^(٣).

(١) حسن: حسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب - (١ / ١٥١) (٦٢٤). وهو عند النسائي في السنن الكبرى وابن خزيمة

(٢) حسن: حسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢ / ٥٠٥) (٨٣١) وهو عند الطيالسي.

(٣) صحيح: صححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب - (١ / ١٥٠) (٦١٦) وهو عند ابن ماجه والحاكم وأحمد .

- وقيام الليل هو أفضل الصلاة بعد الفريضة.

فقد روى الإمام مسلم عن أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَفْضَلُ الصَّيَّامِ، بَعْدَ رَمَضَانَ، شَهْرُ اللَّهِ الْمُحَرَّمُ، وَأَفْضَلُ الصَّلَاةِ، بَعْدَ الْفَرِيضَةِ، صَلَاةُ اللَّيْلِ» .

اغتنام قيام شهر رمضان:

ويزيد أجر القيام في شهر رمضان لفضيلة هذا الشهر، ولما اختصه الله بخصائص كثيرة، ويكون أفضل في العشر الأواخر من رمضان ، ويكون أفضل في ليلة القدر التي هي خير من ألف شهر، والتي يكون قيامها خيراً من قيام ألف شهر.

فقد روى البخاري ومسلم عن أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ، وَمَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ».

وشروط المغفرة هنا أن يقومه إيماناً واحتساباً: أي بنية وعزيمة وإخلاص راجياً ثوابه من الله سبحانه وتعالى، مصداقاً بمشروعيته وأجوره المترتبة عليه ، منشراحاً به صدره، غير مستثقل له، طيبةً به نفسه. ويستحب في قيام الليل الإطالة في القيام والقراءة والركوع والسجود، والعمل بالسنة في عدد الركعات، وهي إحدى عشرة ركعة، في رمضان وفي غيره، لما روى الإمام مسلم عن جَابِرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَفْضَلُ الصَّلَاةِ طُولُ الْقُنُوتِ» أي: طول القيام.

قال الإمام النووي - رحمه الله - : "المراد بالقنوت هنا القيام باتفاق العلماء فيما علمت" . اهـ^(١) . وروى البخاري ومسلم عن عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قَالَتْ: «مَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَزِيدُ فِي رَمَضَانَ وَلَا فِي غَيْرِهِ عَلَى إِحْدَى عَشْرَةَ رَكْعَةً يُصَلِّي أَرْبَعًا، فَلَا تَسْلُ عَنْ حُسْنِهِنَّ وَطَوْلِهِنَّ، ثُمَّ يُصَلِّي أَرْبَعًا، فَلَا تَسْلُ عَنْ حُسْنِهِنَّ وَطَوْلِهِنَّ، ثُمَّ يُصَلِّي ثَلَاثًا» . أي: لكمال حسنهن وطولهن فهن مستغنيات عن السؤال عن وصفهن، فقد كان عليه الصلاة والسلام يطيل فيهن وبقراً مترسلاً ويطيل الركوع والسجود، كما سيأتي قريباً في صفة قيام النبي صلى الله عليه وسلم.

ويستحب الاستمرار في القيام مع الإمام حتى ينصرف من الصلاة، فإن ذلك كقيام ليلة، فقد جاء عن أَبِي دَرٍّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ صُمْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - رَمَضَانَ فَلَمْ يَقُمْ بِنَا شَيْئًا مِنَ الشَّهْرِ حَتَّى بَقِيَ سَبْعٌ فَقَامَ بِنَا حَتَّى ذَهَبَ ثُلُثُ اللَّيْلِ فَلَمَّا كَانَتِ السَّادِسَةُ لَمْ يَقُمْ بِنَا فَلَمَّا كَانَتِ الْخَامِسَةُ قَامَ بِنَا حَتَّى ذَهَبَ شَطْرُ اللَّيْلِ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ لَوْ نَقَلْنَا قِيَامَ هَذِهِ اللَّيْلَةِ . قَالَ فَقَالَ «إِنَّ الرَّجُلَ إِذَا صَلَّى مَعَ الْإِمَامِ حَتَّى يَنْصَرِفَ حُسِبَ لَهُ قِيَامُ لَيْلَةٍ» . وفي رواية عند الترمذي: "كتب له قيام ليلة"^(٢)

(١) شرح مسلم (٣ / ٩٤)

(٢) صحيح: رواه أبو داود والترمذي والنسائي وروى ابن ماجه نحوه وصححه الألباني في صحيح أبي داود (١٣٧٥) والوادعي في الصحيح

المسند (١/٢١٤-٢١٥) (٢٧٠).

أفضل وقت للقيام :

إن أفضل القيام هو التهجد ، وهو في الثلث الآخر من الليل ، وهو وقت النزول الإلهي ، ويشرع القيام في أي ساعة من الليل ، فقد قام النبي صلى الله عليه وسلم في جميع أنحاء الليل ، في أوله ، ووسطه ، وآخره .
فقد روى الإمام مسلم عن عائشة رضي الله عنها - قالت : « مِنْ كُلِّ اللَّيْلِ قَدْ أَوْتَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَأَنْتَهَى وَتَرَهُ إِلَى السَّحَرِ » .
لكن الأفضل أن يكون من آخر الليل قال تعالى : { وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا } [الإسراء: ٧٩] .

قال المفسر الطبري وابن كثير : التهجد هو التيقظ بعد النوم .
وروى الإمام مسلم عن جابر - رضي الله عنه - قال : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ خَافَ أَنْ لَا يَقُومَ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ فَلْيُوتِرْ أَوَّلَهُ ، وَمَنْ طَمِعَ أَنْ يَقُومَ آخِرَهُ فَلْيُوتِرْ آخِرَ اللَّيْلِ ، فَإِنَّ صَلَاةَ آخِرِ اللَّيْلِ مَشْهُودَةٌ ، وَذَلِكَ أَفْضَلُ » . وَقَالَ أَبُو مُعَاوِيَةَ : مَحْضُورَةٌ .
ومعنى مشهودة : أي : محضورة ، تحضرها الملائكة .

وروى الإمام مسلم رحمه الله عن عائشة - رضي الله عنها - قالت : « كَانَ يَنَامُ أَوَّلَ اللَّيْلِ ، وَيُحْيِي آخِرَهُ » .
وفي هذا الوقت يكون العبد أقرب إلى ربه ، فيخلو بربه ويناجيه ويتضرع بين يديه ، فيكون الله تعالى قريباً منه فيستجيب له ويغفر له ويتقبل منه .

فقد روى الترمذي عن عمرو بن عمرو بن عيسى - رضي الله عنه - أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، يَقُولُ : " أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الرَّبُّ مِنَ الْعَبْدِ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ الْآخِرِ ، فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَكُونَ مِمَّنْ يَذْكُرُ اللَّهَ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ فَكُنْ " (١) .

والقرب هنا ، هو قرب معية ، أي : يكون الله معه بنصره وتأييده ولطفه وإجابة دعائه .

أفضل مكان لقيام الليل :

ويستحب للعبد أن يصلي القيام في بيته ، فإن أفضل صلاة العبد في بيته إلا المكتوبة ، فإنها أقرب إلى الإخلاص ، وهي سنة نبينا صلى الله عليه وسلم ، حيث كان يقوم الليل في بيته ، فينبغي أن تعمر البيوت بالذكر والعبادة .

فقد روى البخاري في صحيحه عن زيد بن ثابت - رضي الله عنه - قال : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « .. صَلُّوا أَيُّهَا النَّاسُ فِي بُيُوتِكُمْ فَإِنَّ أَفْضَلَ الصَّلَاةِ صَلَاةُ الْمَرْءِ فِي بَيْتِهِ إِلَّا الْمَكْتُوبَةَ » .
وروى الطبراني عن صهيب بن النعمان - رضي الله عنه - قال : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :
" فضل صلاة الرجل في بيته على صلاته حيث يراه الناس كفضل المكتوبة على النافلة " (٢) .

أما في رمضان فإنه يشرع صلاة القيام في المسجد جماعة لفعل النبي صلى الله عليه وسلم وعمر بن الخطاب - رضي الله عنه - فصارت صلاة التراويح والقيام في بيوت الله في شهر رمضان سنة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، وإنما تركها النبي صلى الله عليه وسلم جماعة في المسجد في آخر أمره ؛ خشية أن تفرض عليهم فيعجزون عنها ، فلما توفي عليه الصلاة والسلام ، وانقطع الوحي ، وأكمل الله

(١) صحيح : صححه الألباني في صحيح وضعيف سنن الترمذي - (٨ / ٧٩) (٣٥٧٩) وحسنه الوادعي في الصحيح المسند (٩١ / ٢) (١٠١٥) وهو عند النسائي والحاكم .

(٢) قال الشيخ الألباني : (حسن) انظر حديث رقم : (٤٢١٧) في صحيح الجامع .

الدين، وانقضى التشريع، وأمن فرضيتها، أحيائها عمر - رضي الله عنه - في المسجد جماعة، فأحيا سنة سنها رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فقد روى البخاري عن زيد بن ثابت - رضي الله عنه - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم اتخذ حجرة - قال حسبت أنه قال - من حصير في رمضان فصلى فيها ليالي فصلى بصلاته ناس من أصحابه فلما علم بهم جعل يقعد فخرج إليهم فقال: "قد عرفت الذي رأيتم من صنيعكم فصلوا أيها الناس في بيوتكم فإن أفضل الصلاة صلاة المرء في بيته إلا المكتوبة".

وروى البخاري أيضا عن عبد الرحمن بن عبد القاري أنه قال خرجت مع عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه ، ليلة في رمضان إلى المسجد فإذا الناس أوزاع متفرقون يصلي الرجل لنفسه ويصلي الرجل فيصلي بصلاته الرهط فقال عمر إني أرى لو جمعت هؤلاء على قارئ واحد لكان أمثل ثم عزم فجمعهم على أبي بن كعب ثم خرجت معه ليلة أخرى والناس يصلون بصلاة قارئهم قال عمر نعم البدعة هذه والتي ينامون عنها أفضل من التي يقومون يريد آخر الليل ، وكان الناس يقومون أوله.

قيام رسول الله صلى الله عليه وسلم:

بعد أن عرفنا شيئا من فضائل قيام الليل، وما أعد الله للقائمين، نريد أن نعرف قيام رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، لنقتدي به، فهو قدوتنا وأسوتنا وخير الهدى هديه.

فكيف كان قيام نبينا صلى الله عليه وسلم؟

إن نبينا صلى الله عليه وسلم هو الذي غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وهو سيد الناس وخيرتهم، وهو صاحب الشفاعة العظمى، وصاحب لواء الحمد، وهو صاحب الوسيلة الرفيعة في الجنة، وأول من يدخل الجنة، لا يفتح لأحد قبله، ومع هذا كان يقوم الليل حتى تشقق وتورمت قدماه من طول القيام، عليه الصلاة والسلام .

فقد روى البخاري عن عائشة - رضي الله عنها: أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يقوم من الليل حتى تتفطر قدماه، فقالت عائشة: لم تصنع هذا يا رسول الله، وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: «أفلا أحب أن أكون عبدا شكورا» فلما كثر لحمه صلى جالسا، فإذا أراد أن يركع قام فقرأ ثم ركع.

- وبات ليلة يصلي بآية يردها يركع بها ويسجد حتى طلع الفجر.

فقد روى الإمام أحمد وغيره عن أبي ذر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قام ليلة بآية يردها حتى أصبح، وهي {إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عَبْدَاكَ وَإِنْ تُغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} [المائدة: ١٨] بها يركع وبها يسجد وبها يدعو فلما أصبح قال له أبو ذر - رضي الله عنه - يا رسول الله ما زلت تقرأ هذه الآية حتى أصبحت، تركع بها، وتسجد بها، وتدعو بها، وقد علمك الله القرآن كله، لو فعل هذا بعضنا لوجدنا عليه قال: "إني سألت ربي الشفاعة لأمتي فأعطانيها، وهي نائلة إن شاء الله لمن لا يشرك بالله شيئا" (١).

- وكان عليه الصلاة والسلام يصلي ويقرأ ويدعو ويبكي.

فقد روى ابن حبان عن عطاء قال دخلت أنا وعبيد بن عمير على عائشة رضي الله عنها... فقال ابن عمير أخبرينا بأعجب شيء رأيته من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فسكنت ثم قالت لما كان ليلة من الليالي قال "يا عائشة دريني أتعبد الليلة لربي" قلت والله إني لأحب قربك وأحب ما يسررك فقام

(١) حسن: حسنه الألباني، انظر صفة الصلاة - (١ / ١٢١) وأصل صفة صلاة النبي صلى الله عليه وسلم - (٢ / ٥٣٤) للألباني

فَقَطَّهَرَهُ ثُمَّ قَامَ يُصَلِّي قَالَتْ فَلَمْ يَزَلْ يَبْكِي حَتَّى بَلَ جُجْرَهُ قَالَتْ ثُمَّ بَكَى فَلَمْ يَزَلْ يَبْكِي حَتَّى بَلَ لِحِيَّتَهُ قَالَتْ ثُمَّ بَكَى فَلَمْ يَزَلْ يَبْكِي حَتَّى بَلَ الْأَرْضَ فَجَاءَ بَلَالٌ يُؤَذِّنُهُ بِالصَّلَاةِ فَلَمَّا رَأَاهُ يَبْكِي قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ لِمَ تَبْكِي وَقَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ وَمَا تَأَخَّرَ قَالَ "أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا لَقَدْ نَزَلَتْ عَلَيَّ اللَّيْلَةُ آيَةً وَيْلَ لِمَنْ قَرَأَهَا وَلَمْ يَتَفَكَّرْ فِيهَا: { إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ } الْآيَةُ كُلُّهَا [آل عمران: ١٩٠] (١).

- وكان إذا فاتته قيام الليل لعذر قضاؤه في النهار، فقد روى الإمام مسلم عن عائشة رضي الله عنها، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم «كَانَ إِذَا فَاتَتْهُ الصَّلَاةُ مِنَ اللَّيْلِ مِنْ وَجَعٍ، أَوْ غَيْرِهِ، صَلَّى مِنَ النَّهَارِ ثِنْتَيْ عَشْرَةَ رَكْعَةً».

فيشرع قضاء القيام لمن فاتته لهذا الحديث، ويكون ذلك من بعد شروق الشمس إلى قبيل الزوال.

- وكان صلى الله عليه وسلم يطيل في قيامه وقراءته وركوعه وسجوده، ويدعو ويسبح ويستغفر ويقرأ بتؤدة وتدبر.

فقد روى الإمام مسلم عن حذيفة - رضي الله عنه - قَالَ: صَلَّيْتُ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ لَيْلَةٍ، فَافْتَتَحَ الْبَقَرَةَ، فَقُلْتُ: يَرْكُعُ عِنْدَ الْمِائَةِ، ثُمَّ مَضَى، فَقُلْتُ: يُصَلِّي بِهَا فِي رَكْعَةٍ، فَمَضَى، فَقُلْتُ: يَرْكُعُ بِهَا، ثُمَّ افْتَتَحَ النِّسَاءَ، فَقَرَأَهَا، ثُمَّ افْتَتَحَ آلَ عُمَرَ، فَقَرَأَهَا، يَقْرَأُ مُتْرَسِلًا، إِذَا مَرَّ بِآيَةٍ فِيهَا تَسْبِيحٌ سَبَّحَ، وَإِذَا مَرَّ بِسُورَةٍ سَأَلَ، وَإِذَا مَرَّ بِتَعْوِذٍ تَعَوَّذَ، ثُمَّ رَكَعَ، فَجَعَلَ يَقُولُ: «سُبْحَانَ رَبِّيَ الْعَظِيمِ»، فَكَانَ رُكُوعُهُ نَحْوًا مِنْ قِيَامِهِ، ثُمَّ قَالَ: «سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ»، ثُمَّ قَامَ طَوِيلًا قَرِيبًا مِمَّا رَكَعَ، ثُمَّ سَجَدَ، فَقَالَ: «سُبْحَانَ رَبِّيَ الْأَعْلَى»، فَكَانَ سُجُودُهُ قَرِيبًا مِنْ قِيَامِهِ.

وفي الصحيحين عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قَالَ: «صَلَّيْتُ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيْلَةً، فَلَمْ يَزَلْ قَائِمًا حَتَّى هَمَمْتُ بِأَمْرٍ سَوْءٍ»، قُلْنَا: وَمَا هَمَمْتَ؟ قَالَ: هَمَمْتُ أَنْ أَقْعُدَ وَأَذَرَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

أي: هم أن يصلي مع النبي صلى الله عليه وسلم جالسا، لكن تأدبا معه لم يجلس، علما بأنه يجوز الصلاة جلوسا مع الإمام في صلاة الليل.

فيستفاد من هذا الحديث تأدب المأموم مع الإمام وعدم مخالفته والجدال والخصام معه إذا أطال، أو عمل بالسنة، ومن تعب أو عجز فله أن يصلي جالسا.

قال النووي - رحمه الله - : "فيه أنه ينبغي الأدب مع الأئمة والكبار وأن لا يخالفوا بفعل ولا قول ما لم يكن حراما واتفق العلماء على أنه إذا شق على المعتدي في فريضة أو نافلة القيام وعجز عنه جاز له القعود وإنما لم يقعد ابن مسعود للتأدب مع النبي صلى الله عليه وسلم وفيه جواز الإفتداء في غير المكتوبات وفيه استحباب تطويل صلاة الليل". اهـ (٢)

هذه مقتطفات من قيام النبي صلى الله عليه وسلم، وأما في رمضان فقد كان يجتهد فيه أكثر من غيره ويجتهد في العشر الأواخر أكثر من غيرها.

فقد روى الإمام مسلم عن عائشة رضي الله عنها: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَجْتَهِدُ فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ، مَا لَا يَجْتَهِدُ فِي غَيْرِهِ».

فكان يحيي الليل بالعبادة، ويوقظ أهله لصلاة الليل، ويعتزل النساء، ويشمر في العبادة أكثر من عادته.

(١) حسن: حسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب - (٢ / ٨٨) (١٤٦٨)

(٢) شرح مسلم - (٦ / ٦٣)

فقد روى البخاري ومسلم عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: «كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا دَخَلَ الْعَشْرُ شَدَّ مِئْزَرَهُ، وَأَحْيَا لَيْلَهُ، وَأَيَّقَظَ أَهْلَهُ».

فهذا هو قيام رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولنا به أسوة حسنة، قال تعالى في كتابه الكريم: {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا} [الأحزاب: ٢١].

اغتنام ركعتي الضحى

من القربات العظيمة التي يشرع للعبد أن يتقرب بها إلى ربه هي صلاة الضحى، فيصلي العبد من الضحى ما تيسر له، وأقلها ركعتان، ووقتها من بعد شروق الشمس إلى قبيل الزوال (وهو وقوف الشمس في كبد السماء) فإذا وقفت الشمس في كبد السماء فقد انتهى وقت الضحى، وأفضل وقتها حين ترمض الفصال، وهو اشتداد حر الشمس وقت الضحية، ولذلك سميت بالضحى، وهو ما بين الساعة التاسعة إلى العاشرة، وسميت الصلاة في هذا الوقت بصلاة الأوابين، وقد رتب الله عليها أجورا عظيمة، وتجزئ عن أعمال كثيرة.

فقد روى الإمام مسلم عن أبي ذر رضي الله عنه عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال « يُصْبِحُ عَلَى كُلِّ سَلَامٍ مِنْ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ فَكُلُّ تَسْبِيحَةٍ صَدَقَةٌ وَكُلُّ تَحْمِيدَةٍ صَدَقَةٌ وَكُلُّ تَهْلِيلَةٍ صَدَقَةٌ وَكُلُّ تَكْبِيرَةٍ صَدَقَةٌ وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ صَدَقَةٌ وَنَهْيٌ عَنِ الْمُنْكَرِ صَدَقَةٌ وَيُجْزَى مِنْ ذَلِكَ رَكْعَتَانِ يَرْكَعُهُمَا مِنَ الضُّحَى » .

فجعل ركعتي الضحى مجزئة عن هذه الأعمال كلها لمن لم تيسر له.

ومعنى (على كل سلامي من أحدكم صدقة): أي على كل عضو ومفصل من الإنسان صدقة، وعدد مفصل الإنسان ٣٦٠ عظاما من عظام الأصابع والأكف والأرجل، فيجزئ عنها ركعتا الضحى لأن الصلاة تقوم بها سائر الأعضاء.

و روى الترمذي عن أنس بن مالك . رضي الله عنه . قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: " من صلى الصبح في جماعة ثم قعد يذكر الله حتى تطلع الشمس ثم صلى ركعتين كانت له كأجر حجة وعمرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: تامة تامة تامة " (١) .

ولا مانع أن يجعلها العبد ركعتي الضحى، فإن هذا الوقت هو أول الوقت لصلاة الضحى.

وروى الإمام مسلم عن زيد بن أرقم رضي الله عنه أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال « صَلَاةُ الْأَوَّابِينَ حِينَ تَرْمِضُ الْفِصَالُ »

ومعنى ترمض الفصال: أي: تحترق أخفاف صغار الإبل من شدة حر الرمل، والفصال: جمع فصيل وهو ولد الناقة إذا فصل عن أمه. والأوابون: المطيعون الرجاعون إلى الله.

وكيفيتها: هي صلاة خفيفة، ويصلي ما شاء، وأقلها ركعتان ولا حد لأكثرها ..

فقد روى الإمام البخاري عن أم هانئ - رضي الله عنها - أن النبي صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة اغتسل في بيتها فصلى ثمان ركعات، قالت: فما رأيته صلى صلاة أخف منها غير أنه يتيم الركوع والسجود

(١) حسن: حسنه الأنبائي في صحيح الترغيب والترهيب - (١ / ١١١) (٤٦٤)

اغتنام ركعتي الوضوء:

إن العبد إذا توضأ فأَسْبَغَ الوضوءَ غفرت ذنوبه مع قطرات الماء ، فإذا صلى ركعتين خاشعاً فيها ، يعلم ما يقول فيها ، لا يحدث فيها نفسه ، غُفِرَ له ما تقدم من ذنبه ، فإن داوم على ذلك بأن يصلي ركعتين كلما توضأ وتطهر فقد سلك طريقاً من طرق الجنة.

فقد روى مسلم عن أبي هريرة . رضي الله عنه . أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- قَالَ « إِذَا تَوَضَّأَ الْعَبْدُ الْمُسْلِمُ - أَوِ الْمُؤْمِنُ - فَغَسَلَ وَجْهَهُ خَرَجَ مِنْ وَجْهِهِ كُلُّ خَطِيئَةٍ نَظَرَ إِلَيْهَا بِعَيْنَيْهِ مَعَ الْمَاءِ - أَوْ مَعَ آخِرِ قَطْرِ الْمَاءِ - فَإِذَا غَسَلَ يَدَيْهِ خَرَجَ مِنْ يَدَيْهِ كُلُّ خَطِيئَةٍ كَانَ بَطَشَتْهَا يَدَاهُ مَعَ الْمَاءِ - أَوْ مَعَ آخِرِ قَطْرِ الْمَاءِ - فَإِذَا غَسَلَ رِجْلَيْهِ خَرَجَتْ كُلُّ خَطِيئَةٍ مَشَتْهَا رِجْلَاهُ مَعَ الْمَاءِ - أَوْ مَعَ آخِرِ قَطْرِ الْمَاءِ - حَتَّى يَخْرُجَ نَقِيًّا مِنَ الذُّنُوبِ ».

وروى البخاري ومسلم عن حُمَرَانَ مَوْلَى عُثْمَانَ أَنَّ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ - رضي الله عنه - دَعَا بِوَضُوءٍ فَتَوَضَّأَ فَغَسَلَ كَفَيْهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ثُمَّ مَضْمَضَ وَاسْتَنْشَرَ ثُمَّ غَسَلَ وَجْهَهُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ثُمَّ غَسَلَ يَدَهُ الْيُمْنَى إِلَى الْمِرْفَقِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ثُمَّ غَسَلَ يَدَهُ الْيُسْرَى مِثْلَ ذَلِكَ ثُمَّ مَسَحَ رَأْسَهُ ثُمَّ غَسَلَ رِجْلَهُ الْيُمْنَى إِلَى الْكَعْبَيْنِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ثُمَّ غَسَلَ الْيُسْرَى مِثْلَ ذَلِكَ ثُمَّ قَالَ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- تَوَضَّأَ نَحْوَ وَضُوءِي هَذَا ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- « مَنْ تَوَضَّأَ نَحْوَ وَضُوءِي هَذَا ثُمَّ قَامَ فَرَكَعَ رُكْعَتَيْنِ لَا يُحَدِّثُ فِيهِمَا نَفْسَهُ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ » .وزاد مسلم " قَالَ ابْنُ شِهَابٍ وَكَانَ عَلَمًاؤُنَا يَقُولُونَ هَذَا الْوَضُوءُ أَسْبَغُ مَا يَتَوَضَّأُ بِهِ أَحَدٌ لِلصَّلَاةِ "

والدليل على أن ركعتي الوضوء مما يرجى أن تكون سببا في دخول العبد الجنة: ما روى البخاري ومسلم واللفظ للبخاري عن أبي هريرة ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِبَالِلٍ عِنْدَ صَلَاةِ الْفَجْرِ: " يَا بَالِلُ حَدِّثْنِي بِأَرْجَى عَمَلٍ عَمِلْتَهُ فِي الْإِسْلَامِ فَإِنِّي سَمِعْتُ ذَفَّ نَعْلِكَ بَيْنَ يَدَيَّ فِي الْجَنَّةِ " قَالَ: مَا عَمِلْتُ عَمَلًا أَرْجَى عِنْدِي أَنِّي لَمْ أَتَطَهَّرْ طَهُورًا فِي سَاعَةِ لَيْلٍ ، أَوْ نَهَارٍ إِلَّا صَلَّيْتُ بِذَلِكَ الطُّهُورِ مَا كُنْتُ لِي أَنْ أَصَلِّيَ . قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ اللَّهِ ذَفَّ نَعْلِكَ يَعْنِي تَحْرِيكَ . وقال الحافظ: ذَفَّ نَعْلِكَ: أي، صوت مشيتك اه^(١).

(١) فتح الباري - ابن حجر - (١ / ١١٧)

اغتنام الصدقة:

الصدقة عبادة مالية تخرج مما يملكه العبد لمن يستحقه، وقد رتب الله عليها أجورًا عظيمة ؛ وذلك لأن فيها تفريجا عن المعسرين ، وإطعاما للمساكين، وقضاء لحوائج الفقراء والمحتاجين، ويدخل في ذلك الزكوات والنفقات الواجبة والنفقات المستحبة.

فمن فضائلها أنها تظل العبد يوم القيامة، وتطفئ غضب الله سبحانه وتعالى، وتبارك في المال وتنميته وتطهره، ويخلف الله للمنفق خيرا مما أنفق، ومن فضلها أن أول ما يتمنى العبد إذا مات ، أن يرجع إلى الدنيا كيما يتصدق لما رأى من فضل الصدقة.

والأدلة في فضل الصدقة كثيرة نذكر طرفا منها:

قال تعالى: { وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ } [سبا: ٣٩].

وروى البخاري ومسلم عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ الْعِبَادُ فِيهِ، إِلَّا مَلَكَانِ يَنْزِلَانِ، فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلْفًا، وَيَقُولُ الْآخَرُ: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُتْسِكًا تَلْفًا "

ومعناه، أي: اللهم أخلف على المنفق بخير، و أتلِف على الممسك ما لديه.

- والصدقة تطهر العبد وتزكيه وتنمي ماله، قال تعالى: { خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ } [التوبة : ١٠٣]

وروى الإمام مسلم عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم- قَالَ « مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ وَمَا زَادَ اللَّهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللَّهُ ».

فليبشر المتصدق، فإنه يفلح في الدنيا بأرزاق وفيرة، وفي الآخرة بأجور كثيرة، بخلاف البخيل فإن الله يحق بركة رزقه في الدنيا، ويعاقب في الآخرة على بخله. أما المتصدق فإن الله يخلف له خيرا مما أنفق، ويبارك له في المال المتصدق منه ، ويربي هذه الصدقة ويضاعفها حتى تصير عنده كالجبال، وهذا يكون إذا كانت خالصة لوجهه الكريم.

قال تعالى: {مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِئَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ } [البقرة: ٢٦١]

ففي هذه الآية بيان بأن الصدقة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، وربما إلى أضعاف كثيرة والله أكرم من كل كريم، فمن كرم بماله على الفقراء نال من كرم الله حتى يرضى والله أكرم الأكرمين.

وروى البخاري ومسلم عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا يَتَصَدَّقُ أَحَدٌ بِتَمْرَةٍ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ، إِلَّا أَخَذَهَا اللَّهُ بِيَمِينِهِ، فَيُرَبِّيَهَا كَمَا يُرَبِّي أَحَدَكُمْ فَلَوْهَ، أَوْ قُلُوصَهَ، حَتَّى تَكُونَ مِثْلَ الْجَبَلِ، أَوْ أَكْظَمَ».

ومعنى قُلُوصَه أي ناقته. وفلوه هو صغير الناقة أو الخيل.

- ومن فضل الصدقة، أن الميت إذا مات يتمنى أن يرجع إلى الدنيا من أجل أن يتصدق ، قال تعالى: " وَأَنْفَقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ [المنافقون : ١٠].

- ويأتي المتصدق يوم القيامة تحت ظل صدقته، يوم تدنو الشمس من رؤوس الخلائق بمقدار ميل، فيعرقون حتى يذهب العرق في الأرض سبعين ذراعاً، فيظل الله المتصدقين في ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله.

ففي الصحيحين عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ" .. وذكر منهم: "وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالَهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ" .

وروى الإمام أحمد عن عقبة بن عامر - رضي الله عنه - قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "كل امرئ في ظل صدقته حتى يقضى بين الناس" قال يزيد فكان أبو الخير مرثد لا يخطئه يوم إلا تصدق فيه بشيء ولو بكعكة أو بصلة^(١) .

والأدلة في فضل الصدقة كثيرة، فينبغي اغتنام هذه العبادة العظيمة؛ ليرى العبد أجرها وذخرها عند الله، أحوج ما يكون إلى الحسنة الواحدة، وقد تقدم حديث ابن عباس - رضي الله عنهما - الذي رواه الحاكم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لرجل وهو يعظه: "اغتنم خمسا قبل خمس" وذكر منها: "وغناك قبل فقرك" .

وليس للإنسان يوم القيامة من ماله الذي كان في الدنيا إلا ما قدم وأنفق في أبواب الخير، كما عند الإمام مسلم عن مطرف عن أبيه قال أتيت النبي - صلى الله عليه وسلم - وهو يقرأ (الْهَآكُمُ النَّكَاتُ) قَالَ « يَقُولُ ابْنُ آدَمَ مَالِي مَالِي - قَالَ - وَهَلْ لَكَ يَا ابْنَ آدَمَ مِنْ مَالِكَ إِلَّا مَا أَكَلْتُ فَأَقْنَيْتُ أَوْ لَبِستُ فَأَبْلَيْتُ أَوْ تَصَدَّقْتُ فَأَمْضَيْتُ » .

وفي رواية له عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - قَالَ « يَقُولُ الْعَبْدُ مَالِي مَالِي إِنَّمَا لَهُ مِنْ مَالِهِ ثَلَاثُ، مَا أَكَلَ فَأَقْنَى، أَوْ لَبَسَ فَأَبْلَى، أَوْ أُعْطِيَ فَأَقْنَى، وَمَا سِوَى ذَلِكَ فَهُوَ ذَاهِبٌ وَتَارِكٌ لِلنَّاسِ »

وروى الترمذي عن عائشة - رضي الله عنها - أنهم ذبحوا شاة فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "ما بقي منها؟" قالت: ما بقي منها إلا كتفها، قال: "بقي كلها غير كتفها"^(٢) ومعناه: أن الذي بقي هو الذي تصدقوا به، وأما الذي أكلوه فقد فني.

فضل الصدقة أيام المسغبة:

ويزيد أجر الصدقة وقت الحاجة الشديدة، والفقر والمجاعة، وأيام الأزمات وارتفاع الأسعار، ويزيد أجرها إذا وقعت في يد الأشد حاجة إليها.

قال تعالى: { فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ * فَكُّ رَقَبَةٍ * أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ * يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ * أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ } [البلد : ١١ - ١٦]

قال المفسر السعدي - رحمه الله - "ثم فسر هذه العقبة { فَكُّ رَقَبَةٍ } أي: فكها من الرق، بعثتها أو مساعدتها على أداء كتابتها، ومن باب أولى فكك الأسير المسلم عند الكفار. { أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ } أي: مجاعة شديدة، بأن يطعم وقت الحاجة أشد الناس حاجة. { يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ } أي: جامعاً بين كونه يتيمًا، فقيرًا ذا قرابة. { أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ } أي: قد لزم بالتراب من الحاجة والضرورة" اهـ.

(١) صحيح: صححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب - (١ / ٢١٢) (٨٧٢) وهو عند الحاكم وابن خزيمة وابن حبان.

(٢) صحيح: حسنه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (٦ / ٩٧) (٢٥٤٤) وصححه في صحيح الترغيب والترهيب - (١ / ٢١٠) (٨٥٩) والوادعي في الصحيح

المسند (٤٩٧/٢) (١٥٨٢) وهو أحمد.

وقال المفسر ابن كثير - رحمه الله - : "وقوله: { أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ } أي: فقيرا مُدَقِّعًا لاصقا بالتراب، وهو الدقعاء أيضا.
قال ابن عباس: { ذَا مَتْرَبَةٍ } هو المطروح في الطريق ، الذي لا بيت له، ولا شيء يقيه من التراب - وفي رواية: هو الذي لصق بالدقعاء من الفقر والحاجة، ليس له شيء - وفي رواية عنه: هو البعيد التربة.
قال ابن أبي حاتم: يعني الغريب عن وطنه.
وقال عكرمة: هو الفقير المديون المحتاج.
وقال سعيد بن جبیر: هو الذي لا أحد له.
وقال ابن عباس، وسعيد، وقتادة، ومقاتل بن حیان: هو ذو العيال.
وكل هذه قريبة المعنى" اهـ.

اغتنام الحج والعمرة

الحج من أركان الإسلام، ودعائمه العظام، ولا يتم إسلام عبد حتى يقرّ به ويحجّ بيت الله الحرام عند الاستطاعة، وهو في العمر مرة واحدة وما زاد فهو مستحب.

والحج والعمرة من مكفرات الذنوب، وينفيان الفقر، ومن أسباب دخول الجنة، وهما واجبان على كل مسلم عاقل بالغ قادر لقوله تعالى: {وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ} [البقرة: ١٩٦]

وقوله تعالى: {وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ} [آل عمران: ٩٧]

فهاتان الآيتان فيهما وجوب الحج والعمرة للأمر بهما، إلا أن الوجوب مقيد بالاستطاعة وهذا من تيسير الله لهذه الأمة وسماحة هذا الدين الحنيف.

وقوله تعالى: {وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ} [آل عمران: ٩٧].

قال ابن كثير والبغوي والسعدي: أي: من جحد فريضة الحج فهو كافر بالله رب العالمين. اهـ

وسواء كان الحاج شاباً أو شائبا، رجلاً أو امرأة، فإنه لا يُخَصُّ بالرجل الكبير في السن دون غيره، كما يفهمه البعض، بل يجزئ الحج عن العبد بمجرد بلوغه، فمن حج البيت بعد البلوغ فقد أدى حجة الإسلام وبرئت ذمته، ومن حج قبل البلوغ فهي نافلة في حقه ولا تزال ذمته مشغولة به حتى يحج حجة أخرى بعد البلوغ.

الحج المبرور من أسباب دخول الجنة:

من فضائل الحج أنه من أفضل الأعمال ومن أسباب دخول الجنة، لما روى الإمام أحمد، عن عبادة بن الصامت - رضي الله عنه - قال بينما أنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ جاءه رجل فقال يا رسول الله أي الأعمال أفضل فقال: "إيمان بالله وجهاد في سبيله وحج مبرور" ^(١) الحديث

والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة لما روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «الْعُمْرَةُ إِلَى الْعُمْرَةِ كَفَّارَةٌ لِمَا بَيْنَهُمَا، وَالْحَجُّ الْمَبْرُورُ لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ إِلَّا الْجَنَّةُ».

والحج المبرور هو الذي أخلص فيه صاحبه لله، وسلم من الرياء والفسوق والمعاصي والرفث والجدال والمال الحرام.

والرفث يأتي بمعنى الكلام القبيح، ويأتي بمعنى مقارفة النساء من الجماع ومقدماته ودواعيه، كما في قوله تعالى: {فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ} [البقرة: ١٩٧].

قال ابن بطال - رحمه الله - : "والحج المبرور هو الذي لا رياء فيه ولا رفث ولا فسوق ويكون بمالٍ حلال. اهـ ^(٢)

وقال المناوي - رحمه الله - : (الحج المبرور) أي المقابل بالبر، ومعناه المقبول وهو الذي لا يخلطه شيء من الإثم، ومن علامة القبول أنه يرجع خيراً مما كان ولا يعاود والمعاصي". اهـ ^(٣)

(١) حسن: حسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب - (٢ / ٥١) (١٣٠٧) وهو عند الطبراني وابن حبان.

(٢) شرح صحيح البخاري (٤ / ٤٣٥)

(٣) فيض القدير شرح الجامع الصغير - (٣ / ٥٣٨)

وقال السعدي في تفسير قوله تعالى: { فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ } أي: يجب أن تعظموا الإحرام بالحج، وخصوصا الواقع في أشهره، وتصونوه عن كل ما يفسده أو ينقصه، من الرفث وهو الجماع ومقدماته الفعلية والقولية، خصوصا عند النساء بحضرتهم. والفسوق وهو: جميع المعاصي، ومنها محظورات الإحرام. والجدال وهو: المماراة والمنازعة والمخاصمة، لكونها تثير الشر، وتوقع العداوة. والمقصود من الحج، الذل والانكسار لله، والتقرب إليه بما أمكن من القربات، والنتزه عن مقارفة السيئات، فإنه بذلك يكون مبرورا والمبرور، ليس له جزاء إلا الجنة، وهذه الأشياء وإن كانت ممنوعة في كل مكان وزمان، فإنها يتغلظ المنع عنها في الحج" اهـ.

الحج والعمرة من مكفرات الذنوب ومن أسباب البركة في الأرزاق :

- ومن فضائل الحج والعمرة أنهما يحووان الذنوب وينفيان الفقر. فقد روى الترمذي عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "تَابِعُوا بَيْنَ الْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ، فَإِنَّهُمَا يَنْفِيَانِ الْفَقْرَ وَالذُّنُوبَ كَمَا يَنْفِي الْكَبِيرُ خَبَثَ الْحَدِيدِ، وَالذَّهَبُ، وَالْفِضَّةُ، وَلَيْسَ لِلْحَجَّةِ الْمَبْرُورَةِ ثَوَابٌ إِلَّا الْجَنَّةُ" (١).

قال المناوي - رحمه الله -: "قال الطيبي: فيه إشارة إلى أن الغنى الأعظم هو الغنى بطاعة الله ولا عطاء أعظم من مباهاة الله بالحاج الملائكة" اهـ (٢). والذنوب التي يكفرها الحج والعمرة هي الصغائر، وربما كفر الكبائر. قال المناوي - رحمه الله -: "قال ابن العربي: والمكفر من الذنوب هو الصغائر لكن هذه الطاعات ربما أثرت في القلب فأورثت توبة تكفر كل خطيئة" اهـ ملخصا (٣). وفي قوله صلى الله عليه وسلم: "تابعوا بين الحج والعمرة": وجوب العمرة، وهي في العمر مرة وما زاد فهو مستحب. قال المناوي - رحمه الله -: "أي إذا حججتم فاعتمروا، وإذا اعتمرتم فحجوا، ونظمها في سلك واحد ليفيد وجوب العمرة كالحج" اهـ (٤).

فهنيئاً لمن وفقه الله لزيارة بيته الحرام، وشهد تلك المشاعر العظام، فحج وطاف وصلى خلف المقام، ووقف ونسك وسعى في ذلك الزحام، وهنيئاً لمن تقبل الله منه ورجع مطهراً من الذنوب والآثام.

فقد روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «مَنْ حَجَّ لِلَّهِ فَلَمْ يَرْفُثْ، وَلَمْ يَفْسُقْ، رَجَعَ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ». أي: يرجع مبرأ من الذنوب قد محيت بسبب ذلك الحج، فإن الحج يمحو ما قبله من الذنوب ويهدمها، لما روى الإمام مسلم عن عمرو بن عمرو بن العاص - رضي الله عنه - قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقُلْتُ: ابْسُطْ يَمِينَكَ فَلَأُبَايِعَكَ، فَبَسَطَ يَمِينَهُ، قَالَ: فَقَبَضْتُ يَدِي، قَالَ: «مَا لَكَ يَا عَمْرُو؟» قَالَ: قُلْتُ: أَرَدْتُ أَنْ أَشْتَرِطَ، قَالَ: «تَشْتَرِطُ بِمَاذَا؟» قُلْتُ: أَنْ يُغْفَرَ لِي، قَالَ: «أَمَّا عَلِمْتَ أَنَّ الْإِسْلَامَ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ؟ وَأَنَّ الْهَجْرَةَ تَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهَا؟ وَأَنَّ الْحَجَّ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ؟» الحديث.

(١) صحيح: رواه الترمذي وأحمد وابن خزيمة وابن حبان وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة " (٣ / ١٩٦) برقم (١٢٠٠) وجاء عن ابن عباس - رضي الله

عنهما - وهو في الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين (١/ ٥٦١) (٢٩١) للإمام الوادعي.

(٢) فيض القدير (٣ / ٢٩٦)

(٣) فيض القدير (٣ / ٢٩٦)

(٤) المصدر السابق (٣ / ٢٩٦)

الحج المبرور أفضل الجهاد:

- ومن فضائل الحج أنه أفضل الجهاد، لما روى البخاري عن عائشة أم المؤمنين - رضي الله عنها - أنها قالت: يَا رَسُولَ اللَّهِ، نَرَى الْجِهَادَ أَفْضَلَ الْعَمَلِ، أَفَلَا نَجَاهِدُ؟ قَالَ: «لَا، لَكِنَّ أَفْضَلَ الْجِهَادِ حَجٌّ مَبْرُورٌ»^(١) وروى الطبراني عن الحسين بن علي - رضي الله عنهما - قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: إِنِّي جَبَانٌ، وَإِنِّي ضَعِيفٌ، فَقَالَ: «هَلُمَّ إِلَى جِهَادٍ لَا شَوْكَةَ فِيهِ: الْحَجُّ»^(٢).

والحج هو جهاد النساء، فقد روى ابن ماجه وأحمد عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، عَلَى النِّسَاءِ جِهَادٌ؟ قَالَ: "نَعَمْ، عَلَيْهِنَّ جِهَادٌ لَا قِتَالُ فِيهِ، الْحَجُّ وَالْعُمْرَةُ"^(٣) قال المناوي: "فإن الحج جهاد للشياطين، أو المراد أن ثواب الحج يعدل ثواب الغزو مع أن ذلك فيه مشقة وهذا لا مشقة فيه"^(٤) اهـ.

لاسيما وأكثر مناسك الحج تؤدي في أيام عشر ذي الحجة، وقد علم أن العمل الصالح في هذه الأيام أفضل من الجهاد في سبيل الله، والحج من أفضل الأعمال، فقد روى البخاري وأبو داود واللفظ له عن ابن عباس رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مَا مِنْ أَيَّامٍ الْعَمَلُ الصَّالِحُ فِيهَا أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنْ هَذِهِ الْأَيَّامِ يَعْنِي أَيَّامَ الْعَشْرِ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؟ قَالَ: وَلَا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ إِلَّا رَجُلٌ خَرَجَ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ فَلَمْ يَرْجِعْ مِنْ ذَلِكَ بِشَيْءٍ".

وإن من أحب الأعمال إلى الله لهي مناسك الحج، وهي في هذه الأيام المباركة أفضل من الجهاد في سبيل الله بما فيها يوم التروية ويوم عرفة ويوم النحر.

الحج من علامات حسن الخاتمة لمن مات فيه:

من مات على طاعة بعثه الله على تلك الطاعة، ومن مات على معصية بُعث عاصياً أمام الشهداء، فمن مات ساجداً بُعث ساجداً، ومن مات صائماً بُعث صائماً، ومن مات حاجاً بُعث ملبياً، ومن مات مغنياً بُعث وهو يغني، والعياذ بالله.

فقد روى الإمام أحمد عن جابر - رضي الله عنه - قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من مات على شيء بعثه الله عليه"^(٥)

وفي صحيح مسلم عن جابر بلفظ "يُبعث كل عبد على ما مات عليه" وروى البخاري ومسلم عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قَالَ: بَيْنَمَا رَجُلٌ وَقَفَ بِعَرَفَةَ إِذْ وَقَعَ عَنْ رَاحِلَتِهِ، فَوَقَصَتْهُ - أَوْ قَالَ: فَأَوْقَصَتْهُ - قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اغْسِلُوهُ بِمَاءٍ وَسِدْرٍ، وَكَفَّنُوهُ فِي ثَوْبَيْنِ، وَلَا تُحَنِّطُوهُ، وَلَا تُخَمِّرُوا رَأْسَهُ، فَإِنَّهُ يُبْعَثُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مُلْبِياً». ومعنى (فأوقصته) أي قتلتها، قال العيني: "كسرت راحلته عنقه"^(٦) اهـ.

فبيعت وهو يلبي: "لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ، لَبَّيْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ لَبَّيْكَ، إِنَّ الْحَمْدَ وَالنَّعْمَةَ لَكَ وَالْمُلْكَ، لَا شَرِيكَ لَكَ". فمن علامات حسن الخاتمة أن يموت العبد وهو يؤدي مناسك الحج، ومن مات في طريقه إلى الحج كُتب له أجر الحاج، وهذا من فضل الله على الناس ولكن أكثر الناس لا يعلمون "إنما الأعمال بالنيات". فقد روى أبو يعلى عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ خَرَجَ حَاجًّا فَمَاتَ كَتَبَ اللَّهُ لَهُ أَجْرَ الْحَاجِّ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ خَرَجَ مُعْتَمِراً فَمَاتَ كَتَبَ اللَّهُ لَهُ أَجْرَ الْمُعْتَمِرِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ خَرَجَ غَازِياً فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمَاتَ كَتَبَ اللَّهُ لَهُ أَجْرَ الْغَازِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»^(٧)

(١) صحيح: صححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب - (٢ / ٢) (١٠٩٨)

(٢) صحيح: انظر صحيح ابن ماجه - (٢ / ١٥١) (٢٣٤٥) والارواء (٩٨١)، المشكاة (٢٥٣٤)، الروض (١٠١٨)

(٣) فيض القدير شرح الجامع الصغير - (٣ / ١٣٩)

(٤) صحيح: صححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١ / ٥١٠) برقم (٢٨٣) وهو عند الحاكم

(٥) عمدة القاري شرح صحيح البخاري - (١٦ / ١٢٤)

(٦) صحيح: صححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٦ / ١١٦) وقال إسناده جيد وصححه في صحيح الترغيب والترهيب - (٢ / ٥) (١١٤)

وهكذا كل من خرج في طاعة، ثم أدركه الموت قبل بلوغ مراده، فقد وقع أجر طاعته عندربه.
قال تعالى: { وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاعِمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا } [النساء : ١٠٠]

التعجيل بالحج:

يجب على كل مسلم قادر على الحج أن يبادر لأداء فريضة الحج، فإنها لا تبرأ ذمته إلا بذلك، وليبادر إليه قبل أن يموت أو يُشغل بشيء أو يُقعد بمرض أو عجز، أو يفتقر، أو غير ذلك، فقد روى الإمام أحمد عن ابن عباس، عن الفضل، أو أحدهما عن الآخر - رضي الله عنهما - قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " مَنْ أَرَادَ الْحَجَّ فَلْيَتَعَجَّلْ، فَإِنَّهُ قَدْ يَمْرُضُ الْمَرِيضُ، وَتَضِلُّ الضَّالَّةُ، وَتَعْرُضُ الْحَاجَةُ " (١)
فإن الحج يجب على كل من استطاع إليه، ويجب المبادرة إليه فوراً، فإن الأمر يقتضي الوجوب والفورية، كما هو معلوم من مقتضى اللغة العربية، فمن توانى وتساهل فإنه يخشى عليه من الإثم، ومن مات ولم يحج وكان قادراً على الحج فإنه مات عاصياً، وهو آثم في تقصيره في فريضة من فرائض الإسلام، وتركه لواجب من الواجبات، لكن لا مانع من الحج عنه بعد موته من قبل أوليائه.
ويجب على من لم يحج أن يوصي أوليائه بأن يحجوا عنه بعد موته من ماله وتركته، فإلم يكن له مال ولا تركة - أي لم يترك شيئاً لفقره - فيستحب لأقاربه أن يحجوا عنه.
ومما يؤسف ويندى له الجبين، أنه يوجد الكثير من المسلمين لهم القدرة على الحج، وعندهم الأموال المكسدة والمخزونة فلم يحجوا، وربما بعضهم يفضل أن يشتري عقاراً أو بيتاً أو مركباً أو متجراً لا حاجة له فيه، أو ربما سافر إلى بلد آخر للنزهة أو للتجارة أو نحو ذلك لغير ما حاجة، لكنه لا يبالي بالحج ولا يلتفت إليه، وربما سافر إلى بلاد الكفار ومات في تلك البلاد، وربما كان سفر معصية والعياذ بالله، وقد روى أبو داود عن جرير - رضي الله عنه - أن رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال " أنا بريء من كل مسلم يُقِيمُ بَيْنَ أَظْهُرِ الْمُشْرِكِينَ " (٢)

(١) حسن: رواه أحمد وابن ماجه والبيهقي والطيالسي وحسنه الألباني في صحيح ابن ماجه - (٢ / ١٤٧) (٢٣٣١) وانظر المشكاة (٩٩٠)، الارواء (٩٩٠)،

صحيح أبي داود (١٥٢٢)

(٢) صحيح: صححه الألباني في صحيح أبي داود - (٧ / ٣٩٧)

اغتنام الصوم:

الصوم من العبادات العظيمة التي يتقرب بها العبد إلى الله سبحانه وتعالى، ويترتب عليه أجور عظيمة، واختص الله بعلم ثوابه، ويثيب عليه بغير حساب، وهو أكرم الأكرمين، وذلك لأن الصائم أظماً نهاره وأرق جسده جوعاً من أجل الله، وترك كثيراً مما أباح الله له، والصيام سر بين العبد وربّه، ولعل الله أخفى مضاعفات أجر الصيام لهذه العلة وغيرها، فإن من فضائل الصيام أن أجوره مضاعفة لا يعلم كثرتها إلا الله، فإن الله سبحانه أخفى مضاعفات أجر الصيام، وبين مقدار أجر سائر الأعمال، وذلك بأن الحسنة بعشر أمثالها، إلى سبعمائة ضعف، إلا الصيام فإن أمره إلى الله ومقدار ثوابه في علم الله. فقد روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة، رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "قَالَ اللَّهُ كُلُّ عَمَلٍ ابْنِ آدَمَ لَهُ، إِلَّا الصِّيَامَ، فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ". وفي رواية لمسلم: "كُلُّ عَمَلٍ ابْنِ آدَمَ يُضَاعَفُ الْحَسَنَةُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِمِائَةٍ ضِعْفٍ، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: إِلَّا الصَّوْمَ، فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ، يَدْعُ شَهْوَتَهُ وَطَعَامَهُ مِنْ أَجْلِي لِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ: فَرْحَةٌ عِنْدَ فِطْرِهِ، وَفَرْحَةٌ عِنْدَ لِقَاءِ رَبِّهِ وَلَخُلُوفٌ فِيهِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ، وَإِذَا كَانَ يَوْمُ صَوْمٍ أَحَدِكُمْ فَلَا يَرَفُثْ وَلَا يَصْخَبْ، فَإِنْ سَابَهُ أَحَدٌ أَوْ قَاتَلَهُ، فَلْيُقِلْ إِنْ نِيَّ امْرُؤٌ صَائِمٌ".

معنى: (كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لي)

ومعنى قوله تعالى في الحديث القدسي: "كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لي": قال المناوي: أي كل عمل له، فإن له فيه حظاً ودخلاً لاطلاع الناس عليه فهو يتعجل به ثواباً منهم (إلا الصيام فإنه) خالص (لي) لا يطلع عليه غيري، أو لا يعلم ثوابه المترتب ... أو معناه: أن الأعمال يقتصر منها يوم القيامة في المظالم، إلا الصوم فإنه لله ليس لأحد من أصحاب الحقوق أن يأخذ منه شيئاً. اهـ بمعنى أن المظلوم يأخذ من حسنات الظالم إلا أجر الصيام فإنه لا يستطيع أن يأخذ منه شيئاً لفضله.

وقال بعض أهل العلم في معنى: "كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لي": إن الله انفرد بعلم مقدار ثوابه وتضعيف حسناته، بينما غير الصيام من العبادات فقد اطلع عليها بعض الناس، وذلك بعلمهم أن الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، وإلا فإن جميع الأعمال لله كلها وهو الذي يجزي عليها.

قال الحافظ: "قَالَ الْقُرْطُبِيُّ مَعْنَاهُ: أَنَّ الْأَعْمَالَ قَدْ كُشِفَتْ مَقَادِيرُ ثَوَابِهَا لِلنَّاسِ وَأَنَّهَا تُضَاعَفُ مِنْ عَشْرَةٍ إِلَى سَبْعِمِائَةٍ إِلَى مَا شَاءَ اللَّهُ إِلَّا الصِّيَامَ، فَإِنَّ اللَّهَ يُثِيبُ عَلَيْهِ بغير تَقْدِيرٍ...، أَيِ يَجَازِي عَلَيْهِ جَزَاءً كَثِيرًا مِنْ غَيْرِ تَعْيِينَ لِمِقْدَارِهِ وَهَذَا كَقَوْلِهِ تَعَالَى: "إِنَّمَا يُوفَى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ". اهـ^(١). ومن صفات الصائمين الصبر وقد سمي رمضان بشهر الصبر. قال ابن كثير في معنى الآية: "إِنَّمَا يُوفَى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ". اهـ. وقال وكيع: لا يوزن وزناً وإنما يكال كَيْلاً. اهـ.

والمراد بالصيام هنا الذي يترتب عليه هذا الفضل العظيم، هو الصيام الذي سلم من الرياء ومن المعاصي قولاً وفعلاً واعتقاداً.

وقد قال بعض أهل العلم: إنه خص بهذا الفضل لأن الصوم لا يقع فيه الرياء كما يقع في غيره من الأعمال، فإن الصوم سر بين العبد وربّه لا يشعر به أحد إلا إذا أخبر به الصائم.

(١) فتح الباري (٤ / ١٠٨)

وقال الحافظ: "و اختص الصيام بهذه المزية لأن العبادات راجعة إلى صرف المال أو استعمال البدن، بينما الصوم يتضمن كسر النفس، وتعرض البدن للنقصان، وفيه الصبر على الجوع والعطش وترك الشهوات ،وإلى ذلك أشار بقوله يدع شهوته من أجلي" اه^(١).

الصوم وقاية من الشيطان ومن العصيان ومن النيران:

ومن فضائل الصيام ، أنه وقاية للصائم من المعاصي ومن الشياطين، لأن مسالك الشياطين تضيق عند الصائم، "فإن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم" كما ثبت ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم في الصحيحين عن صفية رضي الله عنها، فإذا صام العبد ضيقت مجاري الشيطان، بالإضافة إلى أن الشياطين مصفدة في رمضان.

والصيام وقاية من المعاصي، وذلك لأن الصائم مقبل على طاعة ربه، ومعرض عن معصيته، وداعي الشهوة عنده ضعيف، ومجاري الشيطان من ابن آدم مضيقة، فقد روى ابن ماجه عن عُثْمَانَ بْنِ أَبِي الْعَاصِ - رضي الله عنه - قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: " الصَّيَّامُ جُنَّةٌ كَجُنَّةِ أَحَدِكُمْ مِنَ الْقِتَالِ " (٢)

وفي رواية عند أحمد والبيهقي: " الصيام جنة وحصن حصين من النار " (٣) ومعنى: (جُنَّةٌ): أي وقاية من المعاصي ومن النار ومن الشيطان .

قال النووي رحمه الله: الصيام جنة أي ستر ومانع من الرفث والآثام، ومانع أيضا من النار، ومنه المجن وهو الترس، ومنه الجن لاستتارهم. اه^(٤).

فالصيام وقاية من كل الشهوات ولهذا حث النبي صلى الله عليه وسلم الشباب الذين لا قدرة لهم على الزواج بالتحصن بالصيام.

فقد روى البخاري ومسلم عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: « يا معشر الشباب مَنْ اسْتَطَاعَ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ، فَإِنَّهُ أَغْضُ لِلْبَصَرِ، وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ، فَإِنَّهُ لَهُ وَجَاءٌ ».

قال المناوي في معنى (وجاء): "أي مانع من الشهوات" اه^(٥).

ومن فضائل الصيام أنه، وقاية لصاحبه من النار، فقد روى البخاري ومسلم عن أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «مَنْ صَامَ يَوْمًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، بَعَدَ اللَّهُ وَجْهَهُ عَنِ النَّارِ سَبْعِينَ خَرِيفًا».

وقد ذهب بعض أهل العلم إلى أنه الصيام الذي يكون في أرض الجهاد، وقال بعضهم: هو كل صيام صامه العبد لله وأخلص فيه لوجه الله.

قال الحافظ: "قال بن الجوزي إذا أطلق ذكر سبيل الله فالمراد به الجهاد وقال القرطبي سبيل الله طاعة الله فالمراد من صام قاصدا وجه الله قلت ويحتمل أن يكون ما هو أعم من ذلك ثم وجدته في فوائد أبي الطاهر الذهلي من طريق عبد الله بن عبد العزيز الليثي عن المقبري عن أبي هريرة بلفظ (ما من مرابط يربط في سبيل الله فيصوم يوما في سبيل الله) الحديث وقال بن دقيق العيد العرف الأكثر استعماله في

(١) فتح الباري (٤ / ١١٠)

(٢) صحيح: رواه ابن ماجه وأحمد والنسائي والبيهقي وابن خزيمة وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب - (١ / ٢٣٨) (٩٨٢) وأصله في الصحيحين.

(٣) حسن: حسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب - (١ / ٢٣٧) (٩٨٠).

(٤) شرح النووي على مسلم (٤ / ١٥٣)

(٥) فيض القدير (٤ / ٤٤٥)

الجهاد فإن حمل عليه كانت الفضيلة لاجتماع العبادتين قال ويحتمل أن يراد بسبيل الله طاعته كيف كانت والأول أقرب.. اهـ^(١)
وقال المناوي في قوله صلى الله عليه وسلم: (من صام يوما في سبيل الله) أي لله ولوجهه أو في الغزو أو الحج اهـ^(٢)
وقد تقدم ذكر شيء من فضائل الصيام تحت عنوان اغتنام شهر رمضان.

اختصاص باب الريان للصائمين:

ومن فضائل الصيام أن في الجنة بابا يقال له باب الريان ، لا يدخل منه إلا الصائمون، والريان: مشتق من الري ، وهو ضد الظمأ، وقد جعله الله إكراما للصائمين ؛ لأنهم أظمئوا نهارهم في رمضان؛ ولأن الإنسان قد يستطيع أن يصبر على الجوع ولا يستطيع أن يصبر على العطش، فخص لهذه المزية والله أعلم.
فقد روى البخاري ومسلم عن سهل، رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: " إِنَّ فِي الْجَنَّةِ بَابًا يُقَالُ لَهُ الرِّيَّانُ، يَدْخُلُ مِنْهُ الصَّائِمُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، لَا يَدْخُلُ مِنْهُ أَحَدٌ".

قال المناوي - رحمه الله -: "وهو باب يسقى منه الصائم شرابا طهورا قبل وصوله إلى وسط الجنة ليذهب عطشه، وفيه مزيد مناسبة وكمال علاقة بالصوم، واكتفى بالري عن الشبع لدلالته عليه، أو لأنه أشق على الصائم من الجوع، وقوله: (يدخل منه) أي: إلى الجنة، وقوله: (الصائمون): يعني الذين يكثرُونَ الصوم. اهـ^(٣)

فينبغي اغتنام الصيام والإكثار منه، واجتناب ما يخدشه من المعاصي والمخالفات، فإن الأجور المترتبة عليه هي في حق من صام عن الطعام والشراب والجماع واللغو والرفث كما تقدم التنبيه على ذلك في باب اغتنام شهر رمضان المبارك.

(١) فتح الباري (٦ / ٤٨)

(٢) فيض القدير (٦ / ٢٠٩)

(٣) فيض القدير (٢ / ٥٨٨)

اغتنام الذكر

للذكر فضائل عظيمة ومزايا عديدة وأجور كثيرة، فهو حياة للقلوب، وراحة للأبدان، ومطرده للشيطان، ولولم يكن من فوائد الذكر إلا أن الله يذكر الذاكرين، ويكون معهم في كل حين، لكان كافياً، وكفى به منقبة، وأنعم بها من ممدحة، فإن الله تعالى يقول في كتابه الكريم: {فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ} [البقرة: ١٥٢].

فمن ذكر الله بقلبه ولسانه، كان الله معه بنصره وتأييده وحفظه وتسديده، ومن كان الله معه فلا خاذل له ولو اجتمع عليه من بأقطارها، فذكر الله حصن حصين من المردة والشياطين. فقد روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة، رضي الله عنه، قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: " يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَأَ خَيْرٍ مِنْهُمْ، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ بِشَيْءٍ تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا، وَإِنْ أَتَانِي يَمْسِي أَتَيْتُهُ هَرُولَةً".

فما أيسر الذكر وما أسهله على من وفقه الله له، فهو عبادة يسيرة، لا يكلف العبد جهداً، ولا مالا، ولا مشقة، ولهذا وصف الله أولي الألباب - وهم أصحاب العقول السليمة - أنهم يغتنمون ذكر الله على كل أحوالهم، حال قيامهم وقعودهم ورقودهم، قال تعالى: {إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ * الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ} [آل عمران: ١٩٠-١٩١]

فالعاقل اللبيب هو الذي لا يفتر عن ذكر ربه في كل أحواله، قائماً وقاعداً وراقداً، ويذكر الله في مدخله ومخرجه، وفي ركوبه وسفره، وعند طعامه ومرقده ونومه واستيقاظه، دائماً متصل بربه؛ لأن ناصيته بيده، فمن كان كذلك كان الله معه، وليبشر بلطفه وحفظه وفضله وكرمه سبحانه وتعالى والفوز برضاه، فالموفق من وفقه الله لذكره وشكره وحسن عبادته، و ينبغي الاعتماد في ذلك على الله وسؤاله المعونة على ذكره عملاً بقوله تعالى: {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} [الفاتحة: ٥].

فلا سبيل للعبد إلى ذلك إلا بمعونة وتوفيق من ربه، ولذلك علم النبي صلى الله عليه وسلم معاذ بن جبل رضي الله عنه أن يدعو الله في صلاته بأن يعينه على ذكره وشكره وحسن عبادته. فقد جاء من طريق عتبة بن مسلم قال حدثني أبو عبد الرحمن الحنلي عن الصنابحي عن معاذ بن جبل أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أخذ بيده وقال « يَا مُعَاذُ وَاللَّهِ إِنِّي لَأُحِبُّكَ وَاللَّهِ إِنِّي لَأُحِبُّكَ ». فَقَالَ « أَوْصِيكَ يَا مُعَاذُ لَا تَدَعَنَّ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ تَقُولُ اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ ». وَأَوْصَى بِذَلِكَ مُعَاذُ الصَّنَابِحِيَّ وَأَوْصَى بِهِ الصَّنَابِحِيُّ أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ وَأَوْصَى بِهَا أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَقَبَةَ بن مسلم. ^(١)

فالذاكر حي القلب والغافل ميت القلب، لما روى البخاري عن أبي موسى، رضي الله عنه، قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «مَثَلُ الَّذِي يَذْكُرُ رَبَّهُ وَالَّذِي لَا يَذْكُرُ رَبَّهُ، مَثَلُ الْحَيِّ وَالْمَيِّتِ» وفي رواية عند مسلم: " «مَثَلُ الْبَيْتِ الَّذِي يُذْكَرُ اللَّهُ فِيهِ وَالْبَيْتِ الَّذِي لَا يُذْكَرُ اللَّهُ فِيهِ مَثَلُ الْحَيِّ وَالْمَيِّتِ».

(١) صحيح: رواه أبو داود والنسائي واللفظ له وابن خزيمة وابن حبان والحاكم وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب - (٢ / ١١٩) (١٥٩٦).

وملازمة الذكر من أسباب النجاة من عذاب الله، لما روى الطبراني عن جابر، رضي الله عنه، رَفَعَهُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَا عَمِلَ آدَمِيُّ عَمَلًا أَنْجَى لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ» قِيلَ: وَلَا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؟ قَالَ: «وَلَا الْجِهَادُ إِلَّا أَنْ تَضْرِبَ بِسَيْفِكَ حَتَّى يَنْقُطَعَ»^(١).

- الذكر من أحب الأعمال إلى الله.

فقد روى الطبراني عن مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ - رضي الله عنه ، قَالَ: إِنَّ آخِرَ كَلَامٍ فَارَقْتُ عَلَيْهِ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ قُلْتُ: أَيُّ الْأَعْمَالِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ؟ وفي رواية: أخبرني بأفضل الأعمال وأقربها إلى الله، قَالَ: «أَنْ تَمُوتَ وَلِسَانُكَ رَطْبٌ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ»^(٢).

قال المناوي - رحمه الله - : "أي والحال أن لسانك (رطب من ذكر الله) يعني أن تلازم الذكر حتى يحضرك الموت وأنت ذاكر، فإن للذكر فوائد جليلة، وعوائد جزيلة، وتأثيرا عجيبا في انشراح الصدر ونعيم القلب، وللغفلة تأثير عجيب في ضد ذلك. قال الطيبي: ورطوبة اللسان عبارة عن سهولة جريانه كما أن يبسه عبارة عن ضده ثم إن جريان اللسان حينئذ عبارة عن إدامة الذكر". اهـ^(٣)

فحث النبي صلى الله عليه وسلم على مداومة الذكر حتى يأتي الموت، فهنيئاً لمن مات ولسانه رطب من ذكر الله، وهنيئاً لمن ختم له ب: (لا إله إلا الله).

فضل الذكر (لا إله إلا الله)

أفضل الذكر لا إله إلا الله، لما روى الترمذي عن جابر - رضي الله عنه - عن النبي صلى الله عليه وسلم قَالَ: "أفضل الذكر لا إله إلا الله وأفضل الدعاء الحمد لله"^(٤) فهنيئاً لمن مات ولسانه ذاكر لله، وهنيئاً لمن ختم له بلا إله إلا الله .
فقد روى أبو داود عن مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ - رضي الله عنه - قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم-: «مَنْ كَانَ آخِرُ كَلَامِهِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ»^(٥).

وروى البخاري ومسلم واللفظ له عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رضي الله عنه - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- قَالَ « مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. فِي يَوْمٍ مِائَةً مَرَّةً. كَانَتْ لَهُ عِدَّةٌ عَشْرَ رِقَابٍ وَكُتِبَتْ لَهُ مِائَةٌ حَسَنَةٍ وَمُحِيتَ عَنْهُ مِائَةٌ سَيِّئَةٍ وَكَانَتْ لَهُ جِزْرًا مِنَ الشَّيْطَانِ يَوْمَهُ ذَلِكَ حَتَّى يُمَسَّى وَلَمْ يَأْتِ أَحَدٌ أَفْضَلَ مِمَّا جَاءَ بِهِ إِلَّا أَحَدٌ عَمِلَ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ. وَمَنْ قَالَ سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ فِي يَوْمٍ مِائَةً مَرَّةً حُطَّتْ خَطَايَاهُ وَلَوْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ ». وقد تقدم معنى: (لا إله إلا الله).

(١) (صحيح) : صححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب - (٢ / ٩٧) (١٤٩٧) وانظر حديث رقم : (٥٦٤٤) في صحيح الجامع. وهو عند أحمد

(٢) صحيح: رواه الطبراني واليزارواين أبي الدنيا وابن حبان وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب - (٢ / ٩٦) (١٤٩٢).

(٣) فيض القدير (١ / ٢١٥)

(٤) حسن: حسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب - (٢ / ١٠٣) (١٥٢٦). ورواه الترمذي والنسائي وابن ماجه وابن حبان والحاكم والبيهقي .

(٥) (صحيح) انظر حديث رقم : (٦٤٧٩) في صحيح الجامع. وهو عند أحمد والحاكم

فضل الحوقلة: (لا حول ولا قوة إلا بالله):

روى البخاري ومسلم واللفظ لمسلم عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ - رضي الله عنه - قَالَ قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - « أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى كَلِمَةٍ مِنْ كُنُوزِ الْجَنَّةِ - أَوْ قَالَ - عَلَى كَنْزٍ مِنْ كُنُوزِ الْجَنَّةِ ». فَقُلْتُ بَلَى. فَقَالَ « لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ ».

وعن معاذ بن جبل - رضي الله عنه - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " ألا أدلك على باب من أبواب الجنة؟" قال: وما هو؟ قال: " لا حول ولا قوة إلا بالله " (١)
ومعنى (لا حول ولا قوة إلا بالله): أي لا تحوّل لي من حال إلى حال، ومن المعصية إلى الطاعة إلا بالله، ولا عصمة لي من المعصية إلا بالله، ولا قوة لي على أمور ديني ودنياي، ولا قوة لي على طاعة الله إلا بمعونة من الله.

فضل التسبيح والتحميد والتهليل والتكبير:

روى الإمام مسلم عَنْ سَمُرَةَ بِنْتِ جُنْدَبٍ - رضي الله عنه - قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - « أَحَبُّ الْكَلَامِ إِلَى اللَّهِ أَرْبَعٌ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ. لَا يَضُرُّكَ بَأْيُهُنَّ بَدَأْتَ. » الحديث.. ورواه البخاري تعليقا

وروى مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رضي الله عنه - قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: « لَأَنْ أَقُولَ سُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ ». والشمس تطلع على الدنيا بحدافيرها بما فيها من أموال وكنوز، فهؤلاء الكلمات أحب إلى نبينا صلى الله عليه وسلم من الدنيا وما فيها.

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " لقيت إبراهيم عليه السلام ليلة أسري بي فقال يا محمد أقرئ أمتك مني السلام وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة عذبة الماء وأنها قيعان وأن غراسها سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر " (٢)
وعن جابر - رضي الله عنه - عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " من قال سبحان الله العظيم وبحمده غرست له نخلة في الجنة " (٣)

ومعنى (سبحان الله) أي: تنزيهه الله عن كل عيب أو نقص.
ومعنى (الحمد لله) أي: الثناء على الله بذكر صفات الجلال والكمال والجمال، مع المحبة والتعظيم.
ومعنى (الله أكبر) أي: له صفة الكبرياء، وهو أكبر من كل شيء، وهو الكبير المتعال.

فضل الاستغفار:

من فضائل الاستغفار، أنه من أسباب مغفرة الذنوب، ونزول الغيث من السماء، وحصول البركات في الأرزاق والأولاد، ومن موانع وقوع العذاب، وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يلزم الاستغفار وقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر.
قال تعالى: {وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ} [الأنفال: ٣٣]

(١) (صحيح): رواه أحمد والطبراني والنسائي والحاكم وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٤ / ٣٢٧) (١٧٤٦).

(٢) (حسن): رواه الترمذي والطبراني في الصغير والأوسط وزاد "لا حول ولا قوة إلا بالله" وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (١ / ١٦٥).

(٣) (صحيح): رواه الترمذي واللفظ له والنسائي إلا أنه قال: " غرست له شجرة في الجنة "، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١ / ٩٥) (٦٤) (صحيح).

الترغيب والترهيب - (٢ / ١٠٧) (١٥٤٠).

وقال تعالى عن نوح عليه السلام يخاطب قومه: {فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا * يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا * وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَيَبْنِيَنَّ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا} [نوح : ١٠ ، ١٢]

وروى الإمام مسلم عن الأغر المزني - وَكَانَتْ لَهُ صُحْبَةٌ - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- قَالَ « إِنَّهُ لَيُغَانُ عَلَى قَلْبِي وَإِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ فِي الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ ».

معنى: قوله صلى الله عليه وسلم: (إنه ليغان على قلبي)

قال النووي : "قَالَ أَهْلُ اللُّغَةِ : (الْغَيْنُ) بِالْغَيْنِ الْمُعْجَمَةِ ، وَالْغَيْنُ بِمَعْنَى ، وَالْمُرَادُ هُنَا مَا يَتَغَشَّى الْقَلْبَ ، قَالَ الْقَاضِي : قِيلَ : الْمُرَادُ الْفَقْرَاتِ وَالْعَقَلَاتِ عَنِ الذَّكَرِ الَّذِي كَانَ شَأْنَهُ الدَّوَامَ عَلَيْهِ ، فَإِذَا أَفْتَرَّ عَنْهُ أَوْ غَفَلَ عَدَّ ذَلِكَ ذَنْبًا ، وَاسْتَغْفَرَ مِنْهُ.."(١)

وروى مسلم عن أبي بردة قَالَ سَمِعْتُ الْأَعْرَ وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ -صلى الله عليه وسلم- يُحَدِّثُ ابْنَ عُمَرَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- « يَا أَيُّهَا النَّاسُ ثَوْبُوا إِلَى اللَّهِ فَإِنِّي أَتُوبُ فِي الْيَوْمِ إِلَيْهِ مِائَةَ مَرَّةٍ ».

وعن ابن عمر قَالَ إِنَّ كُنَّا لَنَعُدُّ لِرَسُولِ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- فِي الْمَجْلِسِ الْوَاحِدِ مِائَةَ مَرَّةٍ « رَبِّ اغْفِرْ لِي وَتُبْ عَلَيَّ إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ »(٢)

وروى أبو داود عن بلال بن يسار بن زيد مَوْلَى النَّبِيِّ -صلى الله عليه وسلم- قَالَ سَمِعْتُ أَبِي يُحَدِّثُنِي عَنْ جَدِّي أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- يَقُولُ « مَنْ قَالَ أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ وَاتَّوْبَ إِلَيْهِ غُفِرَ لَهُ وَإِنْ كَانَ فَرًّا مِنَ الرَّحْفِ »(٣)

ومعنى(أستغفر الله)أي:أطلب من الله أن يغفر لي ذنوبي ويسترها.

الذكر أفضل من الجهاد في سبيل الله:

بين المصطفى صلى الله عليه وسلم أن الذكر أفضل من الجهاد في سبيل الله، وقد جاءت الأدلة في فضل الجهاد في سبيل الله، وما أعد الله للمجاهدين في سبيله في الجنة من المنازل الرفيعة والدرجات العالية . فقد روى الإمام أحمد عن أبي الدرداء ، رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " أَلَا أَنْبِئُكُمْ بِخَيْرٍ أَعْمَالِكُمْ، وَأَرْكَاهَا عِنْدَ مَلِيكِكُمْ، وَأَرْفَعَهَا فِي دَرَجَاتِكُمْ، وَخَيْرٌ لَكُمْ مِنْ إِعْطَاءِ الذَّهَبِ وَالْوَرَقِ، وَخَيْرٌ لَكُمْ مِنْ أَنْ تَلْقَوْا عَدُوَّكُمْ، فَتَضْرِبُوا أَعْنَاقَهُمْ وَيَضْرِبُوا أَعْنَاقَكُمْ " قَالُوا: وَذَلِكَ مَا هُوَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: " ذِكْرُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ " . قال معاذ بن جبل ما شيء أنجى من عذاب الله من ذكر الله (٤) .

وقد استشكل بعض أهل العلم ذلك ،فقالوا :كيف يكون الذكر أفضل من الجهاد، وقد جاءت أدلة كثيرة في أفضلية الجهاد في سبيل الله ؟

فمتى يكون للذكر مزية وفضل على الجهاد في سبيل الله ؟.

(١) شرح مسلم (٩ / ٦٥).

(٢) صحيح:رواه أحمد والترمذي وأبو داود وابن ماجه وصححه الألباني في صحيح أبي داود - (٥ / ٢٤٨)(١٣٥٧).

(٣) صحيح:صححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٦ / ٥٠٦)(١٧٢٧).وهو عند الترمذي

(٤) صحيح:رواه أحمد وابن أبي الدنيا والترمذي وابن ماجه والحاكم والبيهقي وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب - (٢ / ٩٦)(١٤٩٣)

،والوادي في الصحيح المسند(٢/١١٠-١٠٩)(١٠٣٨).

الجواب: يكون للذكر مزية وفضل على الجهاد، إذا تواطأ ذكر اللسان مع حضور القلب، وذلك بأن يستحضر الذاكر عظمة ربه بقلبه ويتمعن معاني الذكر الذي ينطق به لسانه.

وقد جمع الحافظ ابن حجر - رحمه الله - بين أدلة فضيلة الجهاد في سبيل الله وأدلة أفضلية ذكر الله فقال: "وَطَرِيقُ الْجَمْعِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ أَنَّ الْمُرَادَ بِذِكْرِ اللَّهِ فِي حَدِيثِ أَبِي الدَّرْدَاءِ الذِّكْرُ الْكَامِلُ، وَهُوَ مَا يَجْتَمِعُ فِيهِ ذِكْرُ اللِّسَانِ وَالْقَلْبِ بِالتَّفَكُّرِ فِي الْمَعْنَى وَاسْتِحْضَارِ عَظَمَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَأَنَّ الَّذِي يَحْصُلُ لَهُ ذَلِكَ يَكُونُ أَفْضَلَ مِمَّنْ يُقَاتِلُ الْكُفَّارَ... ثم قال: فَمَنْ اتَّفَقَ لَهُ أَنَّهُ جَمَعَ ذَلِكَ كَمَنْ يَذْكُرُ اللَّهَ بِلِسَانِهِ وَقَلْبِهِ وَاسْتِحْضَارِهِ وَكُلُّ ذَلِكَ حَالٌ صَلَاتِهِ أَوْ فِي صِيَامِهِ أَوْ تَصَدَّقِهِ أَوْ قِتَالِهِ الْكُفَّارَ مَثَلًا فَهُوَ الَّذِي بَلَغَ الْعَايَةَ الْقُصْوَى وَالْعِلْمَ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى، وَأَجَابَ الْقَاضِي أَبُو بَكْرٍ بْنُ الْعَرَبِيِّ بِأَنَّهُ مَا مِنْ عَمَلٍ صَالِحٍ إِلَّا وَالذِّكْرُ مُشْتَرِطٌ فِي تَصْحِيحِهِ فَمَنْ لَمْ يَذْكُرِ اللَّهَ بِقَلْبِهِ عِنْدَ صَدَقَتِهِ أَوْ صِيَامِهِ مَثَلًا فَلَيْسَ عَمَلُهُ كَامِلًا فَصَارَ الذِّكْرُ أَفْضَلَ الْأَعْمَالِ مِنْ هَذِهِ الْحَيِّثِيَّةِ. اهـ^(١).

فضل الذكر في الخلوات:

ويزداد أجر الذكر وفضله حال خلو العبد بربه وأنسه بذكره، فقد جاء في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ، يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: الإمام العادل... وذكر منهم: وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ". فلما كان الخالي عن الناس أبعد عن الرياء خصه هنا بالذكر.

وربما تكون الخلوة في هذا الحديث أشمل وأعم من الخلوة من أعين الناس، وهي أنه لا يلتفت إلى الخلق ولا إلى مشاغل الدنيا، وإنما يتعلق قلبه بالله فيذكر ربه فتفيض عيناه.

قال القرطبي رحمه الله في معنى: "ذكر الله خاليا ففاضت عيناه": أي خاليا من الخلق ومن الالتفات إلى غير الله، ففاضت عيناه إما خوفا من الله أو محبة وشوقا". اهـ بمعناه^(٢).

وقال العلامة العثيمين - رحمه الله -: "ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه شوقا إلى الله، وخوفا من الله، ذكر الله خاليا، ليس عنده أحد فيرائيه، ذكر الله خاليا من مشاغل الدنيا، قلب صافي ليس له تعلقات، فذكر الله سبحانه وتعالى ففاضت عيناه شوقا إلى الله سبحانه وتعالى وخوفا منه، فهذا يظله الله في ظله يوم لا ظل الا ظله" اهـ^(٣).

معية الله تعالى للذاكرين:

إن للذكر فضائل عديدة، ومناقب جزيلة في الدنيا والآخرة، أما في الدنيا فإن الله يكون مع من ذكره بالتوفيق والتسديد، والنصر والحفظ والتأييد، وأما في الآخرة فبالإثابة والمغفرة.

قال تعالى: {فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ} [البقرة: ١٥٢].

قال المفسر الطبري رحمه الله: "أي: فاذكروني أيها المؤمنون بطاعتكم إياي فيما أمركم به وفيما أنهاكم عنه، أذكركم برحمتي إياكم ومغفرتي لكم". اهـ

وتقدم حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: أَنَا عِنْدَ ظَنْ عِبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَأَ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَأَ خَيْرٍ مِنْهُمْ، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ بِشَيْءٍ تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا، وَإِنْ أَتَانِي يَمْنِي أَتَيْتُهُ هَرَوْلَةً". متفق عليه

(١) فتح الباري (١١ / ٢١٠)

(٢) انظر الديباج على مسلم - (٣ / ١١٠)

(٣) الشرح المختصر على بلوغ المرام - (٥ / ٢٢)

وقال العيني في معنى قوله تعالى في الحديث القدسي: "أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه إذا ذكرني". أي: معه بعلمه، وقيل معه بحسب ما قصد من ذكره "فإن ذكرني في نفسه" بالتنزيه والتقديس سرا ذكرته بالثواب والرحمة سرا". اهـ^(١)

وذكره الحافظ في الفتح وزاد: "قال ابن أبي جمرة: أي: اذكروني بالتعظيم أذكركم بالإنعام. اهـ^(٢). وهذا تفسير بالمقتضى، فإن الله يذكره ثم يثيبه، فلا مانع من أن الله سبحانه وتعالى يذكره في نفسه أو عند الملائكة الأعلى، ثم يثيبه بمقتضى ذلك، فإن من صفات الله تعالى، ذكره لعبده الذاكر، فإذا ذكره أثابه.

الذاكرون هم السابقون:

الذاكرون لله عز وجل هم السابقون بالدرجات العالية والنعيم المقيم في الجنة. فقد روى الإمام مسلم عن أبي هريرة، رضي الله عنه، قال: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَسِيرُ فِي طَرِيقِ مَكَّةَ فَمَرَّ عَلَى جَبَلٍ يُقَالُ لَهُ جُمْدَانُ، فَقَالَ: «سِيرُوا هَذَا جُمْدَانُ سَبَقَ الْمُفْرَدُونَ» قَالُوا: وَمَا الْمُفْرَدُونَ؟ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: «الذَّاكِرُونَ اللَّهَ كَثِيرًا، وَالذَّاكِرَاتُ».

هذا وإن الله قد أعد للذاكرين له ذكراً كثيراً مغفرة لذنوبهم وأجراً عظيماً، لا يقدر قدره ولا يعلم كثرتة إلا الله سبحانه وتعالى، قال تعالى: {إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا} [الأحزاب: ٣٥]

الذكر صدقة من لا مال له يتصدق به:

جاء فقهاء الصحابة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، يشكون الأغنياء أنهم يشاركونهم في كثير من الأعمال الصالحة إلا الصدقة فإنهم لا يجدون مالا يتصدقون به، فدلهم النبي صلى الله عليه وسلم على صدقة يتصدقون بها، هي في مقدورهم وهي ذكر الله تعالى.

فقد روى مسلم عن أبي ذرٍّ - رضي الله عنه - أَنَّ نَاسًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالُوا لِلنَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَا رَسُولَ اللَّهِ ذَهَبَ أَهْلُ الدُّنُورِ بِالْأُجُورِ يُصَلُّونَ كَمَا نُصَلِّي وَيَصُومُونَ كَمَا نَصُومُ وَيَتَصَدَّقُونَ بِفُضُولِ أَمْوَالِهِمْ. قَالَ « أَوَلَيْسَ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ مَا تَصَدَّقُونَ إِنَّ بِكُلِّ نَسِيحَةٍ صَدَقَةٌ وَكُلُّ تَكْبِيرَةٍ صَدَقَةٌ وَكُلُّ تَحْمِيدَةٍ صَدَقَةٌ وَكُلُّ تَهْلِيلَةٍ صَدَقَةٌ وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ صَدَقَةٌ وَنَهْيٌ عَنِ الْمُنْكَرِ صَدَقَةٌ وَفِي بَضْعٍ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ ». قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيَّتَى أَحَدُنَا شَهَوَتُهُ وَيَكُونُ لَهُ فِيهَا أَجْرٌ قَالَ « أَرَأَيْتُمْ لَوْ وَضَعَهَا فِي حَرَامٍ أَكَانَ عَلَيْهِ فِيهَا وَزْرٌ فَكَذَلِكَ إِذَا وَضَعَهَا فِي الْحَلَالِ كَانَ لَهُ أَجْرٌ ».

وفي هذا الحديث بين النبي صلى الله عليه وسلم أن مجرد إتيان الرجل لزوجته يكون له أجر، لأنه يعف نفسه ويعفها، ويبتغي الولد الصالح، فيبتغي احتساب ذلك.

وروى البخاري ومسلم عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أَنَّ فُقَرَاءَ الْمُهَاجِرِينَ أَتَوْا رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَقَالُوا ذَهَبَ أَهْلُ الدُّنُورِ بِالدرجاتِ العُلى والنَّعيمِ المُقيمِ. فَقَالَ « وَمَا ذَاكَ ». قَالُوا يُصَلُّونَ كَمَا نُصَلِّي وَيَصُومُونَ كَمَا نَصُومُ وَيَتَصَدَّقُونَ وَلَا نَتَصَدَّقُ وَيَعْتِقُونَ وَلَا نُعْتِقُ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - « أَفَلَا أَعْلَمُكُمْ شَيْئًا تُذَرِّكُونَ بِهِ مَنْ سَبَقَكُمْ وَتَسْبِقُونَ بِهِ مَنْ بَعْدَكُمْ وَلَا يَكُونُ أَحَدٌ أَفْضَلَ مِنْكُمْ إِلَّا مَنْ صَنَعَ مِثْلَ مَا صَنَعْتُمْ ». قَالُوا بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ « تُسَبِّحُونَ وَتُكَبِّرُونَ وَتَحْمَدُونَ ذُبْرَ كُلِّ صَلَاةٍ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ مَرَّةً ». قَالَ أَبُو صَالِحٍ فَرَجَعَ فُقَرَاءُ الْمُهَاجِرِينَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَقَالُوا سَمِعَ

(١) عمدة القاري شرح صحيح البخاري - (٣٦ / ٣٨)

(٢) فتح الباري (١٣ / ٣٨٦)

إِخْوَانُنَا أَهْلُ الْأَمْوَالِ بِمَا فَعَلْنَا فَفَعَلُوا مِثْلَهُ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- « ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ ».

وروى مسلم أيضا عن سعد - رضي الله عنه - قَالَ كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- فَقَالَ « أَبْعِزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَكْسِبَ كُلَّ يَوْمٍ أَلْفَ حَسَنَةٍ ». فَسَأَلَهُ سَائِلٌ مِنْ جُلَسَائِهِ كَيْفَ يَكْسِبُ أَحَدُنَا أَلْفَ حَسَنَةٍ قَالَ « يُسَبِّحُ مِائَةَ نَسْبِيحَةٍ فَيُكْتُبُ لَهُ أَلْفُ حَسَنَةٍ أَوْ يُحِطُّ عَنْهُ أَلْفُ خَطِيئَةٍ ».

فذكرُ الله من أيسر العبادات التي يقوم بها العبد فهو أيسر عليه من قيام الليل وجهاد الكفار ونفقة الأموال فمن عجز عن هذه الأعمال فلا يعجز عن ذكر الله تعالى. فقد روى البزار عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "من عجز منكم عن الليل أن يكابده وبخل بالمال أن ينفقه وجبن عن العدو أن يجاهده فليكثر ذكر الله" ^(١).

اغتنام الذكر في أدبار الصلوات

هناك أذكار بعد الصلوات يغفل عنها كثير من المصلين أو يتساهلون بها، وهي تجبر ما حصل من نقص في الصلاة، وبعضها من أسباب دخول الجنة، وبعضها من مكفرات الذنوب، فمنها الاستغفار وقراءة آية الكرسي، والتسبيح والتحميد والتكبير، فينبغي على العبد أن يهتمها. فقد روى الإمام مسلم عن ثوبان - رضي الله عنه - قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- إِذَا انْصَرَفَ مِنْ صَلَاتِهِ اسْتَغْفَرَ ثَلَاثًا وَقَالَ « اللَّهُمَّ أَنْتَ السَّلَامُ وَمِنْكَ السَّلَامُ تَبَارَكْتَ ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ». قَالَ الْوَلِيدُ فَقُلْتُ لِلأَوْزَاعِيِّ كَيْفَ الاسْتِغْفَارُ قَالَ تَقُولُ اسْتَغْفِرُ اللَّهَ اسْتَغْفِرُ اللَّهَ.

وعن أبي أمامة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من قرأ آية الكرسي دبر كل صلاة لم يمنعه من دخول الجنة إلا أن يموت" ^(٢).

وروى مسلم عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عَنْ رَسُولِ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- أَنَّهُ قَالَ « مَنْ سَبَّحَ اللَّهَ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ وَحَمَدَ اللَّهَ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ وَكَبَّرَ اللَّهَ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ فَتِلْكَ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ وَقَالَ تَمَامَ الْمِائَةِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ غُفِرَتْ خَطَايَاهُ وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ ».

والمراد بدبر الصلاة هنا هو بعد السلام، كما بين ابن عثيمين - رحمه الله - قال: "ماورد من الدعاء مقيدا بدبر الصلاة فهو قبل السلام، وماورد من الذكر مقيدا بدبر الصلاة فهو بعد الصلاة لقوله تعالى: { فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَادْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِكُمْ } [النساء: ١٠٣] اهـ" ^(٣).

(١) صحيح: صححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب - (٢ / ٩٦) (١٤٩٦). ورواه الطبراني والبيهقي

(٢) حسن: رواه النسائي والطبراني وابن حبان وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب - (٢ / ١١٩) (١٥٩٥) وحسنه في السلسلة الصحيحة (٢ /

٦٩٧) (٩٧٢)، وحسنه الوادعي في الصحيح المسند (١ / ٤٠٥) (٤٧٨).

(٣) كتاب الدعاء ص (٥٤)

اغتنام الصلاة على {النبي صلى الله عليه وسلم}

الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم من أعظم القربات التي يتقرب بها العبد إلى ربه ، وبها يفرج الله الكربات، ويرفع الدرجات، وينزل على العبد بسببها الرحمات ، وهي علامة على محبة العبد لنبيه صلى الله عليه وسلم، وقد أمر الله بالصلاة على نبيه، ودم النبي صلى الله عليه وسلم من لم يصل عليه. والصلاة عليه هي الثناء والدعاء، قال البخاري: "قَالَ أَبُو الْعَالِيَةِ: صَلَاةُ اللَّهِ تَنَاضُؤُهُ عَلَيْهِ عِنْدَ الْمَلَائِكَةِ وَصَلَاةُ الْمَلَائِكَةِ الدُّعَاءُ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ {يُصَلُّونَ} يُبَرِّكُونَ"، ذكره تعليقا مجزوما بصحته.

قال تعالى: { إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا } [الأحزاب : ٥٦]

قال ابن كثير : "وقال أبو عيسى الترمذي: وروى عن سفيان الثوري وغير واحد من أهل العلم قالوا: صلاة الرب: الرحمة، وصلاة الملائكة: الاستغفار... والمقصود من هذه الآية: أن الله سبحانه أخبر عباده بمنزلة عبده ونبيه عنده في الملائكة الأعلى، بأنه يثني عليه عند الملائكة المقربين، وأن الملائكة تصلي عليه. ثم أمر تعالى أهل العالم السفلي بالصلاة والتسليم عليه، ليجتمع الثناء عليه من أهل العالمين العلوي والسفلي جميعا" اهـ.

وقال السعدي : "وهذا فيه تنبيه على كمال رسول الله صلى الله عليه وسلم، ورفعة درجته، وعلو منزلته عند الله وعند خلقه، ورفع ذكره. و { إِنَّ اللَّهَ } تعالى { وَمَلَائِكَتُهُ يُصَلُّونَ } عليه، أي: يثني الله عليه بين الملائكة، وفي الملائكة الأعلى، لمحبتته تعالى له، وتثني عليه الملائكة المقربون، ويدعون له ويتضرعون. { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا } اقتداء بالله وملائكته، وجزاء له على بعض حقوقه عليكم، وتكميلا لإيمانكم، وتعظيما له صلى الله عليه وسلم، ومحبة وإكراما، وزيادة في حسناتكم، وتكفيرا من سيئاتكم" اهـ.

أحاديث في فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم:

روى الإمام مسلم عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- قَالَ « مَنْ صَلَّى عَلَى وَاحِدَةٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ عَشْرًا ».

وروى مسلم أيضا عن عبد الله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهما - أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ -صلى الله عليه وسلم- يَقُولُ « إِذَا سَمِعْتُمُ الْمُؤَذِّنَ فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا ثُمَّ سَلُوا اللَّهَ لِيَ الْوَسِيلَةَ فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِي الْجَنَّةِ لَا تَنْبَغِي إِلَّا لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ فَمَنْ سَأَلَ لِيَ الْوَسِيلَةَ حَلَّتْ لَهُ الشَّفَاعَةُ ».

وعن أوس بن أوس - رضي الله عنه - قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- « إِنَّ مِنْ أَفْضَلِ أَيَّامِكُمْ يَوْمَ الْجُمُعَةِ فِيهِ خُلِقَ آدَمُ وَفِيهِ قُبُضَ وَفِيهِ النَّفْخَةُ وَفِيهِ الصَّعْقَةُ فَأَكْثَرُوا عَلَيَّ مِنَ الصَّلَاةِ فِيهِ فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ مَعْرُوضَةٌ عَلَيَّ ». قَالَ قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَكَيْفَ تُعْرَضُ صَلَاتُنَا عَلَيْكَ وَقَدْ أَرِمْتَ يَقُولُونَ بَلَيْتَ. فَقَالَ « إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ حَرَّمَ عَلَى الْأَرْضِ أَجْسَادَ الْأَنْبِيَاءِ »^(١).

(١) صحيح: رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه وابن حبان والحاكم وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب - (١ / ١٧٠) (٦٩٦) وانظر السلسلة الصحيحة

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "ما من أحد يسلم علي إلا رد الله إلي روعي حتى أورد عليه السلام" (١)

وروى الترمذي عن أبي بن كعب - رضي الله عنه - قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا ذهب ثلثا الليل قام فقال: "يا أيها الناس اذكروا الله اذكروا الله جاءت الراجفة تتبعها الرادفة جاء الموت بما فيه جاء الموت بما فيه" قال أبي قلت يا رسول الله إنني أكثر الصلاة عليك فكم أجعل لك من صلاتي ؟ فقال: "ما شئت" قال: قلت: الربع، قال: "ما شئت فإن زدت فهو خير لك"، قلت: النصف قال: "ما شئت فإن زدت فهو خير لك" قال: قلت: فالثلثين، قال: "ما شئت فإن زدت فهو خير لك" قلت: أجعل لك صلاتي كلها، قال: "إذا تكفى همك ويغفر لك ذنبك" (٢)

وروى الترمذي عن علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "البخيل الذي من ذكرت عنده فلم يصل علي" (٣)
يؤخذ من هذا الحديث وجوب الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم عند ذكره، إضافة إلى ما تقدم من قوله تعالى: { إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا } [الأحزاب : ٥٦] فإن فيها أمر بالصلاة عليه والأمر يقتضي الوجوب.

أفضل صيغة للصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم

هناك صيغ للصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم أفضلها هي: "اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد، كما جاء ذلك مبينا في الأحاديث الشريفة.
قال السعدي عند تفسير الآية السابقة: "وأفضل هيئات الصلاة عليه عليه الصلاة والسلام، ما علم به أصحابه: "اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد" وهذا الأمر بالصلاة والسلام عليه مشروع في جميع الأوقات، وأوجه كثير من العلماء في الصلاة" اهـ

تنبيه:

كثير من الناس إذا نسي شيئا أو فائدة يبادر بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، وليس هذا موطن للصلاة عليه ولا دليل على ذلك، وإنما المشروع من الذكر عند النسيان هو ذكر الله تعالى لقوله تعالى: { وَادْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ } [الكهف : ٢٤] فيقول: (لا إله إلا الله) ونحو ذلك
قال المفسر السعدي - رحمه الله - : "ويؤخذ من عموم قوله: { وَادْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ } الأمر بذكر الله عند النسيان، فإنه يزيله، ويذكر العبد ما سها عنه، وكذلك يؤمر الساهي الناسي لذكر الله، أن يذكر ربه، ولا يكون من الغافلين" اهـ

ومنهم من إذا أعجبه شيء أو خاف العين يصلي على النبي، وهذا لا دليل عليه، إذ إن المشروع عند ذلك هو أن يقول العبد ما شاء الله، اللهم بارك، لقوله تعالى: { وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِنَّ تَرَنَّا أَقَلَّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا } [الكهف : ٣٩]

(١) حسن: رواه أحمد وأبو داود والبيهقي والطبراني وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (٣٣٨ / ٥) (٢٢٦٦)

(٢) قال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب - (٢ / ١٣٧) (١٦٧٠): حسن صحيح، وهو عند أحمد والحاكم

(٣) صحيح: صححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب - (٢ / ١٣٩) (١٦٨٣) وهو عند النسائي وابن حبان والحاكم والبراز.

قال المفسر ابن كثير - رحمه الله - : هذا تحضيض وحث على ذلك، أي: هلا إذا أعجبتك حين دخلتها ونظرت إليها حمدت الله على ما أنعم به عليك، وأعطاك من المال و الولد ما لم يعطه غيرك، وقلت: { مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ } ؛ ولهذا قال بعض السلف: من أعجبه شيء من حاله أو ماله أو ولده أو ماله، فليقل: { مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ } وهذا مأخوذ من هذه الآية الكريمة"اه.

وروى أحمد والحاكم عن سهل بن حنيف - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : "إذا رأى أحدكم من أخيه و من نفسه و من ماله ما يعجبه فليبركه ، فإن العين حق" (١) .

(١) صحيح:صححه الألباني في " السلسلة الصحيحة " (١٤٨ / ٦) (٢٥٧٢)

اغتنام تلاوة القرآن وتدبره والعمل به

إن القرآن الكريم هو خير الكلام ،لأنه كلام الرحمن ذي الجلال والإكرام،وهو الناسخ لجميع الأديان،وهو المحفوظ من التبديل والتحريف ،لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد،وهو المعجزة الخالدة ،والمتعبد بتلاوته،من قرأه فأعربه فله بكل حرف حسنة والحسنة بعشر أمثالها،ومن تمسك به نجا،ومن تخلف عنه ضل وغوى.

جعله الله هداية للناس من الضلال، وجعله نوراً للناس من الظلمات، وجعله شفاءً لهم من الأمراض والأسقام الحسية والمعنوية،و شفاءً لأمراض القلوب والأبدان، ودواءً من أمراض الشبهات والشهوات .

قال تعالى: {الم تَلِكْ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ } [لقمان: ١-٣].
وقال تعالى: {وَنَزَّلْنَا مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا} [الإسراء: ٨٢].

وقال تعالى: { وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ } [فصلت : ٤١ ، ٤٢]

وقال تعالى: " فَأَمَّا يَا تِئْتِكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيَتْهَا كَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى " [طه : ١٢٣ - ١٢٦].

قال كثير من المفسرين: الهدى والذكر في هاتين الآيتين هما: القرآن الكريم.

وقال المفسر الطبري - رحمه الله - : "هذه آيات الكتاب بيانا ورحمة من الله ، رحم به من اتبعه وعمل به من خلقه، وقوله: " للمحسنين " وهم الذين أحسنوا في العمل بما أنزل الله في هذا القرآن يقول تعالى ذكره: هذا الكتاب الحكيم هدى ورحمة للذين أحسنوا فعملوا بما فيه من أمر الله ونهيه. اهـ

وقال العلامة المفسر السعدي - رحمه الله - : "فالقرآن مشتمل على الشفاء والرحمة، وليس ذلك لكل أحد، وإنما ذلك للمؤمنين به، المصدقين بآياته، العاملين به، وأما الظالمون بعدم التصديق به أو عدم العمل به، فلا تزيدهم آياته إلا خساراً، إذ به تقوم عليهم الحجة، فالشفاء الذي تضمنه القرآن عام لشفاء القلوب، من الشبه، والجهالة، والآراء الفاسدة، والانحراف السيئ، والقصود السيئة. فإنه مشتمل على العلم اليقيني، الذي تزول به كل شبهة وجهالة، والوعظ والتذكير، الذي يزول به كل شهوة تخالف أمر الله، ولشفاء الأبدان من آلامها وأسقامها. وأما الرحمة، فإن ما فيه من الأسباب والوسائل التي يحث عليها، متى فعلها العبد فاز بالرحمة والسعادة الأبدية، والثواب العاجل والآجل". اهـ.

فضل تلاوة القرآن الكريم:

يقول ربنا تبارك وتعالى في كتابه الكريم: {إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ * لِيُوفِّيَهُمْ أَجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ } [فاطر: ٢٩] .

وعد الله سبحانه وتعالى التالين لكتابه العاملين به بالتجارة الرباحة والأجور العظيمة والمزيد من فضله.

قال المفسر ابن كثير - رحمه الله - : " يُخْبِرُ تَعَالَى عَنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَهُ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَعْمَلُونَ بِمَا فِيهِ، مِنْ إِقَامِ الصَّلَاةِ، وَالْإِنْفَاقِ مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ فِي الْأَوْقَاتِ الْمَشْرُوعَةِ لَيْلًا وَنَهَارًا، سِرًّا وَعَلَانِيَةً، {يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ} أَي: يَرْجُونَ ثَوَابًا عِنْدَ اللَّهِ لَا يَدُّ مِنْ حُصُولِهِ. كَمَا قَدَّمْنَا فِي أَوَّلِ التَّفْسِيرِ عِنْدَ فَضَائِلِ الْقُرْآنِ أَنَّهُ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ: "إِنَّ كُلَّ تَاجِرٍ مِنْ وَرَاءِ تِجَارَتِهِ، وَإِنَّكَ الْيَوْمَ مِنْ وَرَاءِ كُلِّ

تَجَارَةً"؛ وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: {لِيُؤْفِقَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ} أَي: لِيُؤْفِقَهُمْ ثَوَابَ مَا فَعَلُوهُ وَيُضَاعِفَهُ لَهُمْ بِنِزَادَاتٍ لَمْ تَخْطُرْ لَهُمْ. اهـ.

وأهل القرآن الحافظون له، العاملون به، القارئون له، غير الغالين فيه، ولا الجافين عنه، هم أهل الله وخاصته.

فقد روى النسائي عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: "إِنَّ لِلَّهِ أَهْلِينَ مِنَ النَّاسِ. قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَنْ هُمْ؟ قَالَ: "هُمُ أَهْلُ الْقُرْآنِ، أَهْلُ اللَّهِ وَخَاصَّتُهُ"^(١) قال المنائي - رحمه الله -: أي خاصته وأحبائه من خلقه الداخلين في حزبه {أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمَفْلُحُونَ} اهـ.^(٢)

وأهل القرآن هم خير الناس وأكرمهم على الله، لشرف ما يحملونه، إذا كانوا به يعملون، وإليه يدعون، فقد روى البخاري عَنْ عُثْمَانَ، رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ» وفي رواية: «إِنَّ أَفْضَلَكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ». فمن جمع بين العلم والتعليم لكتاب الله، فهو خير الناس بنص هذا الحديث وقد حاز الخير كله.

وقراءة القرآن من أفضل الأعمال وأكثرها أجرا لما ثبت عند الإمام مسلم عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ، رضي الله عنه، قَالَ: خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَنَحْنُ فِي الصُّفَّةِ، فَقَالَ: «أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنْ يَغْدُوَ كُلَّ يَوْمٍ إِلَى بُطْحَانَ، أَوْ إِلَى الْعَقِيقِ، فَيَأْتِيَ مِنْهُ بِنَاقَتَيْنِ كَوْمَاوَيْنِ فِي غَيْرِ إِثْمٍ، وَلَا قَطْعِ رَحِمٍ؟»، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ نُحِبُّ ذَلِكَ، قَالَ: «أَفَلَا يَغْدُو أَحَدُكُمْ إِلَى الْمَسْجِدِ فَيَعْلَمُ، أَوْ يَقْرَأُ آيَتَيْنِ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، خَيْرٌ لَهُ مِنْ نَاقَتَيْنِ، وَثَلَاثَ خَيْرٌ لَهُ مِنْ ثَلَاثٍ، وَأَرْبَعٌ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَرْبَعٍ، وَمِنْ أَعْدَائِهِنَّ مِنَ الْإِبِلِ». ومعنى كوماوين: أي عظيما السنام.

وروى الترمذي عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ، وَالْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، لَا أَقُولُ الْم حَرْفٌ، وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ وَلَا م حَرْفٌ وَمِيمٌ حَرْفٌ"^(٣).

بعض المحدثين من يرى وقفه على ابن مسعود، لكن له حكم الرفع. ومن فضائل القرآن، أن الأجور تضاعف لصاحبه ويرفع به في الجنة درجات، فقد روى الترمذي عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، رضي الله عنهما، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: يُقَالُ، يَعْني لِصَاحِبِ الْقُرْآنِ،: "أَقْرَأُ وَارْتَقَى وَرَتَّلَ كَمَا كُنْتَ تُرْتِّلُ فِي الدُّنْيَا، فَإِنَّ مَنْزِلَتَكَ عِنْدَ آخِرِ آيَةٍ تَقْرَأُ بِهَا"^(٤) بمعنى أن الجنة درجات، فبقدر القراءة من آيات الله تكون الدرجة في الجنة، فيرتفع القارئ درجات في الجنة بقدر قراءته، وقد قال بعض أهل العلم: إن عدد درجات الجنة على عدد آيات القرآن الكريم، فمن قرأ ثلث القرآن كان على الثلث من درجة الجنة، ومن قرأ نصفه، كان على النصف من درجة الجنة، ومن قرأ القرآن كله كان في عاليه، لم يكن فوقه أحد إلا نبي أو صديق أو شهيد. اهـ ذكره ابن بطال والخطابي رحمهما الله تعالى.^(٥)

(١) صحيح: صححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب - (٢ / ٨٠) (١٤٣٢)، والوادعي في الصحيح المسند (٧٥/١) (٧٧). وهو عند أحمد والبخاري

والطيالسي وابن ماجه والحاكم

(٢) فيض القدير شرح الجامع الصغير - (٢ / ٥٨٣)

(٣) صحيح: صححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب - (٢ / ٧٧) (١٤١٦) وانظر السلسلة الصحيحة (٢ / ٢٦٧) (٣٣٢٧). وهو عند البخاري في التاريخ

والحاكم والدارمي

(٤) صحيح: صححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب - (٢ / ٧٩) (١٤٢٦) وقال: حسن صحيح، وهو عند أبي داود والنسائي وأحمد وابن ماجه وابن

حيان.

(٥) انظر شرح صحيح البخاري - لابن بطال - (١٠ / ٢٥٧)

القرآن يشفع لأصحابه يوم القيامة:

ويأتي القرآن يوم القيامة يشفع لأصحابه لما روى الإمام مسلم - رحمه الله - عن أبي أمامة الباهلي - رضي الله عنه - قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «أَقْرَأُوا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لِأَصْحَابِهِ، أَقْرَأُوا الزَّهْرَاوِينَ الْبَقَرَةَ، وَسُورَةَ آلِ عِمْرَانَ، فَإِنَّهُمَا تَأْتِيَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَانِ، أَوْ كَأَنَّهُمَا غَيَاتَانِ، أَوْ كَأَنَّهُمَا فِرْقَانِ مِنْ طَيْرٍ صَوَافٍ، تُحَاجَّانِ عَنْ أَصْحَابِهِمَا، أَقْرَأُوا سُورَةَ الْبَقَرَةِ، فَإِنْ أَخَذَهَا بَرَكَةٌ، وَتَرَكَهَا حَسْرَةٌ، وَلَا تَسْتَطِيعُهَا الْبَطْلَةُ». قَالَ مُعَاوِيَةُ: بَلَّغْنِي أَنَّ الْبَطْلَةَ: السَّحَرَةُ.

ومعنى: "غياتان": أي سحابة أو غشاية تظل الإنسان. و"فرقان من طير صواف": أي قطيعان وجماعتان. "تحاجان عن أصحابهما": أي تدفعان الجحيم والزبانية.

وخلاصة معنى الحديث، أن القرآن الكريم يشفع لصاحبه، لا سيما البقرة وآل عمران، فإن ثوابهما يأتي كالغمامتين، وسميتا بالزهرراوين لنورهما وهدايتهما وعظيم أجرهما.

وروى الإمام أحمد عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو - رضي الله عنهما - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "الصِّيَامُ وَالْقُرْآنُ يَشْفَعَانِ لِلْعَبْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يَقُولُ الصِّيَامُ: أَيْ رَبِّ، مَنَعْتُهُ الطَّعَامَ وَالشَّهَوَاتِ بِالنَّهَارِ، فَشَفَعْنِي فِيهِ، وَيَقُولُ الْقُرْآنُ: مَنَعْتُهُ النَّوْمَ بِاللَّيْلِ، فَشَفَعْنِي فِيهِ، قَالَ: فَيُشَفَّعَانِ" (١).

وهذه الشفاعة تكون في حق من كان من أهله تلاوة وعملا وتديرا ودعوة، بغير جفا ولا مغالاة، ولا هجر ولا رياء، لما ثبت عند ابن حبان عن جَابِرٍ - رضي الله عنه - عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "القرآن شافع مشفع وماحل مُصَدِّقٌ مَنْ جَعَلَهُ إِمَامَةً قَادَهُ إِلَى الْجَنَّةِ وَمَنْ جَعَلَهُ خَلْفَ ظَهْرِهِ سَاقَهُ إِلَى النَّارِ" (٢). وفي رواية: "مَنْ جَعَلَهُ إِمَامَةً قَادَهُ إِلَى الْجَنَّةِ بِكسر الهمزة في (إمامه) وهي صحيحة والمعنى متقارب.

ويفسره حديث أبي مالك الأشعري عند الإمام مسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "والقرآن حجة لك أو عليك".

قال العلامة العثيمين رحمه الله: "يكون القرآن لك إذا توصلت به إلى الله وقمت بواجب هذا القرآن العظيم من التصديق بالأخبار وامتثال الأوامر واجتناب النواهي وتعظيمه واحترامه، وأما إن كان العكس أهنت القرآن وهجرته لفظا ومعنى وعملا ولم تقم بواجبه فإنه يكون شاهدا عليك يوم القيامة ولم يذكر النبي صلى الله عليه وسلم مرتبة بين المرتبتين لم يقل: لا لك ولا عليك لأنه لا بد أن يكون إما لك أو عليك على كل حال فنسأل الله أن يجعله لنا جميعا حجة نهتدي به في الدنيا والآخرة إنه جواد كريم". اهـ (٣)

أهل القرآن هم القانتون والمقنطرون:

من قام بالقرآن سلم من الغفلة وكان من القانتين، أو كتب من المقنطرين. فقد روى الحاكم عن أَبِي هُرَيْرَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ قَرَأَ عَشْرَ آيَاتٍ فِي لَيْلَةٍ لَمْ يَكُتَبْ مِنَ الْغَافِلِينَ» (٤).

وروى ابن خزيمة عن أَبِي هُرَيْرَةَ - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ حَافَظَ عَلَى هَؤُلَاءِ الصَّلَوَاتِ الْمَكْتُوباتِ لَمْ يَكُتَبْ مِنَ الْغَافِلِينَ، وَمَنْ قَرَأَ فِي لَيْلَةٍ مِائَةَ آيَةٍ لَمْ يَكُتَبْ مِنَ الْغَافِلِينَ، أَوْ كُتِبَ مِنَ الْقَانِتِينَ» (٥).

(١) صحيح: صححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب - (١ / ٢٣٨) (٩٨٤) وهو عند ابن أبي الدنيا في كتاب الجوع والطبراني في الكبير والحاكم .

(٢) صحيح: صححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٥ / ٣١) (٢٠١٩) وعند الطبراني والبيهقي.

(٣) شرح رياض الصالحين - (١ / ٣٠)

(٤) صحيح: صححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب - (٢ / ٨١) (١٤٣٦).

(٥) صحيح: صححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢ / ٢٦٣) (٦٥٧) وهو عند الحاكم.

وعند أبي داود عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ - رضي الله عنهما - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "من قام بعشر آيات لم يُكْتَبْ من الغافلين، ومن قام بمائة آية كُتِبَ من القانتين، ومن قام بألف آية كُتِبَ من الْمُقْتَرِينَ"^(١) والفنطار: هو الأموال الكثيرة، والمقصود منه هو الكناية عن كثرة الأجور.

تدبر القرآن الكريم:

إن التلاوة التي ينتفع بها العبد هي التلاوة بتدبر المعاني وحضور القلب، قال سبحانه وتعالى: {كَتَّابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ} [ص: ٢٩] قال المفسر السعدي رحمه الله: "أي: هذه الحكمة من إنزاله، ليتدبر الناس آياته، فيستخرجوا علمها ويتأملوا أسرارها وحكمها، فإنه بالتدبر فيه والتأمل لمعانيه، وإعادة الفكر فيها مرة بعد مرة، تدرك بركته وخيره، وهذا يدل على الحث على تدبر القرآن، وأنه من أفضل الأعمال، وأن القراءة المشتملة على التدبر أفضل من سرعة التلاوة التي لا يحصل بها هذا المقصود. {وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ} أي: أولو العقول الصحيحة، يتذكرون بتدبرهم لها كل علم ومطلوب، فدل هذا على أنه بحسب لب الإنسان وعقله يحصل له التذكر والانتفاع بهذا الكتاب... وقال: ومن سبل ذلك التدبر، والفهم: النظر فيما كتب أهل العلم في تفسير القرآن العظيم". اهـ

أي من الطرق لمعرفة معاني القرآن وتدبره: النظر في كتب التفسير المعتمدة في تفسير القرآن الكريم، كتفسير ابن كثير والطبري والبخاري والسعدي.

فمن لا يتدبر القرآن لا يخرج بكبير نفع ولا كبير فائدة، ولهذا توعده الله الذين لا يتدبرون القرآن الكريم فقال: {أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا} [محمد: ٢٤].

قال السعدي رحمه الله: أي: قد أغلق على ما فيها من الشر وأقفلت، فلا يدخلها خير أبداً؟ هذا هو الواقع. اهـ.

فإن عدم تدبره نوع من هجره، ومن هجره ترك قراءته، وعدم الاستماع له، وترك العمل به، وعدم التحاكم إليه، وعدم تعلمه، وعدم حفظه، فكل هذا من هجر القرآن الكريم.

قال تعالى: {وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا} [الفرقان: ٣٠] يشكو نبينا صلى الله عليه وسلم إلى ربه من هجر قومه للقرآن.

قال المفسر ابن كثير رحمه الله في تفسير هذه الآية: "وَذَلِكَ أَنَّ الْمُشْرِكِينَ كَانُوا لَا يُصْغُونَ لِلْقُرْآنِ وَلَا يَسْمَعُونَهُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: {وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ} [فصلت: ٢٦] وَكَانُوا إِذَا ثَلَّى عَلَيْهِمُ الْقُرْآنَ أَكْثَرُوا اللَّعْنَ وَالْكَلَامَ فِي غَيْرِهِ، حَتَّى لَا يَسْمَعُوهُ. فَهَذَا مِنْ هُجْرَانِهِ، وَتَرْكُ عِلْمِهِ وَحِفْظِهِ أَيْضًا مِنْ هُجْرَانِهِ، وَتَرْكُ الْإِيمَانِ بِهِ وَتَصْدِيقِهِ مِنْ هُجْرَانِهِ، وَتَرْكُ تَذَبُّرِهِ وَتَفْهَمِهِ مِنْ هُجْرَانِهِ، وَتَرْكُ الْعَمَلِ بِهِ وَامْتِنَالِ أَمْرِهِ وَاجْتِنَابِ زَوَاجِرِهِ مِنْ هُجْرَانِهِ، وَالْعُدُولُ عَنْهُ إِلَى غَيْرِهِ مِنْ شَعْرِ أَوْ قَوْلٍ أَوْ غِنَاءٍ أَوْ لَهْوٍ أَوْ كَلَامٍ أَوْ طَرِيقَةٍ مَأْخُودَةٍ مِنْ غَيْرِهِ - مِنْ هُجْرَانِهِ، فَتَسْأَلُ اللَّهُ الْكَرِيمَ الْمَنَانَ الْقَادِرَ عَلَى مَا يَشَاءُ، أَنْ يُخَلِّصَنَا مِمَّا يُسْخِطُهُ، وَيَسْتَعْمِلَنَا فِيمَا يُرْضِيهِ، مِنْ حِفْظِ كِتَابِهِ وَفَهْمِهِ، وَالْقِيَامِ بِمُقْتَضَاهُ آنَاءَ اللَّيْلِ وَأَطْرَافِ النَّهَارِ، عَلَى الْوَجْهِ الَّذِي يُحِبُّهُ وَيَرْضَاهُ، إِنَّهُ كَرِيمٌ وَهَّابٌ". اهـ

القرآن الكريم شرف ورفعة لأصحابه:

القرآن الكريم هداية وموعظة ورحمة وشفاء ورفعة، فإذا أراد المسلم أن يرفعه الله في الدنيا والآخرة، فعليه بكتاب الله تلاوة وتدبرا وعملا ودعوة، قال سبحانه وتعالى: {لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ} [الأنبياء: ١٠]

(١) صحيح: صححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢ / ٢٤٤) (٦٤٢) وهو عند ابن خزيمة وابن حبان.

أي: فيه شرفكم ورفعتكم إن كنتم من أهله، وسوف يسألكم عنه، قال تعالى: {وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ} [الزخرف: ٤٤].

والله يرفع بالقرآن أقواما ويضع به آخرين.

فقد روى الإمام مسلم أن نافع بن عبد الحارث، لقي عمر بن الخطاب، وكان عمر يستعمله على مكة، فقال: من استعملت على أهل الوادي، فقال: ابن أبي، قال: ومن ابن أبي؟ قال: مولى من موالينا، قال: فاستخلفت عليهم مولى؟ قال: إنه قارئ لكتاب الله عز وجل، وإنه عالم بالفرائض، قال عمر: أما إن نبيكم صلى الله عليه وسلم قد قال: «إِنَّ اللَّهَ يَرْفَعُ بِهِذَا الْكِتَابِ أَقْوَامًا، وَيَضَعُ بِهِ آخَرِينَ».

قال العلامة العثيمين - رحمه الله -: "معناه أن هذا القرآن يأخذه أناس يتلونه ويقرؤونه فمنهم من يرفعه الله به في الدنيا والآخرة، فمن هذا؟ ومن هذا؟ من عمل بهذا القرآن تصديقا بأخباره وتنفيذا لأوامره واجتناباً لنواهيه واهتداءً بهديه وتخلقا بما جاء به من أخلاق فإن الله يرفعه في الدنيا والآخرة.. وأما الذين يضعهم الله به فقوم يقرؤونه ويحسنون قراءته لكنهم يستكبرون عنه والعياذ بالله لا يصدقون بأخباره ولا يعملون بأحكامه يستكبرون عنه عملاً ويجحدونه خبراً، إذا جاءهم شيء عن القرآن صاروا والعياذ بالله يشككون في ذلك ولا يؤمنون.. مرتابون والعياذ بالله مع أنهم يقرؤون القرآن وفي الأحكام يستكبرون لا يأترون بأمره ولا ينتهون بنهيهِ هؤلاء والعياذ بالله يضعهم الله في الدنيا والآخرة ولا بد أن يكون أمرهم خساراً حتى وإن دانت لهم الدنيا وتزخرفت فإنما هو استدراج ومآلهم إلى الخسارة. اهـ^(١).

قراءة القرآن وتدبره والعمل به من أسباب الثبات على دين الله

قال تعالى: {وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ} [هود: ١٢٠]

وقال تعالى: {وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا} [الفرقان: ٣٢]

قال المفسر السعدي: "... {كَذَلِكَ} أنزلناه متفرقا {لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ} لأنه كلما نزل عليه شيء من القرآن ازداد طمأنينة وثباتاً وخصوصاً عند ورود أسباب القلق فإن نزول القرآن عند حدوث السبب يكون له موقع عظيم وتثبيت كثير أبلغ مما لو كان نازلاً قبل ذلك ثم تذكره عند حلول سببه" اهـ.

كل إنسان مسؤول عن القرآن:

وسيسأل كل عبد في قبره ويوم القيامة عن هذا الكتاب العظيم، فهو من ضمن أسئلة منكر ونكير في القبر: وذلك أنهما يسألان العبد: "من ربك؟ من نبيك؟ ما دينك؟ ما علمك؟" فيسألانه عن كتاب الله فيقولان له: "...وما علمك؟" وفي رواية: "ما علمك؟" فالمؤمن يقول: "كتاب الله قرأته وآمنت به وصدقت"^(٢).

وروى مسلم عن أبي مالك الأشعري - رضي الله عنه - أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "والقرآن حجة لك أو عليك".

(١) شرح رياض الصالحين - (١ / ١٤٥)

(٢) صحيح: صححه الألباني والوادي وهو عند الإمام أحمد وأبي بكر ابن أبي شيبة من حديث البراء بن عازب الطويل.

اغتنام اتباع الجنائز

اتباع جنازة المسلم واجبة على المسلم، وهي فرض كفائي، إذا قام به البعض سقط عن الآخرين، لكن لا ينبغي التفريط فيها، فقد رتب الله على اتباع الجنائز أجورا عظيمة كالجبال .
فقد روى البخاري ومسلم واللفظ للبخاري عن أبي هريرة ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : "حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ خَمْسُ رُدِّ السَّلَامِ وَعِيَادَةُ الْمَرِيضِ وَاتِّبَاعُ الْجَنَائِزِ وَإِجَابَةُ الدَّعْوَةِ وَتَشْمِيتُ الْعَاطِسِ".

وروى البخاري ومسلم أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ - رضي الله عنه - قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- « مَنْ شَهِدَ الْجَنَازَةَ حَتَّى يُصَلِّيَ عَلَيْهَا فَلَهُ قِيرَاطٌ وَمَنْ شَهِدَهَا حَتَّى تُدْفَنَ فَلَهُ قِيرَاطَانِ ». قِيلَ وَمَا الْقِيرَاطَانِ قَالَ « مِثْلُ الْجَبَلَيْنِ الْعَظِيمَيْنِ ». وزاد مسلم: "وَكَانَ ابْنُ عَمَرَ يُصَلِّي عَلَيْهَا ثُمَّ يَنْصَرِفُ فَلَمَّا بَلَغَهُ حَدِيثُ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ لَقَدْ ضَيَعْنَا قَرَارِيطَ كَثِيرَةٍ".

وإذا توافق اتباع الجنازة مع الصيام والصدقة وزيارة المريض في يوم واحد، دخل العبد الجنة.

فقد روى مسلم أيضا عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رضي الله عنه - قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- « مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ صَائِمًا ». قَالَ أَبُو بَكْرٍ أَنَا. قَالَ « فَمَنْ تَبَعَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ جَنَازَةً ». قَالَ أَبُو بَكْرٍ أَنَا. قَالَ « فَمَنْ أَطْعَمَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ مِسْكِينًا ». قَالَ أَبُو بَكْرٍ أَنَا. قَالَ « فَمَنْ عَادَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ مَرِيضًا ». قَالَ أَبُو بَكْرٍ أَنَا. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- « مَا اجْتَمَعَ فِي امْرِئٍ إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ ».

اغتنام النوافل

ينبغي على العبد أن يحافظ على النوافل ،وهي العبادات المستحبة،كنوافل الصلاة والصيام والحج والعمرة والصدقة وغير ذلك ،فإنها من أسباب محبة الله للعبد ،وتجبر النقص في الفرائض ،وتزيد في درجات العبد ،وتكفر من سيئاته،ومن أسباب تسديد العبد وتوفيقه ،وإجابة دعائه.

فقد روى البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رضي الله عنه - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : "إِنَّ اللَّهَ قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا وَإِنْ سَأَلَنِي لِأَعْطِيَنَّهُ وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لِأَعِذَنَّهُ وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدَّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ".

اغتنام بر الوالدين

أوصى الله بالوالدين خيرا ، وجعل حقهما بعد حقه في كثير من الآيات ، لعظم حقهما على الولد؛ لأنهما أقرب الناس إليه ، وهما السبب في وجوده، ولأن طاعتهما من طاعة الله، ومعصيتهما من معصيته، ورتب الله أجورا عظيمة على برهما والقيام بحقوقهما، بل طاعة الوالدين من أسباب دخول الجنة، وتوعد على عقوقهما وجعل ذلك من أكبر الكبائر.

قال تعالى: {وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا} [النساء : ٣٦]

وقال تعالى: {وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا} [الإسراء: ٢٣]

وقال تعالى: {وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ} [الأحقاف : ١٥]

بر الوالدين من أسباب دخول الجنة:

طاعة الوالدين من أسباب دخول الجنة، بل من أحسن وأوسط أبواب الجنة، فقد روى ابن ماجه عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ، رضي الله عنه ، أنه سَمِعَ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَقُولُ: "الْوَالِدُ أَوْسَطُ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ" فَأَضِعَ ذَلِكَ الْبَابَ أَوْ أَحْفَظَهُ^(١)

ومعنى أوسط أبواب الجنة أي أحسنها وأعدلها.

وقد دعا النبي صلى الله عليه وسلم على من أدرك أبويه فلم يدخل الجنة بسببهما، فقد روى الإمام مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «رَغِمَ أَنْفٌ، ثُمَّ رَغِمَ أَنْفٌ، ثُمَّ رَغِمَ أَنْفٌ»، قِيلَ: مَنْ؟ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: «مَنْ أَدْرَكَ أَبَوَيْهِ عِنْدَ الْكِبَرِ، أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَيْهِمَا فَلَمْ يَدْخُلِ الْجَنَّةَ» ومعنى رَغِمَ أَنْفٌ أي: دس في التراب.

بر الوالدين من أعظم الجهاد:

طاعة الوالدين مقدمة على الهجرة والجهاد في سبيل الله ففي الصحيحين عن ابن مسعود- رضي الله عنه قال: سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَيُّ الْأَعْمَالِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ؟ قَالَ: «الصَّلَاةُ عَلَى وَفْتِهَا» قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: «ثُمَّ بَرُّ الْوَالِدَيْنِ» قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: «ثُمَّ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ»

فقدّم النبي صلى الله عليه وسلم بر الوالدين على الجهاد في سبيل الله !

بل إن طاعة الوالدين من الجهاد، لما جاء في الصحيحين عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَاسْتَأْذَنَهُ فِي الْجِهَادِ، فَقَالَ: «أَحْيِ وَالِدَاكَ؟»، قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: «فَفِيهِمَا فَجَاهِدْ»

وفي رواية لمسلم: قَالَ: "أَقْبَلَ رَجُلٌ إِلَى نَبِيِّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: أَبَايُكَ عَلَى الْهَجْرَةِ وَالْجِهَادِ، أَبْتِغِي الْأَجْرَ مِنَ اللَّهِ، قَالَ: «فَهَلْ مِنْ وَالِدَيْكَ أَحَدٌ حَيٌّ؟» قَالَ: نَعَمْ، بَلْ كِلَاهُمَا، قَالَ: «فَتَبْتَغِي الْأَجْرَ مِنَ اللَّهِ؟» قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: «فَارْجِعْ إِلَى وَالِدَيْكَ فَأَحْسِنْ صُحْبَتَهُمَا»

وروى أبو داود عن عبد الله بن عمرو بن العاص، رضي الله عنهما، قال: جاء رجل إلى رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال: جئتُ أَبَايُكَ عَلَى الْهَجْرَةِ، وتركتُ أبويَّ يبيكان، فقال: "ارجع إليهما فَأُضَحِّكُهُمَا كَمَا أَبْكَيْتَهُمَا"^(٢)

(١) صحيح: رواه أحمد والترمذي والبيهقي والحاكم، وابن ماجه، وصححه الألباني. في السلسلة الصحيحة (٢ / ٦١٨) (٩١٤)

(٢) صحيح: صححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب - (٢ / ٣٢٦) (٢٤٨١) وهو عند أحمد وابن ماجه والبخاري وابن حبان

فيستفاد من هذه الأحاديث أنه لا يشرع للعبد أن يذهب إلى الجهاد إلا بعد إذن الوالدين، وعدم حاجتهما إليه، إلا إذا كان الجهاد فرض عين فإنه مقدم على طاعتهما.

تأكيد حق الأم:

وجعل النبي صلى الله عليه وسلم حق الأم أكد لضعفها ولأنها تتحمل أعباء الولد أكثر من الأب . قال تعالى: {وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ} [لقمان: ١٤]

وروى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، من أحق الناس بحسن صحابتي؟ قال: «أُمُّكَ» قال: ثم من؟ قال: «ثُمَّ أُمُّكَ» قال: ثم من؟ قال: «ثُمَّ أَبُوكَ»

أكد على حق الأم ثلاث مرات لأنها حملته وهنا على وهن، فمرت بمشقة الحمل، ثم مشقة الولادة، ثم مشقة الرضاعة، ثم تمر بمراحل أخرى، في إطعامه وتنظيفه وإصلاح أموره، ومداواته وتربيته حتى يكبر، وتشفق عليه أكثر من الأب، فينبغي رد الجميل بأحسن فهل جزاء الإحسان إلا الإحسان؟

وعن معاوية بن جاهمة أن جاهمة جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله أردت أن أغزو وقد جئت أستشيرك فقال: "هل لك من أم؟" قال نعم، قال: "فالزمها فإن الجنة عند رجليها" (١) ورواه الطبراني بإسناد جيد ولفظه: قال أتيت النبي صلى الله عليه وسلم أستشيره في الجهاد فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "ألك والدان؟" قلت: نعم، قال: "الزمهما فإن الجنة تحت أرجلهما" (٢)

تأكيد بر الوالدين عند الكبر:

أكد الشرع على حق الوالدين عند الكبر أكثر، وذلك لحاجة الوالدين في هذه المرحلة لمزيد من العناية، لضعفهما وحاجتهما إلى الولد أكثر ويحتاجان إلى صبر أشد في هذا السن لاسيما إذا وصلا إلى مرحلة الهرم والخرف، فيحتاج العبد مزيدا من الصبر والمجاهدة لنفسه وتحمل أعبائهما، والقيام بحقهما، وحسن الرعاية لهما، قال تعالى: {وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أَفْ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا * وَخَفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا} [الإسراء: ٢٣-٢٤]

فمن اعتنى بهما في هذه المرحلة أكثر كان له من الأجور أكثر ولهذا خصهما الله في هذه المرحلة بالذكر بقوله: {إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا}

ويجب طاعة الوالدين حتى وإن كانا كافرين، إلا إذا أمرا بمعصية فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، قال تعالى: {وَإِنْ جَاهِدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} [لقمان: ١٥]

وروى البخاري ومسلم عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما، قالت: قدمت علي أمي وهي مشركة في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فاستنقذت رسول الله صلى الله عليه وسلم، قلت: وهي راغبة، أفأصل أمي؟ قال: «نعم صلي أمك».

فينبغي اغتنام زمن الوالدين قبل وفاتهما، فبعض الناس ما ينتبه لهذه الفرصة إلا بعد فواتها، فيتحسروا ويندم على تقصيره في حقهما، ويتمنى لو أنه أحسن إليهما قبل وفاتهما، كما تقدم من حديث أبي هريرة رضي

(١) صحيح: رواه ابن ماجه والنسائي واللفظ له والحاكم وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب - (٢ / ٣٢٧) (٢٤٨٥) (حسن صحيح)

(٢) صحيح: قال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب - (٢ / ٣٢٧) (٢٤٨٥) (حسن صحيح)

الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «رَغِمَ أَنْفُ، ثُمَّ رَغِمَ أَنْفُ، ثُمَّ رَغِمَ أَنْفُ»، قِيلَ: مَنْ؟ يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: «مَنْ أَدْرَكَ أَبَوَيْهِ عِنْدَ الْكِبَرِ، أَحَدَهُمَا أَوْ كِلَيْهِمَا فَلَمْ يَدْخُلِ الْجَنَّةَ» رواه مسلم فالوالدان نور للولد ودعاؤهما غنيمة له لمن كان له عقل سليم.

وذكر عن بعض السلف أنه لما ماتت أمه وقد كبرت في السن بكى، فقيل له أتبكي؟ قال: لقد أغلق اليوم علي باب من أبواب الجنة! اه بمعناه

اغتنام صلة الأرحام

الأرحام هم الأقارب من جهة الوالدين وإن علوا، ومن جهة الأولاد وإن نزلوا، ذكورا كانوا أو إناثا، والإناث أشد حاجة إلى الصلة لضعفهن .

وهم :الإخوة والأخوات، والأجداد والجندات، والأعمام والعمات، والأخوال والخالات، والأبناء والبنات وأولادهم. فقد أمر الله بصلتهم، ويكون ذلك بزيارتهم، ومواساتهم وإعانتهم، والاتصال بهم، فإن لم يجد ما يصلهم به فبالكلمة الطيبة، فقد رتب الله على صلتهم أجورا عظيمة، ومنافع دنيوية، وتوعد على قطيعتهم وهجرهم بالعقوبة العاجلة والآجلة، وجعلها من كبائر الذنوب.

فمن وصلهم وصله الله بخيره وبره وإحسانه، وبارك له في رزقه وعمره، ومن قطعهم قطعه الله من خيره وإحسانه، ولا يبارك له في رزقه وعمره، ويستحق اللعن والإبعاد من رحمته سبحانه وتعالى.

قال تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا} [النساء : ١]

قال المفسر ابن كثير رحمه الله في تفسير قوله تعالى: { وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ } أي: واتقوا الله بطاعتكم إياه، قال إبراهيم ومجاهد والحسن: { الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ } أي: كما يقال: أسألك بالله وبالرحم. وقال الضحاك: واتقوا الله الذي به تعاقدون وتعاهدون، واتقوا الأرحام أن تقطعوها، ولكن بروها وصلوها .."اهـ

فصلة الأرحام من خصال الإيمان لما روى البخاري ومسلم عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ»

وروى البخاري ومسلم عن أَبِي هُرَيْرَةَ . رضي الله عنه . قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- « إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْخَلْقَ حَتَّى إِذَا فَرَّغَ مِنْهُمْ قَامَتِ الرَّحِمُ فَقَالَتْ هَذَا مَقَامُ الْعَائِدِ مِنَ الْقَطِيعَةِ . قَالَ نَعَمْ أَمَا تَرْضَيْنَ أَنْ أَصِلَ مَنْ وَصَلَكَ وَأَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكَ قَالَتْ بَلَى . قَالَ فَذَاكَ لَكَ » . ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- « اقْرَءُوا إِن شِئْتُمْ (فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقْطَعُوا أَرْحَامَكُمْ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَارَهُمْ » .

وعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- « الرَّحِمُ مُعَلَّقَةٌ بِالْعَرْشِ تَقُولُ مَنْ وَصَلَنِي وَصَلَهُ اللَّهُ وَمَنْ قَطَعَنِي قَطَعَهُ اللَّهُ » . متفق عليه

وعن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ . رضي الله عنه . أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- قَالَ « مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ وَيُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ » . متفق عليه

ومعنى : "وَيُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ" : أي يؤخر في أجله فيطول عمره أو يبارك له فيه فيوفقه ويسدده في دينه ودنياه، وهذا كله بتقدير الله تعالى لا يخرج عن علمه المسبق وكتابته في اللوح المحفوظ.

وعن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لها : "إنه من أعطي حظه من الرفق فقد أعطي حظه من خير الدنيا والآخرة وصلة الرحم وحسن الخلق وحسن الجوار يعمران الديار ويزيدان في الأعمار"^(١)
وروى البيهقي عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ليس مما عصي الله به هو أعجل عقابا من البغي ، وما من شيء أطيع الله فيه أسرع ثوابا من الصلة ، واليمين الفاجرة تدع الديار بلاقع"^(٢) . أي مشتتة ممزقة بلا سكنى.

فإن لم يجد العبد ما يصلهم به ، فإن الكلمة الطيبة من الصلة للأرحام ، وكذلك تفقد الأحوال ، ولين الجانب والتواضع لهم قال تعالى : "وَأَمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمْ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَيْسُورًا [الإسراء : ٢٨]
قال السعدي في تفسيره لهذه الآية "أي: تعرض عن إعطائهم إلى وقت آخر ترجو فيه من الله تيسير الأمر. { فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَيْسُورًا } أي: لطيفا برفق ووعد بالجميل عند سئو الفرصة واعتذار بعدم الإمكان في الوقت الحاضر لينقلبوا عنك مطمئنة خواطرمهم كما قال تعالى: { قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذَى } اهـ.
وقطية الأرحام تحل بصاحبها العقوبات العاجلة والآجلة في الدنيا والآخرة.

فقد روى أبو داود عن أبي بكر. رضي الله عنه . قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- « مَا مِنْ ذَنْبٍ أَجْدَرُ أَنْ يُعَجِّلَ اللَّهُ تَعَالَى لِمَصْحَبِهِ الْعُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا - مَعَ مَا يَدْخُرُ لَهُ فِي الْآخِرَةِ - مِثْلُ الْبَغْيِ وَقَطِيعَةِ الرَّحِمِ »^(٣) .
وعن جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ . رضي الله عنه . عَنِ النَّبِيِّ -صلى الله عليه وسلم- قَالَ « لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَاطِعٌ » . قَالَ ابْنُ أَبِي عُمَرَ : قَالَ سُفْيَانُ : يَعْنِي قَاطِعَ رَحِمٍ . متفق عليه .

أي أنه يؤخر عن دخول الجنة فلا يكون مع أول الداخلين إن كان من أهلها، أما من استحل قطيعة الأرحام فإنه كافر لا يدخل الجنة مطلقاً ولا يشم ريحها نسأل الله العافية والسلامة.

(١) صحيح: رواه ابن ماجه والنسائي واللفظ له والحاكم وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب - (٢ / ٣٢٧) (٢٤٨٥) (حسن صحيح)

(٢) حسن: انظر السلسلة الصحيحة (٢ / ٧٠٦) (٩٧٨)

(٣) صحيح: صححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢ / ٦٢٣) (٩١٨) ، وحسنه الوادعي في الصحيح المسند (١ / ٥٣٦) (٤٢١) وهو عند ابن ماجه والترمذي وابن حبان

اغتنام كفالة الأيتام والإحسان إليهم

اليتم هو: من مات أبوه ولم يبلغ سن الرشد، ومن مات أبوه وأمه فهو يتيماً من باب أولى، فالواجب على المسلمين نحو اليتامى التلطف بهم والإحسان إليهم، ونصرتهم ممن ظلمهم وقضاء حوائجهم وتسليتهم وعدم انتهارهم، وإعطاؤهم حقهم مما ترك آباؤهم.

فإن الله تعالى رتب أجوراً عظيمة على الإحسان إلى اليتامى؛ لضعفهم، وعدم استطاعتهم الدفاع عن أنفسهم، ولأنهم يتعرضون للظلم من غيرهم، وجعل الله كافل اليتيم رفيقا للنبي صلى الله عليه وسلم في الجنة، وتوعد الله الذين يظلمون اليتامى أو يأكلون حقهم بعواقب وخيمة.

قال تعالى: "وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ" [النساء : ٣٦]

أي: وأحسنوا إلى اليتامى.

وقال تعالى: {فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ * فَكُ رَقَبَةً * أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ * يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ * أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ} [البلد: ١١-١٦]

بين الله سبحانه وتعالى أن من اقتحام هذه العقبة، الإحسان إلى اليتيم، لا سيما إذا كان من ذوي القرابة، فإن حقه يكون أكداً.

وروى البخاري عن سهل . رضي الله عنه . قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " أَنَا وَكَافِلُ الْيَتِيمِ فِي الْجَنَّةِ هَكَذَا وَأَشَارَ بِالسَّبَّابَةِ وَالْوُسْطَىٰ وَفَرَجَ بَيْنَهُمَا شَيْئًا " . رواه البخاري .

ونهى الله عن قهر اليتيم لضعفه وقلة حيلته فقال تعالى: { فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ } [الضحى : ٩]

وَأَلْحَقَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْحَرْجَ بِالذِّي يَضِيعُ حَقَّ الْيَتِيمِ، فَقَدْ رَوَى أَحْمَدُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : "اللَّهُمَّ إِنِّي أَعْرِجُ حَقَّ الضَّعِيفِينَ: الْيَتِيمِ، وَالْمَرْأَةِ"^(١)

وذم الله تعالى الذي يقسو على اليتامى، فقال سبحانه: { أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالْإِيمَانِ * فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ }

{ [الماعون: ١-٢]

ففي هذه الآية وعيد لمن يسيء إلى اليتيم، فذكره هنا على سبيل الذم لغلظته وشدته على اليتامى.

قال المفسر السعدي، رحمه الله، { فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ } أي: يدفعه بعنف وشدّة، ولا يرحمه لقساوة قلبه، ولأنه لا يرجو ثواباً، ولا يخشى عقاباً. اهـ

وتوعد الذين يأكلون أموال اليتامى بأنهم سيأكلون في بطونهم نارا يوم القيامة قال تعالى: "إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا" [النساء: ١٠]

قال السعدي: في قوله تعالى: { إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا } أي: فإن الذي أكلوه نار تتأجج في أجوافهم وهم الذين أدخلوها في بطونهم. { وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا } أي: نارا محرقة متوقدة. وهذا أعظم وعيد ورد في الذنوب، يدل على شناعة أكل أموال اليتامى وقبحها، وأنها موجبة لدخول النار، فدل ذلك أنها من أكبر الكبائر. نسأل الله العافية. اهـ

(١) حسن: حسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (٣ / ١٢) (١٠١٥) وهو عند ابن حبان والحاكم وابن ماجه

اغتنام عيادة المريض

زيارة المرضى قربة عظيمة يترتب عليها أجور كثيرة، لكن تساهل بها كثير من المسلمين لجهل الكثير منهم في فضل عيادة المرضى.

والزيارة حق للمسلم على أخيه المسلم، فمن فضائلها أن الزائر ترافقه الملائكة وتستغفر له وتدعو له، ويتبوأ في الجنة منزلاً.

وفي الزيارة للمريض منافع عديدة.

منها: أنه يتذكر نعمة الصحة والعافية.

ومنها: أنه يصبر المريض ويذكره بما أعد الله للمرضى من الأجور وتكفير السيئات.

ومنها: أنه يعلمه بعض الأحكام في صفة الصلاة والوضوء والتيمم حال مرضه.

ومنها: أنه يدخل عليه السرور.

ومنها: أنه يدعو له، وغير ذلك.

وعلى الزائر أن يتحين الوقت المناسب لزيارة المريض، فلا يشق عليه بكثرة الجلوس، وطول المحادثة، والتكلف في استضافته ونحو ذلك.

فقد روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة، رضي الله عنه، قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ خَمْسٌ رَدُّ السَّلَامِ وَعِيَادَةُ الْمَرِيضِ وَاتِّبَاعُ الْجَنَائِزِ وَإِجَابَةُ الدَّعْوَةِ وَتَشْمِيتُ الْعَاطِسِ».

وعند مسلم عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- قَالَ « حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ سِتٌّ » قِيلَ مَا هُنَّ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ « إِذَا لَقِيتَهُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ وَإِذَا دَعَاكَ فَأَجِبْهُ وَإِذَا اسْتَنْصَحَكَ فَانْصَحْ لَهُ وَإِذَا عَطَسَ فَحَمِدَ اللَّهَ فَسَمِّتْهُ وَإِذَا مَرَضَ فَعُدَّهُ وَإِذَا مَاتَ فَاتَّبِعْهُ ».

وزيارة المريض من أسباب دخول الجنة لما روى مسلم عن ثوبان مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- عَنْ رَسُولِ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- قَالَ « مَنْ عَادَ مَرِيضًا لَمْ يَزَلْ فِي خُرْفَةِ الْجَنَّةِ ». قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا خُرْفَةُ الْجَنَّةِ قَالَ « جَنَاهَا ». أَى اجْتِنَاء ثمر الجنة.

وروى الترمذي عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من عاد مريضاً أو زار أخاً في الله ناداه مناد أن طبت وطاب ممشاك وتبوأ من الجنة منزلاً" (١)

وعن أبي سعيد - رضي الله عنه - أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "خمس من عملهن في يوم كتبه الله من أهل الجنة، من عاد مريضاً، وشهد جنازة، وصام يوماً، وراح إلى الجمعة، وأعتق رقبة" (٢)

وزيارة المريض من أسباب نزول الرحمة على العبد وصحبة الملائكة ودعائهم له.

فقد روى الإمام أحمد عن جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما - قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من عاد مريضاً لم يزل يخوض في الرحمة حتى يجلس فإذا جلس اغتمس فيها" (٣)

(١) صحيح: صححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب - (٣ / ١٩٦) (٣٤٧٤). وهو عند ابن ماجه وابن حبان.

(٢) صحيح: صححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٣ / ٢١) (١٠٢٣) وهو عند أبي يعلى وابن حبان.

(٣) صحيح: انظر صحيح الترغيب والترهيب - (٣ / ١٩٧) (٣٤٧٧) ورواه مالك بلاغا والبخاري وابن حبان.

وروى أبو داود عن علي - رضي الله عنه - قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " ما من مسلم يعود مسلماً غدوة إلا صلى عليه سبعون ألف ملك حتى يمسي وإن عاد عشية إلا صلى عليه سبعون ألف ملك حتى يصبح وكان له خريف في الجنة" ^(١)

وجاء عن عليّ - رضي الله عنه - موقوفاً قال: " ما من رجل يعود مريضاً مُمسيّاً إلا خرّج معه سبعون ألف ملك يستغفرون له حتى يصبح وكان له خريف في الجنة ومن أتاه مصباحاً خرّج معه سبعون ألف ملك يستغفرون له حتى يمسي وكان له خريف في الجنة" ^(٢)

ومن الأدعية للمريض ماجاء عن ابن عباس - رضي الله عنهما عن النبيّ - صلى الله عليه وسلم- قال « مَنْ عَادَ مَرِيضًا لَمْ يَحْضُرْ أَجَلُهُ فَقَالَ عِنْدَهُ سَبْعَ مَرَارٍ: أَسْأَلُ اللَّهَ الْعَظِيمَ رَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ أَنْ يَشْفِيكَ إِلَّا عَافَاكَ اللَّهُ مِنْ ذَلِكَ الْمَرَضِ » ^(٣).

وروى البخاري عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا دَخَلَ عَلَى مَرِيضٍ يَعُودُهُ قَالَ: " لَا بَأْسَ طَهُورٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ " الحديث

اغتنام الزيارات في الله

الزيارات إذا كانت لله ومن أجل الله ،ليست من أجل دنيا، فإنها من القربات العظيمة التي يترتب عليها أجور عظيمة، وهي من أسباب محبة الله للعبد.

وفي الزيارات في الله منافع عديدة ،منها: المناصرة والموازية، ومنها: المناصرة والتعاون على الخير، وغير ذلك من المقاصد الشرعية.

فقد روى الإمام مسلم عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبيّ - صلى الله عليه وسلم- « أَنَّ رَجُلًا زَارَ أَخًا لَهُ فِي قَرْيَةٍ أُخْرَى فَأَرْصَدَ اللَّهُ لَهُ عَلَى مَدْرَجَتِهِ مَلَكًا فَلَمَّا أَتَى عَلَيْهِ قَالَ أَيْنَ تُرِيدُ قَالَ أُرِيدُ أَخًا لِي فِي هَذِهِ الْقَرْيَةِ. قَالَ هَلْ لَكَ عَلَيْهِ مِنْ نِعْمَةٍ تَرُبُّهَا قَالَ لَا، غَيْرَ أَنِّي أَحْبَبْتُهُ فِي اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ. قَالَ فَأَتَى رَسُولَ اللَّهِ إِلَيْكَ بِأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَبَّكَ كَمَا أَحَبَّتَهُ فِيهِ ».

ومعنى مدرجته : أي طريقه. ومعنى تَرُبُّهَا : أي تحفظها وتراعيها.

وروى الطبراني عن معاذ بن جبل - رضي الله عنه - قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " قال الله تبارك وتعالى وجبت محبتي للمتحابين فيّ وللمتجالسين فيّ وللمتزاورين فيّ وللمتبادلين فيّ" ^(٤)

(١) صحيح:رواه أبو داود وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب - (٣ / ١٩٧) (٣٤٧٦).

(٢) صحيح:رواه أبو داود والحاكم وأحمد وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب - (٣ / ١٩٧) (٣٤٧٦).

(٣) صحيح: رواه أبو داود والترمذي والنسائي وابن حبان والحاكم وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب - (٣ / ١٩٨) (٣٤٨٠).

(٤) صحيح:صححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب - (٢ / ٣٤٩) (٢٥٨١). وهو عند أحمد والحاكم والبيهقي

اغتنام الجليس الصالح

حث النبي صلى الله عليه وسلم على مجالسة الصالحين، ومجانبة السيئين، لما في ذلك من المصالح العظيمة الدينية والدنيوية، فإن الجليس يتأثر بجليسه، ويتصف ببعض صفاته، ويعمل بأعماله، وكما قيل: (الصاحب صاحب والمجالس مجالس)، وفي الحديث: "المرء على دين خليله" وسيأتي. فلذلك ينبغي مجالسة العلماء والصالحين، فإنهم يأخذون بيد العبد إلى كل خير، ويحجزونه عن كل شر، ويجب الابتعاد عن الفاسدين والزائغين، فإنهم يكونون سببا لضلال العبد كما ضل أبوطالب بسبب جلسائه ومات على ملة الشرك كما سيأتي.

قال تعالى: {وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْعُدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا} [الكهف: ٢٨]

قال المفسر ابن كثير- رحمه الله -: أَي: اجلس مع الذين يذكرون الله ويهللونه، ويحمدونه ويسبحونه ويكبرونه، ويسألونه بكرة وعشياً من عباد الله، سواء كانوا فقراء أو أغنياء أو أفوياء أو ضعفاء. اهـ { وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا } أَي: لا تتحول عنهم إلى غيرهم، وتجالس الأغنياء والشرفاء لأجل أموالهم وجاههم" اهـ.

وقال البغوي - رحمه الله - : وَلَا تَعْدُ، أَي: لَا تَصْرِفْ وَلَا تَتَجَاوَزْ، عَيْنَاكَ عَنْهُمْ، إِلَى غَيْرِهِمْ، تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، تَطْلُبُ مُجَالَسَةَ الْأَغْنِيَاءِ وَالْأَشْرَافِ وَصُحْبَةَ أَهْلِ الدُّنْيَا. اهـ

فالمؤمن يتولى المؤمنين ويناصرهم ويناصرونه، ويتعاون معهم على البر والتقوى، والدعوة إلى الله، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قال تعالى: {وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} [التوبة: ٧١]

والمنافقون والفاقدون يتعاونون على الإثم والعدوان، والدعوة إلى الفساد قال تعالى: {الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ} [التوبة: ٦٧]

وروى البخاري ومسلم عن أبي موسى - رضي الله عنه - عَنِ النَّبِيِّ -صلى الله عليه وسلم- قَالَ « إِنَّمَا مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالْجَلِيسِ السَّوِّءِ كَمَثَلِ الْمَسْكِ وَنَافِخِ الْكِيرِ فَحَامِلُ الْمَسْكِ إِمَّا أَنْ يُحْدِثَكَ إِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً وَنَافِخِ الْكِيرِ إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ رِيحًا خَبِيثَةً ».

وروى الإمام أحمد عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالط" وفي رواية لأحمد: "من يخالط" (١)

قال شمس الحق أبو الطيب محمد العظيم آبادي: "أي على عادة صاحبه وطريقته وسيرته فمن رضي دينه وخلقه خالسه - أي صاحبه وجالسه- ومن لا، تجنبه فإن الطباع سراقه" اهـ (٢)

وقال المباركفوري: (مَنْ يُخَالِلْ) مِنَ الْمُخَالَةِ وَهِيَ الْمُصَادَقَةُ وَالْإِخَاءُ ، فَمَنْ رَضِيَ دِينَهُ وَخُلُقَهُ خَالَاهُ وَمَنْ لَا تَجَنَّبُهُ ، فَإِنَّ الطَّبَاعَ سَرَّاقَةٌ وَالصُّحْبَةُ مُؤَثَّرَةٌ فِي إِصْلَاحِ الْحَالِ وَإِفْسَادِهِ . قَالَ الْغَزَالِيُّ : مُجَالَسَةُ

(١) حسن: حسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢ / ٦٣٣) (٩٢٧) وهو عند أبي داود والترمذي والحاكم

(٢) عون المعبود- (٩ / ٢١١٦)

الْحَرِيسَ وَمَخَالَطَتُهُ تُحَرِّكُ الْحَرِصَ وَمَجَالَسَةُ الرَّاهِدِ وَمَخَالَطَتُهُ تُزْهِدُ فِي الدُّنْيَا ؛ لِأَنَّ الطَّبَاعَ مَجْبُولَةٌ عَلَى التَّشَبُّهِ وَالْإِقْتِدَاءِ بِلِ الطَّبْعِ يَسْرِقُ مِنَ الطَّبْعِ مِنْ حَيْثُ لَا يَدْرِي" اهـ^(١).

وما أحسن ما قيل:

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه :: فكل قرين بالمقارن يقتدي

وقال بعض السلف: "من خفيت علينا بدعته لم تخف علينا ألفته" أو كما قال رحمه الله.

ومن فضائل مجالسة الصالحين ، أن جلسهم يحظى ببركتهم ، ويصيبه من الخير ما أصابهم ، وربما غفرله بسببهم ، ويشفعون له يوم القيامة ، (هم القوم لا يشقى بهم جليسهم).

فقد روى البخاري ومسلم واللفظ لمسلم عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قَالَ « إِنَّ لِلَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مَلَائِكَةً سَيَّارَةً فَضُلًّا يَتَّبِعُونَ مَجَالِسَ الذَّكَرِ فَإِذَا وَجَدُوا مَجْلِسًا فِيهِ ذِكْرٌ قَعَدُوا مَعَهُمْ وَحَفَّ بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِأَجْنِحَتِهِمْ حَتَّى يَمْلُؤُوا مَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَإِذَا تَفَرَّقُوا عَرَجُوا وَصَعَدُوا إِلَى السَّمَاءِ - قَالَ - فَيَسْأَلُهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ مِنْ أَيْنَ جِئْتُمْ فَيَقُولُونَ جِئْنَا مِنْ عِنْدِ عِبَادِكَ فِي الْأَرْضِ يُسَبِّحُونَكَ وَيُكَبِّرُونَكَ وَيُهَلِّلُونَكَ وَيَحْمَدُونَكَ وَيَسْأَلُونَكَ. قَالَ وَمَاذَا يَسْأَلُونِي قَالُوا يَسْأَلُونَكَ جَنَّتِكَ. قَالَ وَهَلْ رَأَوْا جَنَّتِي قَالُوا لَا أَيْ رَبِّ. قَالَ فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْا جَنَّتِي قَالُوا وَيَسْتَجِيرُونَكَ. قَالَ وَمِمَّ يَسْتَجِيرُونَنِي قَالُوا مِنْ نَارِكَ يَا رَبِّ. قَالَ وَهَلْ رَأَوْا نَارِي قَالُوا لَا. قَالَ فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْا نَارِي قَالُوا وَيَسْتَغْفِرُونَكَ - قَالَ - فَيَقُولُ قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ فَأَعْطَيْتُهُمْ مَا سَأَلُوا وَأَجْرْتُهُمْ مِمَّا اسْتَجَارُوا - قَالَ - فَيَقُولُونَ رَبِّ فِيهِمْ فُلَانٌ عَبْدٌ خَطَاءٌ إِنَّمَا مَرَّ فَجَلَسَ مَعَهُمْ قَالَ: فَيَقُولُ: وَلَهُ غَفَرْتُ هُمُ الْقَوْمُ لَا يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ ». .

قال الحسن: "استكثرنا من الأصدقاء المؤمنين فإن لهم شفاعاة يوم القيامة"^(٢).

وقال الشاعر :

أَخَاكَ أَخَاكَ إِنْ مِنْ لَا أَخَا لَهُ *** كَسَاعٍ إِلَى الْهَيْجَا بَغِيرِ سِلَاحٍ

ومن أضرار مجالسة السيئين والفاستدين أن العبد قد يشقى بسببهم ، بل قد يموت على الكفر والضلال بسبب جلساء السوء.

قال تعالى: {وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا * يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا * لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا} [الفرقان : ٢٧ - ٢٩]

وروى البخاري ومسلم عن سعيد بن المسيب ، عن أبيه ، رضي الله عنهما ، أَنَّهُ أَخْبَرَهُ: أَنَّهُ لَمَّا حَضَرَتْ أَبَا طَالِبٍ الْوَفَاةَ جَاءَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَوَجَدَ عِنْدَهُ أَبَا جَهْلَ بْنَ هِشَامٍ ، وَعِنْدَ اللَّهِ بْنِ أَبِي أُمَيَّةَ بْنَ الْمُغِيرَةِ ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَبِي طَالِبٍ: " يَا عَمُّ ، قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، كَلِمَةً أَشْهَدُ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللَّهِ " (وفي رواية) : " كَلِمَةً أَحَاجُّ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللَّهِ " فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ: يَا أَبَا طَالِبٍ أَنْزَعَبَ عَنْ مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ؟ فَلَمْ يَزَلْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَعْصِيهَا عَلَيْهِ ، وَيَعُودَانِ بِتِلْكَ الْمَقَالَةِ حَتَّى قَالَ أَبُو طَالِبٍ آخِرَ مَا كَلَّمَهُمْ: هُوَ عَلَى مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ.. الحديث

(١) تحفة الأحمدي - (٦ / ١٦٤)

(٢) انظر تفسير البغوي - (٦ / ١٢٠)

اغتنام الصحة والفراغ

الصحة والفراغ نعمتان عظيمتان ينبغي على العبد المحافظة عليهما، واغتنامهما في طاعة الله، فإذا اجتمع للعبد هاتان النعمتان، وتكاسل عن فعل الطاعات والمسابقة في الخيرات، فإنه سيندم عليها يوم القيامة ويتحسر، ويزيد ندمه وحسرتة إذا قضاها في اللهو واللعب والمعاصي.

فقد روى البخاري عن ابن عباس، رضي الله عنهما، قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: "نِعْمَتَانِ مَغْبُورٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ الصِّحَّةُ وَالْفَرَاغُ".

قال المباركفوري: "أَيُّ صِحَّةِ الْبَدَنِ وَفَرَاغِ الْخَاطِرِ بِحُصُولِ الْأَمْنِ وَوُصُولِ كِفَايَةِ الْأَمْنِيَّةِ . وَالْمَعْنَى لَا يَعْرِفُ قَدْرَ هَاتَيْنِ النِّعْمَتَيْنِ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ حَيْثُ لَا يَكْسِبُونَ فِيهِمَا مِنَ الْأَعْمَالِ كِفَايَةَ مَا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ فِي مَعَادِهِمْ فَيَنْدُمُونَ عَلَى تَضْيِيعِ أَعْمَارِهِمْ عِنْدَ زَوَالِهَا ، وَلَا يَنْفَعُهُمُ النَّدَمُ قَالَ تَعَالَى { ذَلِكَ يَوْمُ النَّعَابِ } وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " لَيْسَ يَتَحَسَّرُ أَهْلُ الْجَنَّةِ إِلَّا عَلَى سَاعَةٍ مَرَّتْ بِهِمْ وَلَمْ يَذْكُرُوا اللَّهَ فِيهَا " وَفِي حَاشِيَةِ السُّيُوطِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ قَالَ الْعُلَمَاءُ : مَعْنَاهُ أَنَّ الْإِنْسَانَ لَا يَتَفَرَّغُ لِلطَّاعَةِ إِلَّا إِذَا كَانَ مَكْفِيًا صَحِيحَ الْبَدَنِ فَقَدْ يَكُونُ مُسْتَغْنِيًا وَلَا يَكُونُ صَحِيحًا ، وَقَدْ يَكُونُ صَحِيحًا وَلَا يَكُونُ مُسْتَغْنِيًا فَلَا يَكُونُ مُتَفَرِّغًا لِلْعِلْمِ وَالْعَمَلِ لِشُغْلِهِ بِالْكَسْبِ ، فَمَنْ حَصَلَ لَهُ الْأَمْرَانِ وَكَسِلَ عَنِ الطَّاعَةِ فَهُوَ الْمَغْبُورُ أَيْ الْخَاسِرُ فِي التَّجَارَةِ مَأْخُودٌ مِنَ الْغَبَنِ فِي الْبَيْعِ" اهـ^(١) .

والغبين: هو الندم والأسف، كحال رجل غبن في سلعة، إما لأنه باعها بأبخس الأثمان، ثم تبين له أنها كانت بأعلى مما باعها بأضعاف أضعاف ذلك، فيغبين فيها، أو لأنه اشتراها بأعلى الأثمان، ثم تبين له أنها كانت أرخص مما اشتراها به بكثير، فيصاب بالغبين، وهو الندم والحسرة، وهكذا العبد يتحسر يوم القيامة ويغبين على صحته وفراغه الذي ضيعه في الحياة الدنيا، ولم يغتنمه فيما ينفعه في الآخرة، ولذلك سمى الله يوم القيامة بيوم التغابن كما قال تعالى: { يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ } [التغابن: ٩]

قال المفسر البغوي في قوله تعالى: { ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ } وهو تفاعل من الغبن وهو فوت الحظ، والمراد بالمغبون من غبن عن أهله ومنازله في الجنة، فيظهر يومئذ غبن كل كافر بتركه الإيمان، وغبن كل مؤمن بتقصيره في الإحسان" اهـ

ألا ترى إلى أهل الدنيا كيف يتحسرون على فوات دنياهم، وعلى ضياع أيامهم التي لم يغتنموها في التجارات والأعمال الدنيوية؟

ألا فإن أعظم غبن يوم القيامة هو أن يُغبين العبد عن الجنة إذا حرمها، فإذا كان العبد يندم على سلعة دنيوية فانية بدريهمات قليلة، فكيف بأعظم سلعة أخروية وهي جنة عرضها السماوات والأرض ألا إن سلعة الله غالية.

روى الترمذي عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من خاف أدلج ومن أدلج بلغ المنزل ألا إن سلعة الله غالية ألا إن سلعة الله الجنة"^(٢)

قال ابن القيم - رحمه الله -:

يا سلعة الرحمن لست رخيصة ... بل أنت غالية على الكسلان
يا سلعة الرحمن ليس ينالها ... في الألف إلا واحد لا اثنان

(١) تحفة الأحوذى - (٦ / ٨٩)

(٢) حسن: انظر السلسلة الصحيحة للألباني رقم (٥ / ٤٤٢) (٢٣٣٥) وهو عند الحاكم

يا سلعة الرحمن ماذا كفوها ... إلا أولو التقوى مع الإيمان
يا سلعة الرحمن سوقك كاسد... بين الأراذل سفلة الحيوان
يا سلعة الرحمن أين المشتري ... فلقد عرضت بأيسر الأثمان
يا سلعة الرحمن هل من خاطب ... فالمهر قبل الموت ذوإمكان
يا سلعة الرحمن كيف تصير الـ ... خطاب عنك وهم ذوو إيمان
يا سلعة الرحمن لولا أنها ... حجبت بكل مكاره الإنسان.
ما كان عنها قط من متخلف ... وتعطلت دار الجزاء الثاني
لكنها حجبت بكل كريهة ... ليصد عنها المبطل المتواني
وتنالها الهمم التي تسمو إلى ... رب العلى بمشيئة الرحمن اه^(١)

قال ابن الجوزي - رحمه الله - : "فمن استعمل فراغه وصحته في طاعة الله فهو المغبوط ومن استعملهما في معصية الله فهو المغبون لان الفراغ يعقبه الشغل والصحة يعقبها السقم ولو لم يكن الا الهرم.. اه^(٢)"

والمغبوط: هو الرجل الذي أنعم الله عليه بنعمة فغبطه الناس، أي: يتمنون أن يكون لهم مثل هذه النعمة دون تمنى زوالها كحديث: " لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ الْقُرْآنَ فَهُوَ يَتْلُوهُ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا فَهُوَ يُنْفِقُهُ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ " متفق عليه عن ابن عمر رضي الله عنهما.

وقال ابن القيم - رحمه الله - : "من لم يجعل وقته كله لله فالموت خير له من الحياة" اه.
فالوقت ثمين ونعمة سيحاسب عليه كل إنسان، وسيندم ويغبن إن فرط فيه ولم يغتنمه بذكر الله وطاعته وطاعة رسوله والصلاة عليه ، فقد روى أبو داود والترمذي واللفظ له عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ- رضي الله عنه - عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "مَا جَلَسَ قَوْمٌ مَجْلِسًا لَمْ يَذْكُرُوا اللَّهَ فِيهِ، وَلَمْ يُصَلُّوا عَلَى نَبِيِّهِمْ، إِلَّا كَانَ عَلَيْهِمْ تَرَةٌ، فَإِنْ شَاءَ عَذَّبَهُمْ وَإِنْ شَاءَ عَفَّرَ لَهُمْ"^(٣).
وروى أبو داود عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَنْ قَعَدَ مَقْعَدًا لَمْ يَذْكُرِ اللَّهَ فِيهِ كَانَتْ عَلَيْهِ مِنَ اللَّهِ تَرَةٌ، وَمَنْ قَامَ مَقَامًا لَمْ يَذْكُرِ اللَّهَ فِيهِ كَانَتْ عَلَيْهِ مِنَ اللَّهِ تَرَةٌ، وَمَنْ اضْطَجَعَ مَضْجَعًا لَمْ يَذْكُرِ اللَّهَ فِيهِ كَانَتْ عَلَيْهِ مِنَ اللَّهِ تَرَةٌ»^(٤)
ومعنى ترة: أي: خسارة ونقص أو تبعة وحسرة.

وفي الحديث إشارة إلى اغتنام الأوقات حال القيام والقعود والسير والاضطجاع.
ولهذا امتدح الله أولي الألباب بأنهم يغتنمون أوقاتهم حال قيامهم وقعودهم ورقودهم وفي جميع أحوالهم فقال سبحانه وتعالى: {إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ * الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ } [آل عمران: ١٩٠-١٩١].

وإن أهل الجنة يوم القيامة ليتحسرون على الأوقات التي لم يغتنموها وإن دخلوا الجنة، فقد روى أحمد عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما قعد قوم مقعدا لم يذكروا الله عز وجل فيه ويصلون على النبي صلى الله عليه وسلم إلا كان عليهم حسرة يوم القيامة وإن دخلوا الجنة للثواب"^(٥)

(١) متن النونية: (١ / ٣٥٥-٣٥٤)

(٢) انظر فتح الباري - ابن حجر - (١١ / ٢٣٠)

(٣) صحيح: انظر صحيح الترغيب والترهيب - (٢ / ١٠٠) (١٥١٢) ورواه النسائي وأحمد وابن أبي الدنيا وابن حبان .

(٤) صحيح: انظر صحيح الترغيب والترهيب - (٢ / ١٠٠) (١٥١٢) و السلسلة الصحيحة (١ / ١٧٧) (٧٨) ورواه أحمد وابن أبي الدنيا والنسائي وابن حبان

(٥) صحيح: انظر صحيح الترغيب والترهيب - (٢ / ١٠٠) (١٥١٣) وهو عند الحاكم وابن حبان

اغتنام الشباب

إن مرحلة الشباب من المراحل التي سيسأل عنها العبد يوم القيامة، فإن اغتنمها في طاعة الله فاز وأفلح، وإن ضيعه في الملاهي وسماع الأغاني والانغماس في الشهوات وارتكاب المحرمات فقد خاب وخسر. وقد تقدم في أول الكتاب حديث ابن عباس - رضي الله عنهما - قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجل وهو يعظه: "اغتنم خمسا قبل خمس شبابك قبل هرمك وصحتك قبل سقمك وغناك قبل فقرك وفراغك قبل شغلك وحياتك قبل موتك" (١).

فينبغي على العبد أن يغتنم شبابه في الدنيا بما يعود عليه نفعه في الآخرة، قبل أن تأتي مرحلة الهرم والكبر فيضعف عن العمل فيتمنى أنه اغتنم شبابه بالصيام والقيام وتلاوة القرآن وغير ذلك من أعمال البر.

قال تعالى: {اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ} [الروم : ٥٤]

وقال تعالى: {وَمَنْ نَعْمَرُهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلَا يَعْلَمُونَ} [يس : ٦٨]
قال المفسر السعدي: "أي: يعود إلى الحالة التي ابتدأ حالة الضعف، ضعف العقل، وضعف القوة. { أَفَلَا يَعْلَمُونَ } أن الآدمي ناقص من كل وجه، فيتداركوا قوتهم وعقولهم، فيستعملونها في طاعة ربهم" اهـ.

فإن الشاب الصالح الذي نشأ في عبادة الله تعالى يظله الله يوم القيامة، لما روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال « سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ الْإِمَامُ الْعَادِلُ وَشَابٌّ نَشَأَ بِعِبَادَةِ اللَّهِ وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْمَسَاجِدِ وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالَ فَقَالَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ. وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ ».

فكل إنسان سيقف بين يدي الله عز وجل ويكلمه بلا ترجمان، ولا تتحرك قدمه لا إلى الجنة ولا إلى النار حتى يُسأل عن أربعة أسئلة، كما روى الترمذي عن معاذ بن جبل - رضي الله عنه - قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لن تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع خصال، عن عمره فيما أفناه، وعن شبابه فيما أبلاه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه، وعن علمه ماذا عمل فيه" (٢).

الشاهد قوله: "وعن شبابه فيما أبلاه"

وجاء عن أبي هريرة - رضي الله عنه - بلفظ "وَعَنْ جِسْمِهِ فِي مَا أَبْلَاهُ" فإذا ذهب شباب العبد فلا يستطيع أن يتداركه.

قال الشاعر:

ألا ليت الشباب يعود يوماً *** فأخبره بما فعل المشيب

(١) صحيح: صححه الإمام الألباني - رحمه الله في صحيح الترغيب والترهيب - (٣ / ١٦٨) (٣٣٥٥) - وهو عند البيهقي

(٢) صحيح: صححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب - (٣ / ٢٢٧) (٣٥٩٣) ورواه الطبراني والبخاري والبيهقي .

اغتنام الحياة

إن العاقل اللبيب هو الذي ينظر إلى هذه الحياة الدنيا بعين البصيرة، ويتفكر في نفسه ماهي الحكمة من وجوده في هذه الحياة، متدبرا معنى قوله تعالى: { الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ } [الملك : ٢]

فإذا عرف أن الحكمة من خلق الناس هي كما بينه سبحانه في كتابه بقوله: { وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ * مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُوا * إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ } [الذاريات : ٥٦ - ٥٨] وجب عليه أن يحقق هذه الغاية التي من أجلها خلقه الله، وأن يغتنم هذه الحياة الزائلة للحياة الباقية الحقيقية وهي الدار الآخرة كما قال تعالى: { وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهُوٌّ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ } [العنكبوت : ٦٤]

قال المفسر السعدي - رحمه الله -: "يخبر تعالى عن حالة الدنيا والآخرة، وفي ضمن ذلك، التزهيد في الدنيا والتشويق للآخرى، فقال: { وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا } في الحقيقة { إِلَّا لَهُوٌّ وَلَعِبٌ } تلهو بها القلوب، وتلعب بها الأبدان، بسبب ما جعل الله فيها من الزينة واللذات، والشهوات الخالبة للقلوب المعرضة، الباهجة للعيون الغافلة، المفرحة للنفوس المبطلّة الباطلة، ثم تزول سريعا، وتتقضي جميعا، ولم يحصل منها محبوبها إلا على الندم والحسرة والخسران.

وأما الدار الآخرة، فإنها دار { الحيوان } أي: الحياة الكاملة، التي من لوازمها، أن تكون أبدان أهلها في غاية القوة، وقواهم في غاية الشدة، لأنها أبدان وقوى خلقت للحياة، وأن يكون موجودا فيها كل ما تكمل به الحياة، وتتم به اللذات، من مفرحات القلوب، وشهوات الأبدان، من المأكّل، والمشارب، والمناكح، وغير ذلك، مما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر. { لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ } لما أثروا الدنيا على الآخرة، ولو كانوا يعقلون لما رغبوا عن دار الحيوان، ورغبوا في دار الله واللّهو واللعب، فدل ذلك على أن الذين يعلمون، لا بد أن يؤثروا الآخرة على الدنيا، لما يعلمونه من حالة الدارين" اهـ.

وقال تعالى: { وَجَاءَ يَوْمٌ يُؤْمَذُ بِجَهَنَّمَ يَوْمٌ يُنْذَرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى * يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي } [الفجر :- ٢٣ : ٢٤]

قال المفسر ابن كثير - رحمه الله -: "وقوله: { يَوْمٌ يُنْذَرُ الْإِنْسَانُ } أي: عمله وما كان أسلفه في قديم دهره وحديثه، { وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى } أي: وكيف تنفعه الذكرى؟ { يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي } يعني: يندم على ما كان سلف منه من المعاصي - إن كان عاصيا - ويود لو كان ازداد من الطاعات - إن كان طائعا. كما قال الإمام أحمد بن حنبل: حدثنا علي بن إسحاق، حدثنا عبد الله - يعني ابن المبارك - حدثنا ثور بن يزيد، عن خالد بن معدان، عن جبير بن نفير، عن محمد بن أبي عميرة - وكان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم - قال: لو أن عبداً خر على وجهه من يوم ولد إلى أن يموت هراماً في طاعة الله، لحقّره يوم القيامة، ولو دأ أنه يُردّ إلى الدنيا كيما يزداد من الأجر والثواب" (١) اهـ.

وقال المفسر السعدي: "وفي الآية دليل على أن الحياة التي ينبغي السعي في أصلها وكمالها، وفي تنميتها لذاتها، هي الحياة في دار القرار، فإنها دار الخلد والبقاء" اهـ.

فينبغي على العبد اغتنام هذه الحياة القصيرة للحياة الطويلة، وذلك بتحقيق الحكمة من وجوده في هذه الحياة، ولهذا أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن الإنسان في هذه الدنيا غريب أو ابن سبيل، وكان ابن عمر - رضي الله عنهما - يوصي بأن يغتنم العبد حياته لما بعد الموت.

(١) - صححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٣٥٩٧).

فقد روى البخاري عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، قَالَ : أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَنْكِبِي فَقَالَ: "كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ ، أَوْ غَابِرٌ سَبِيلٌ" ، وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ يَقُولُ إِذَا أَمْسَيْتَ فَلَا تَنْتَظِرِ الصَّبَاحَ ، وَإِذَا أَصْبَحْتَ فَلَا تَنْتَظِرِ الْمَسَاءَ وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِمَرَضِكَ وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ.

وتقدم حديث ابن عباس - رضي الله عنهما - قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجل وهو يعظه: "اغتنم خمسا قبل خمس شبابك قبل هرمك وصحتك قبل سقمك وغناك قبل فقرك وفراغك قبل شغلك وحياتك قبل موتك" (١).

الشاهد قوله: "وحياتك قبل موتك".

ولهذا كان من دعاء النبي صلى الله عليه وسلم: (اللهم أحييني ما كانت الحياة خيرا لي) كما عند النسائي عن عمار بن ياسر - رضي الله عنه - أنه دعا في صلاته بدعاء سمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم: "اللهم بعلمك الغيب وقدرتك على الخلق أحيني ما علمت الحياة خيرا لي، وتوفني إذا علمت الوفاة خيرا لي، اللهم وأسألك خشيتك في الغيب والشهادة، وأسألك كلمة الحق في الرضا والغضب، وأسألك القصد في الفقر والغنى، وأسألك نعيما لا ينفد، وأسألك قرة عين لا تنقطع، وأسألك الرضا بعد القضاء، وأسألك برد العيش بعد الموت، وأسألك لذة النظر إلى وجهك، والشوق إلى لقائك، في غير ضراء مضرة، ولا فتنة مضلة، اللهم زينا بزينة الإيمان واجعلنا هداة مهتدين" (٢).

وكان من دعائه صلى الله عليه وسلم: "اللهم اجعل الحياة زيادة لي في كل خير واجعل الموت راحة لي من كل شر"

كما روى مسلم عن أَبِي هُرَيْرَةَ - رضي الله عنه - قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- يَقُولُ «اللَّهُمَّ أَصْلِحْ لِي دِينِي الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِي وَأَصْلِحْ لِي دُنْيَايَ الَّتِي فِيهَا مَعَاشِي وَأَصْلِحْ لِي آخِرَتِي الَّتِي فِيهَا مَعَادِي وَاجْعَلْ الْحَيَاةَ زِيَادَةً لِي فِي كُلِّ خَيْرٍ وَاجْعَلِ الْمَوْتَ رَاحَةً لِي مِنْ كُلِّ شَرٍّ»

فإذا لم يجعل العبد حياته لله ويغتنمها بطاعته فإن الموت خير له.

قال ابن القيم - رحمه الله: "من لم يجعل وقته كله لله فالموت خير له من الحياة" اهـ.

فحياة العبد هي رأس ماله، فإذا فرط العبد في هذه الحياة فإنه سيندم غاية الندم، وأول ما يمتنى بعد موته أن يرجع إلى الدنيا ليستعذب ويعمل الصالحات، ولكن دون جدوى، فحري بالعبد أن يرجع من الآن فيعمل الصالحات؟، وحري به أن يجعل نفسه في مقام ذلك الذي مات، ثم تمنى الرجوع إلى الدنيا ليعمل صالحا.

قال تعالى: { حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ } [المؤمنون : ٩٩ ، ١٠٠]

وقال تعالى: { وَلَوْ تَرَى إِذْ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبُ بَيِّنَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ } [الأنعام : ٢٧]

فهنيئاً لمن طال عمره وحسن عمله، وهنيئاً لمن عُمِّر في الإسلام في طاعة مولاه وذكره وشكره.

فقد روى الترمذي عن أبي بكرة - رضي الله عنه - أن رجلاً قال: يا رسول الله، أي الناس خير؟ قال: "من طال عمره وحسن عمله" قال: فأأي الناس شر؟ قال: "من طال عمره وساء عمله" (٣).

وروى أحمد عن طلحة - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم-: " ليس أحد أفضل عند الله من مؤمن يعمر في الإسلام ، لتسبيحه و تكبيره و تهليله" (٤).

(١) تقدم تخريجه قريباً.

(٢) (صحيح) انظر حديث رقم : (١٣٠١) في صحيح الجامع ، وهو عند الحاكم وأحمد والبخاري وابن حبان .
(٣) صحيح: رواه الترمذي والطيبراني والحاكم والبيهقي ، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب - (٣ / ١٧٠) (٣٣٦٣)

(٤) حسن: أخرجه أحمد وحسنه الألباني في "السلسلة الصحيحة" (٢ / ٢٥٧) (٦٥٤)

قال ابن القيم - رحمه الله تعالى - "فمن كان مشغولا بالله وبذكره ومحبته في حال حياته وجد ذلك أخرج ما هو إليه عند خروج روحه إلى الله، ومن كان مشغولا بغيره في حال حياته وصحته فيعسر عليه اشتغاله بالله وحضوره معه عند الموت ما لم تدركه عناية من ربه، ولأجل هذا كان جديرا بالعاقل أن يلزم قلبه ولسانه ذكر الله حيثما كان لأجل تلك اللحظة التي إن فاتت شقي شقاوة الأبد فنسأل الله أن يعيننا على ذكره وشكره وحسن عبادته" اهـ^(١)

(١) طريق الهجرتين وباب السعادتين - (١ / ٤٥٩)

اغتنام طلب العلم والجلوس في حلق الذكر

طلب العلم الشرعي من أفضل الأعمال وأحبها إلى الله، وهو طريق عظيم إلى الجنة ومن أعظم أسباب دخولها؛ لأن العالم أو المتعلم أعرف الناس بربه، فيعبده على بصيرة، ويعرف حق الخلق فيتقي الله فيهم، فينبغي على المسلم أن يتعلم أمور دينه، وأن يغتنم هذه الشعيرة التي شرفها الله ورفع أهلها درجات في الدنيا والآخرة، وفصل العلماء والمتعلمين على غيرهم.

وطالب العلم بمنزلة المجاهد في سبيل الله، إذ إن الجهاد جهادان: جهاد بالسيف والسنان، وجهاد بالحجة والبرهان، وهذا القسم هو الأصل، إذ يقوم عليه القسم الثاني، فإن العالم يحتاج إلى علمه المجاهد والعابد والفلاح والطبيب والحاكم وغيرهم .
وطالب العلم له أجر الحاج لبيت الله الحرام .

قال تعالى: {يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ} [المجادلة : ١١]
وقال تعالى: {قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ} [الزمر : ٩]

وجاء عن أبي الدرداء - رضي الله عنه - قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- يَقُولُ « مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَطْلُبُ فِيهِ عِلْمًا سَلَكَ اللَّهُ بِهِ طَرِيقًا مِنْ طُرُقِ الْجَنَّةِ وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا رِضًا لِطَالِبِ الْعِلْمِ وَإِنَّ الْعَالَمَ لَيَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالْحِيتَانُ فِي جَوْفِ الْمَاءِ وَإِنَّ فَضْلَ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ وَإِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ وَإِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُورَثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا وَرَثُوا الْعِلْمَ فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحِطِّ وَافِرٍ »^(١)

وروى الترمذي عن أبي أمامة - رضي الله عنه - قال ذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم رجلان أحدهما عابد والآخر عالم فقال عليه أفضل الصلاة والسلام: "فضل العالم على العابد كفضل علي أدناكم" ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن الله وملائكته وأهل السموات والأرض حتى النملة في جحرها وحتى الحوت ليصلون على معلم الناس الخير" ^(٢)

وأهل العلم سالمون من اللعن والإبعاد، إذ إن النبي صلى الله عليه وسلم استثناهم بقوله: "الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله وما والاه وعالمًا ومتعلمًا" ^(٣)

وطالب العلم له أجر الحاج، فقد روى الطبراني عن أبي أمامة - رضي الله عنه - عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "من غدا إلى المسجد لا يريد إلا أن يتعلم خيرا أو يعلمه كان له كأجر حاج تامًا حجه" ^(٤)

(١) حسن: رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه وابن حبان والبيهقي، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب - (١٧ / ١) (٧٠)

(٢) حسن: حسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب - (١٩ / ١) (٨١)

(٣) حسن: رواه الترمذي وابن ماجه والبيهقي عن أبي هريرة - رضي الله عنه - وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (٦ / ٧٠٣) (٢٧٩٧)

(٤) حسن صحيح: انظر صحيح الترغيب والترهيب - (٢٠ / ١) (٨٦)

طلب العلم بمنزلة الجهاد في سبيل الله:

قال تعالى: { فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا } [الفرقان : ٥٢]
قال ابن كثير والسعدي وغيرهما :أي: جاهدكم بالقرآن. اهـ

وقال تعالى :{وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ} [التوبة : ١٢٢]

قال المفسر السعدي : "يقول تعالى: - منبها لعباده المؤمنين على ما ينبغي لهم- { وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً } أي: جميعا لقتال عدوهم، فإنه يحصل عليهم المشقة بذلك، وتفتت به كثير من المصالح الأخرى، { فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ } أي: من البلدان، والقبائل، والأفخاذ { طَائِفَةٌ } تحصل بها الكفاية والمقصود لكان أولى.

ثم نبه على أن في إقامة المقيمين منهم وعدم خروجهم مصالح لو خرجوا لفاتتهم، فقال: { لِيَتَفَقَّهُوا } أي: القاعدون { فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ } أي: ليتعلموا العلم الشرعي، ويعلموا معانيه، ويفقهوا أسرارها، وليعلموا غيرهم، ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم.

ففي هذا فضيلة العلم، وخصوصا الفقه في الدين، وأنه أهم الأمور، وأن من تعلم علما، فعليه نشره وبثه في العباد، ونصيحتهم فيه فإن انتشار العلم عن العالم، من بركته وأجره، الذي ينمى له. وأما اقتصار العالم على نفسه، وعدم دعوته إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة، وترك تعليم الجهال ما لا يعلمون، فأى منفعة حصلت للمسلمين منه؟ وأي نتيجة نتجت من علمه؟ وغايته أن يموت، فيموت علمه وثمرته، وهذا غاية الحرمان، لمن آتاه الله علما ومنحه فهما" اهـ.

وروى ابن ماجه عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "من جاء مسجدي هذا لم يأت به إلا لخير يتعلمه أو يعلمه فهو بمنزلة المجاهدين في سبيل الله ومن جاء بغير ذلك فهو بمنزلة الرجل ينظر إلى متاع غيره" (١)

وروى الترمذي عن أنس - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
" من خرج في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع " (٢)

ومن فضائل خلق العلم والذكر أن الملائكة تحف أهلها وتدعو لهم، ويباهي بهم الله ملائكته، ويظلمهم الله في ظله ويجعلهم على منابر من نور يوم القيامة.

فقد روى البخاري ومسلم واللفظ لمسلم عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قَالَ « إِنَّ لِلَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مَلَائِكَةً سَيَّارَةً فَضُلًّا يَتَّبِعُونَ مَجَالِسَ الذِّكْرِ فَإِذَا وَجَدُوا مَجْلِسًا فِيهِ ذِكْرٌ قَعَدُوا مَعَهُمْ وَحَفَّ بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِأَجْنِحَتِهِمْ حَتَّى يَمْلَأُوا مَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَإِذَا تَفَرَّقُوا عَرَجُوا وَصَعَدُوا إِلَى السَّمَاءِ - قَالَ - فَيَسْأَلُهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ مِنْ أَيْنِ جِئْتُمْ فَيَقُولُونَ جِئْنَا مِنْ عِنْدِ عِبَادِكَ فِي الْأَرْضِ يُسَبِّحُونَكَ وَيُكَبِّرُونَكَ وَيُهَلِّلُونَكَ وَيَحْمَدُونَكَ وَيَسْأَلُونَكَ.

قَالَ وَمَاذَا يَسْأَلُونِي قَالُوا يَسْأَلُونَكَ جَنَّتْكَ. قَالَ وَهَلْ رَأَوْا جَنَّتِي قَالُوا لَا أَيْ رَبِّ. قَالَ فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْا جَنَّتِي قَالُوا وَيَسْتَجِيرُونَكَ. قَالَ وَمِمَّ يَسْتَجِيرُونَنِي قَالُوا مِنْ نَارِكَ يَا رَبِّ. قَالَ وَهَلْ رَأَوْا نَارِي قَالُوا لَا. قَالَ فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْا نَارِي قَالُوا وَيَسْتَغْفِرُونَكَ - قَالَ - فَيَقُولُ قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ فَأَعْطَيْتُهُمْ مَا سَأَلُوا وَأَجَرْتُهُمْ مِمَّا اسْتَجَارُوا

(١) صحيح: صححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب - (١ / ٢٠) (٨٧) وهو عند البيهقي

(٢) حسن: حسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب - (١ / ٢٠) (٨٨)

- قَالَ - فَيَقُولُونَ رَبِّ فِيهِمْ فَلَانَّ عَبْدُ خَطَاءٍ إِنَّمَا مَرَّ فَجَلَسَ مَعَهُمْ قَالَ: فَيَقُولُ: وَلَهُ غَفَرْتُ هُمُ الْقَوْمُ لَا يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ».

وروى الإمام مسلم عن أَبِي هُرَيْرَةَ - رضي الله عنه - عَنِ النَّبِيِّ -صلى الله عليه وسلم- قَالَ « مَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ تَعَالَى يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَيَتَدَارِسُونَهُ بَيْنَهُمْ إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ وَغَشِيَتْهُمْ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ ».

وعن أَبِي الدرداء - رضي الله عنه - قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " لِيُبْعَثَنَّ اللَّهُ أَقْوَامًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي وُجُوهِهِمُ النُّورُ عَلَى مَنَابِرَ اللَّوْلُؤِ يَغْبِطُهُمُ النَّاسُ لَيْسُوا بِأَنْبِيَاءَ وَلَا شُهَدَاءَ "، قَالَ: فَجِئْنَا أَعْرَابِي عَلَى رُكْبَتَيْهِ، فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ: جَلَّهِمْ لَنَا نَعْرِفُهُمْ قَالَ: " هُمُ الْمُتَحَابُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ قِبَائِلٍ شَتَّى وَبِلَادٍ شَتَّى يَجْتَمِعُونَ عَلَى ذِكْرِ اللَّهِ يَذْكُرُونَهُ " (١)

وعن عمرو بن عبسة - رضي الله عنه قَالَ سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " عن يمين الرحمن - وكلتا يديه يمين - رجال ليسوا بأَنْبِيَاءَ وَلَا شُهَدَاءَ يَغْشَى بَيَاضُ وُجُوهِهِمْ نَظَرَ النََّاظِرِينَ يَغْبِطُهُمُ النَّبِيُّونَ وَالشُّهَدَاءُ بِمَقْعَدِهِمْ وَقُرْبِهِمْ مِنْ اللَّهِ عِزَّ وَجَلَّ "

قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ: مَنْ هُمْ؟ قَالَ: " هُمُ جَمَاعٌ مِنْ نَوَازِعِ الْقِبَائِلِ يَجْتَمِعُونَ عَلَى ذِكْرِ اللَّهِ فَيَتَنَقَّوْنَ أَطْيَابَ الْكَلَامِ كَمَا يَتَنَقَّى أَكْلُ التَّمْرِ أَطْيَابِهِ " (٢)

وهناك مسائل يجب على كل مسلم تعلمها، بل تعلمها فريضة كالفرائض والواجبات من التوحيد والصلاة ونحو ذلك، لما روى ابن ماجه وغيره عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " طلب العلم فريضة على كل مسلم " (٣)

فينبغي اغتنام الفرص في طلب العلم قبل أن يشغل العبد بشيء، أو يعرض له عارض، أو يحول بينه وبين طلب العلم شيء.

قَالَ عُمَرُ - رضي الله عنه - " تَفَقَّهُوا قَلِيلٌ أَنْ تُسَوِّدُوا " رواه البخاري تعليقا مجزوماً بصحته.

ومعناه، تعلموا قبل أن تشغلوا بسيادة أو مسئولية ونحوها.

وطلب العلم من أفضل القربات لمن أخلص فيه لله وأراد أن يتبصر في دينه.

قال الشافعي - رحمه الله -: " طلب العلم أفضل من نوافل العبادات " اهـ.

وقال الإمام أحمد - رحمه الله -: " ليس شيء أفضل من طلب العلم لمن صلحت نيته ، فلما قيل له، قال : أن ينوي بذلك رفع الجهل عن نفسه ومجتمعه " اهـ.

قال معاذ - رضي الله تعالى عنه - لما أن حضره الموت : " .. اللهم إني قد كنت أخافك، فأنا اليوم أرجوك ، اللهم إن كنت تعلم أنني لم أكن أحب الدنيا وطول البقاء فيها لكري الأنهار ولا لغرس الشجر، ولكن لظماً الهواجر، ومكابدة الساعات، ومزاحمة العلماء بالركب عند خلق الذكر " اهـ (٤)

فمن أراد الله به الخير وفقه لطلب العلم ، لما روى البخاري ومسلم عن مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ - رضي الله عنهما - قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- يَقُولُ « مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ وَإِنَّمَا أَنَا قَاسِمٌ وَيُعْطَى اللَّهُ »

(١) صحيح: رواه الطبراني وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب - (٢ / ٩٩) (١٥٠٩)

(٢) حسن: رواه الطبراني، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب - (٢ / ٩٩) (١٥٠٨).

(٣) صحيح: صححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب - (١ / ١٧) (٧٢) وهو عند البزار وأبي يعلى.

(٤) انظر الزهد لأحمد بن حنبل ٢٤١ - (١ / ١٨٠)

اغتنام الدعوة إلى الله

مقام الدعوة مقام عظيم، وهي مقام الأنبياء والمرسلين، وأتباعهم الصالحين، إذ به يقوم الدين، وتنكسر شوكة أهل الزيف والمبطلين، وأهل الشرك الضالين.

وهذا الفضل منحصر فيمن دعا إلى الكتاب والسنة، وكان مخلصاً لربه متابعاً لنبيه صلى الله عليه وسلم، وكان قدوة لغيره بأن يعمل بما يدعو إليه فلا يخالف أقواله بأفعاله، ويزيد أجر الداعية وتنتشر دعوته ويستجيب الناس إليه إذا كانت دعوته بالحكمة والموعظة الحسنة، فيضع الأمور في مواضعها ويبدأ بالأهم فالأهم، فيدعو إلى التوحيد والسنة، ثم الذي يليهما ويسرولاً يعسر، ويبشر ولا ينفر، ويكون مفتاح خير مغلق شر.

قال تعالى: { وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ } [فصلت : ٣٣] قال ابن كثير: "يقول تعالى: { وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ } أي: دعا عباد الله إليه، { وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ } أي: وهو في نفسه مهتد بما يقوله، فنفعه لنفسه ولغيره لازم ومُتَعَدٍّ، وليس هو من الذين يأمرون بالمعروف ولا يأتونه، وينهون عن المنكر ويأتونه، بل يأتهم بالخير ويترك الشر، ويدعو الخلق إلى الخالق تبارك وتعالى. وهذه عامة في كل من دعا إلى خير، وهو في نفسه مهتد، ورسول الله صلى الله عليه وسلم أولى الناس بذلك "اه.

وقال السعدي في قوله تعالى: { وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ } "هذا استفهام بمعنى النفي المتقرر أي: لا أحد أحسن قولاً. أي: كلاماً وطريقة وحالة { مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ } بتعليم الجاهلين، ووعظ الغافلين والمعرضين، ومجادلة المبطلين، بالأمر بعبادة الله، بجميع أنواعها، والحث عليها، وتحسينها مهما أمكن، والزجر عما نهى الله عنه، وتقييده بكل طريق يوجب تركه، خصوصاً من هذه الدعوة إلى أصل دين الإسلام وتحسينه، ومجادلة أعدائه بالتالي هي أحسن، والنهي عما يضاده من الكفر والشرك، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر. ومن الدعوة إلى الله، تحبيبه إلى عباده، بذكر تفاصيل نعمه، وسعة جوده، وكمال رحمته، وذكر أوصاف كماله، ونعوت جلاله.

ومن الدعوة إلى الله، الترغيب في اقتباس العلم والهدى من كتاب الله وسنة رسوله، والحث على ذلك، بكل طريق موصل إليه، ومن ذلك، الحث على مكارم الأخلاق، والإحسان إلى عموم الخلق، ومقابلة المسيء بالإحسان، والأمر بصلة الأرحام، وبر الوالدين.

ومن ذلك، الوعظ لعموم الناس، في أوقات المواسم، والعوارض، والمصائب، بما يناسب ذلك الحال، إلى غير ذلك، مما لا تحصر أفراده، مما تشمله الدعوة إلى الخير كله، والترهيب من جميع الشر.

ثم قال تعالى: { وَعَمِلَ صَالِحًا } أي: مع دعوته الخلق إلى الله، بادر هو بنفسه، إلى امتثال أمر الله، بالعمل الصالح، الذي يَرْضِي ربه "اه.

وقال تعالى: { ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ } [النحل : ١٢٥]

قال المفسر السعدي: "أي: ليكن دعاؤك للخلق مسلمهم وكافرهم إلى سبيل ربك المستقيم المشتمل على العلم النافع والعمل الصالح { بِالْحُكْمَةِ } أي: كل أحد على حسب حاله وفهمه وقوله وانقياده.

ومن الحكمة الدعوة بالعلم لا بالجهل والبداءة بالأهم فالأهم، وبالأقرب إلى الأذهان والفهم، وبما يكون قبوله أتم، وبالرفق واللين، فإن انقاد بالحكمة، وإلا فينتقل معه بالدعوة بالموعظة الحسنة، وهو الأمر والنهي المقرون بالترغيب والترهيب.

إما بما تشتمل عليه الأوامر من المصالح وتعدادها، والنواهي من المضار وتعدادها، وإما بذكر إكرام من قام بدين الله وإهانة من لم يقيم به. وإما بذكر ما أعد الله للطائعين من الثواب العاجل والآجل وما أعد للعاصيين من العقاب العاجل والآجل، فإن كان [المدعو] يرى أن ما هو عليه حق. أو كان داعيه إلى الباطل، فيجادل بالتي هي أحسن، وهي الطرق التي تكون أدعى لاستجابته عقلاً ونقلاً. ومن ذلك الاحتجاج عليه بالأدلة التي كان يعتقدها، فإنه أقرب إلى حصول المقصود، وأن لا تؤدي المجادلة إلى خصام أو مشاتمة تذهب بمقصودها، ولا تحصل الفائدة منها بل يكون القصد منها هداية الخلق إلى الحق لا المغالبة ونحوها" اهـ.

وقال المفسر ابن كثير: "يقول تعالى أمراً رسوله محمداً صلى الله عليه وسلم أن يدعو الخلق إلى الله { بِالْحِكْمَةِ } قال ابن جرير: وهو ما أنزله عليه من الكتاب والسنة { وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ } أي: بما فيه من الزواجر والوقائع بالناس ذكرهم بها، ليحذروا بأس الله تعالى. وقوله: { وَجَادِلْهُمْ بَالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ } أي: من احتاج منهم إلى مناظرة وجدال، فليكن بالوجه الحسن برفق ولين وحسن خطاب" اهـ.

والداعي إلى الله مأجور في دعوته، سواء استجاب الناس له أم لم يستجيبوا، فإن استجابوا له وقعت نصائحه موقعها فله مثل أجور من استجاب له، وإلم يستجيبوا له، فله أجر النصح والتبليغ وتبرأ ذمته بذلك، ولعل دعوته تنفع ولو بعد حين.

فقد روى الإمام مسلم عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- قَالَ « مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئاً وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ تَبِعَهُ لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئاً ».

وفي الصحيحين عن سهل بن سعد - رضي الله عنه - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- قَالَ: «فَوَاللَّهِ لَأَنْ يَهْدَى بِكَ رَجُلٌ وَاحِدٌ خَيْرٌ لَكَ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ».

قال الحافظ ابن حجر: "قوله: (حُمْرِ النَّعَمِ) بسكون الميم من حمر وبفتح النون والعين المهملة وهو من ألوان الإبل المحمودة، قيل المراد خير لك من أن تكون لك فتتصدق بها وقيل تقتنيها وتملكها وكانت مما تتفاخر العرب بها" اهـ^(١)

فحمر النعم هي الإبل الحمر التي كانت العرب تتفاخر بها، وهي بمثابة السيارات والطائرات وغيرها من المراكب التي يتفاخر بها الناس في هذا الزمان، والمعنى: لأن يهدي الله بالعبد رجلاً واحداً في هذا الزمان خير له من السيارات والطائرات، وهذه نعمة عظيمة تغافل عنها بل تكاسل عنها كثير من الناس، وهي الدعوة إلى الله فلا يكاد الخطيب أن يخطب أو يحاضر المحاضر إلا بشق الأنفس - إلا من رحم الله -، وهذا يخشى عليه من الإثم، لما روى ابن حبان عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "من كتم علماً ألجمه الله يوم القيامة بلجام من نار" اهـ^(٢)

(١) الفتوح (٧ / ٤٧٨)

(٢) صحيح: صححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب - (١ / ٢٨) (١٢٠) وهو عند الحاكم وأبي داود وأحمد والبيهقي

فلا ينبغي لطالب العلم والداعي إلى الله أن يفتر عن الدعوة وتعليم الناس الخير، ولا يترك المجال لأهل الزيغ والضلال من المشركين والملحدين والمبتدعة فيلبسوا على الناس، فإن هذا من الخذلان والله المستعان.

فلا يزهد الداعية عن الأجور في تعليم الناس دين الله، فإن كل شيء في الكون يدعو لمن يعلم الناس الخير. فقد روى الترمذي عن أبي أمامة - رضي الله عنه - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إن الله وملائكته وأهل السموات والأرض حتى النملة في جحرها وحتى الحوت ليصلون على معلم الناس الخير" ^(١)

(١) حسن: حسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب - (١ / ١٩) (٨١)

اغتنام الجهاد في سبيل الله

الجهاد في سبيل الله شعيرة من شعائر الدين ،وبه قوام الدين ،وتتكسر شوكة الكفر والملحدين، ورتب الله عليها درجات عظيمة في جنات النعيم، ويشفع الشهيد لسبعين من أقاربه ويؤمن من فتنة القبر، ويدخل الشهيد الجنة من لحظة موته.

فينبغي اغتنام هذه الشعيرة العظيمة عند سنوح الفرصة، وعند إعلان الجهاد، إذا كان الجهاد شرعياً لا غبار عليه، وكان تحت راية شرعية صافية، ليس فيها مقاصد دنيوية أو أغراض حزبية أو حظوظ نفسية أو خلافات طائفية قبلية، فإذا كانت كذلك، وكان القتال بين طائفتين مسلمتين من أجل تلك الأغراض التي ذكرت آنفاً، فإن القتال والمقتول في النار.

وتعرف هذه المقاصد من خلال سؤال أهل العلم الربانيين الناصحين المتجردين للحق، الذين يربطون الناس بالدليل، الذين يصدر عن كتاب وسنة، وفهم سلف الأمة، البعيدين عن الهوى والحزبية والأغراض الشخصية، فهؤلاء هم الذين يعرفون الفتنة قبل قدومها، فينبغي رد الأمور إليهم في مسائل الجهاد، وليس كل من أفتى بالجهاد أو دعا إليه يؤخذ بقوله، فإن الله سبحانه وتعالى أمر بالرجوع إلى أهل العلم الذين تقدم ذكر بعض صفاتهم.

قال تعالى: { وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا } [النساء : ٨٣]
وقال تعالى: { فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ * بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ } [النحل : ٤٣ ، ٤٤]

ذكر الأدلة في فضائل الجهاد في سبيل الله

قال تعالى: { إِنْ اللَّهُ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ } [التوبة : ١١١]

وقال تعالى: { فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا } [النساء : ٧٤]

وقال تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ } [المائدة : ٣٥]

وقال تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ * تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ } [الصف : ١٠ - ١٢]

وروى الإمام البخاري ومسلم عن قتادة قال سمعت أنس بن مالك - رضي الله عنه - يحدث عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال « ما من أحد يدخل الجنة يحب أن يرجع إلى الدنيا وأن له ما على الأرض من شيء غير الشهيد فإنه يتمنى أن يرجع فيقتل عشر مرات لما يرى من الكرامة ».

وروى مسلم عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال قيل للنبي - صلى الله عليه وسلم - ما يعدل الجهاد في سبيل الله عز وجل قال « لا تستطيعونه » قال فأعادوا عليه مرتين أو ثلاثاً كل ذلك يقول « لا

تَسْتَطِيعُونَهُ». وَقَالَ فِي الثَّالِثَةِ «مَثَلُ الْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ الصَّائِمِ الْقَائِمِ الْقَانِتِ بِآيَاتِ اللَّهِ لَا يَفْتُرُ مِنْ صِيَامٍ وَلَا صَلَاةٍ حَتَّى يَرْجِعَ الْمُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ تَعَالَى».

وروى البخاري عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ : " إِنَّ فِي الْجَنَّةِ مِئَةَ دَرَجَةٍ أَعَدَّهَا اللَّهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ مَا بَيْنَ الدَّرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ فَإِذَا سَأَلْتُمْ اللَّهَ فَاسْأَلُوهُ الْفَرْدَوْسَ فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الْجَنَّةِ وَأَعْلَى الْجَنَّةِ أَرَاهُ فَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ " قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ فُلَيْحٍ ، عَنْ أَبِيهِ : " وَفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ "

فضل الشهادة في سبيل الله:

الشهداء في سبيل الله أحياء عند ربهم يرزقون ،أرواحهم في الجنة في أجواف طير خضر تعلق من ثمار الجنة وأشجارها، ويشفعون يوم القيامة لمن شاءوا من أقاربهم، ويغفر لهم من أول قطرات دماء تخرج من أجسادهم ويؤمنون من فتنة القبر وسؤاله، ويؤمنون من الفرع الأكبر يوم القيامة ،ويزوجون من الحور العين في الجنة.

قال تعالى: {وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ * فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةِ اللَّهِ وَفَضْلِهِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ } [آل عمران : ١٦٩ - ١٧١]

وروى الترمذي عن كعب بن مالك - رضي الله عنه - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "إن أرواح الشهداء في أجواف طير خضر تعلق من ثمر الجنة أو شجر الجنة" (١)

وروى أبو داود عن أبي الدرداء - رضي الله عنه - قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- : « يُشَفَّعُ الشَّهِيدُ فِي سَبْعِينَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ » (٢).

وروى الإمام أحمد عن قيس الجذامي - رضي الله عنه - رجل كانت له صحبة قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم : "يعطى الشهيد ست خصال عند أول قطرة من دمه يكفر عنه كل خطيئة ويرى مقعده من الجنة ويزوج من الحور العين ويؤمن من الفرع الأكبر ومن عذاب القبر ويحلى حلة الإيمان" (٣)

حكم القتال إذا خرج عن المقاصد الشرعية:

إذا كان القتال بين طائفتين مسلمتين أو من أجل دنيا، أو كان من أجل الغنائم، أو كان فيه غلول، أو كان فيه رياء، أو خرج عن مقصوده الشرعي، أو قتل رجل نفسه كشأن المنتحرين ، فإنه ليس جهادا في سبيل الله، بل قد يكون في سبيل الشيطان ، وأصحابه متوعدون بالنار.

قال تعالى: { وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ } [الحجرات : ٩]

(١) صحيح : صححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب - (٢ / ٦٥) (١٣٦٨)

(٢) صحيح : صححه الألباني في صحيح أبي داود - (٧ / ٢٨١) (٢٢٧٧) وهو عند ابن حبان والبخاري

(٣) حسن: انظر السلسلة الصحيحة للألباني (٣٢١٣) وهو عند الترمذي وأحمد وابن ماجه.

وروى البخاري ومسلم واللفظ للبخاري عن أبي بكرة - رضي الله عنه - قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "إِذَا التَّقَى الْمُسْلِمَانِ بِسَيْفَيْهِمَا فَالْقَاتِلُ وَالْمَقْتُولُ فِي النَّارِ" قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذَا الْقَاتِلُ، فَمَا بِالْمَقْتُولِ؟ قَالَ: "إِنَّهُ كَانَ حَرِيصًا عَلَى قَتْلِ صَاحِبِهِ".

وروى مسلم عن أبي بكرة - رضي الله عنه - قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم-: «إِنَّهَا سَتَكُونُ فِتْنٌ أَلَا تُمْ تَكُونُ فِتْنَةٌ الْقَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْمَاشِي فِيهَا خَيْرٌ مِنَ السَّاعِي إِلَيْهَا أَلَا فَإِذَا نَزَلَتْ أَوْ وَقَعَتْ فَمَنْ كَانَ لَهُ إِبِلٌ فَلْيَلْحَقْ بِإِبِلِهِ وَمَنْ كَانَ لَهُ غَنَمٌ فَلْيَلْحَقْ بِغَنَمِهِ وَمَنْ كَانَ لَهُ أَرْضٌ فَلْيَلْحَقْ بِأَرْضِهِ». قَالَ فَقَالَ رَجُلٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَرَأَيْتَ مَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ إِبِلٌ وَلَا غَنَمٌ وَلَا أَرْضٌ قَالَ «يَعْمُدُ إِلَى سَيْفِهِ فَيَدُقُّ عَلَى حَدِّهِ بِحَجَرٍ ثُمَّ لِيَنْجُو إِنْ اسْتَطَاعَ النِّجَاءَ اللَّهُمَّ هَلْ بَلَغْتَ اللَّهُمَّ هَلْ بَلَغْتَ». قَالَ فَقَالَ رَجُلٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَرَأَيْتَ إِنْ أَكْرَهْتُ حَتَّى يُنْطَلِقَ بِي إِلَى أَحَدِ الصَّفَيْنِ أَوْ إِحْدَى الْفِئَتَيْنِ فَضَرَبَنِي رَجُلٌ بِسَيْفِهِ أَوْ يَجِيءُ سَهْمٌ فَيَقْتُلُنِي قَالَ «يَبُوءُ بِإِثْمِهِ وَإِثْمِكَ وَيَكُونُ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ».

وروى مسلم عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عَنِ النَّبِيِّ -صلى الله عليه وسلم- أَنَّهُ قَالَ «مَنْ خَرَجَ مِنَ الطَّاعَةِ وَفَارَقَ الْجَمَاعَةَ فَمَاتَ مَيِّتَةً جَاهِلِيَّةً وَمَنْ قَاتَلَ تَحْتَ رَايَةٍ عُمِّيَّةٍ يَغْضَبُ لِعَصْبَةٍ أَوْ يَدْعُو إِلَى عَصْبَةٍ أَوْ يَنْصُرُ عَصْبَةً فَقَتِلَ فَقَتْلُهُ جَاهِلِيٌّ، وَمَنْ خَرَجَ عَلَى أُمَّتِي يَضْرِبُ بَرَّهَا وَفَاجِرَهَا وَلَا يَتَحَاشَى مِنْ مُؤْمِنِهَا وَلَا يَفِي لِذِي عَهْدٍ عَهْدُهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَلَسْتُ مِنْهُ».

وروى البخاري ومسلم واللفظ له عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قَالَ خَرَجْنَا مَعَ النَّبِيِّ -صلى الله عليه وسلم- إِلَى خَيْبَرَ فَفَتَحَ اللَّهُ عَلَيْنَا فَلَمْ نَعْنَمْ ذَهَبًا وَلَا وَرَقًا، غَنَمْنَا الْمَتَاعَ وَالطَّعَامَ وَالنِّيبَابَ ثُمَّ انْطَلَقْنَا إِلَى الْوَادِي وَمَعَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- عَبْدٌ لَهُ وَهَبَهُ لَهُ رَجُلٌ مِنْ جُدَامٍ يُدْعَى رِفَاعَةَ بْنِ زَيْدٍ مِنْ بَنِي الضَّبِّبِ فَلَمَّا نَزَلْنَا الْوَادِي قَامَ عَبْدُ رَسُولِ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- يَحُلُّ رَحْلَهُ فَرُمِيَ بِسَهْمٍ فَكَانَ فِيهِ حَنْفَةٌ فَقُلْنَا هَنِيئًا لَهُ الشَّهَادَةُ يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- «كَلَّا وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ إِنْ الشَّمْلَةَ لَتَلْتَهُبُ عَلَيْهِ نَارًا أَخَذَهَا مِنَ الْعَنَانِ يَوْمَ خَيْبَرَ لَمْ تُصِيبْهَا الْمَقَاسِمُ». قَالَ فَفَزِعَ النَّاسُ. فَجَاءَ رَجُلٌ بِشِرَاكِ أَوْ شِرَاكِينِ. فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَصَبْتَ يَوْمَ خَيْبَرَ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- «شِرَاكِكَ مِنْ نَارٍ أَوْ شِرَاكِكَ مِنْ نَارٍ».

وروى البخاري ومسلم عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قَالَ شَهِدْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- حُنَيْنًا فَقَالَ لِرَجُلٍ مِمَّنْ يُدْعَى بِالْإِسْلَامِ «هَذَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ» فَلَمَّا حَضَرْنَا الْقِتَالَ قَاتَلَ الرَّجُلُ قِتَالًا شَدِيدًا فَأَصَابَتْهُ جِرَاحَةٌ فَقِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ الرَّجُلُ الَّذِي قُلْتَ لَهُ أَنِفَا «إِنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ» فَإِنَّهُ قَاتَلَ الْيَوْمَ قِتَالًا شَدِيدًا وَقَدْ مَاتَ. فَقَالَ النَّبِيُّ -صلى الله عليه وسلم- «إِلَى النَّارِ» فَكَادَ بَعْضُ الْمُسْلِمِينَ أَنْ يَرْتَابَ فَبَيْنَمَا هُمْ عَلَى ذَلِكَ إِذْ قِيلَ إِنَّهُ لَمْ يَمُتْ وَلَكِنْ بِهِ جِرَاحٌ شَدِيدٌ فَلَمَّا كَانَ مِنَ اللَّيْلِ لَمْ يَصْبِرْ عَلَى الْجِرَاحِ فَقَتَلَ نَفْسَهُ فَأُخْبِرَ النَّبِيُّ -صلى الله عليه وسلم- بِذَلِكَ فَقَالَ «اللَّهُ أَكْبَرُ أَشْهَدُ أَنِّي عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ». ثُمَّ أَمَرَ بِأَنْ يَدْفَنَ فِي النَّاسِ «إِنَّهُ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا نَفْسٌ مُسْلِمَةٌ وَإِنَّ اللَّهَ يُؤَيِّدُ هَذَا الدِّينَ بِالرَّجُلِ الْفَاجِرِ».

اغتنام التواصل والمواصلات

إن مما أنعم الله سبحانه وتعالى على الناس في هذا الزمان من النعم التي لم تكن في أسلافهم، لهي نعمة التواصل والمواصلات ولكن أكثر الناس لا يشكرون.

فيجب على العباد أن يشكروا ربهم على هذه النعم لتبقى وتزودهم ويزيد الله شاكرها من فضله.

ويكون شكرها بصرفها في طاعته ونسبتها إليه لا إلى غيره، والإقرار بها بالقلب والثناء عليه باللسان، قال تعالى: {وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ} [إبراهيم : ٧]

فمن هذه النعم :نعمة الجوالاات بما فيها من اتصالات ومراسلات،وتواصلات اجتماعية،فتغتنم في طاعة الله ،من النصائح والتوجيهات، ومواصلة الأرحام وتفقدهم ،وتسلية المصابين ،والتفريج عن المكروبين، وسؤال أهل العلم عما أشكل في الدين،وغير ذلك من المقاصد الشرعية،والحذر من استخدام هذا الجهاز في المعاصي والمخالفات،كسماع الأغاني ،وتصوير ذوات الأرواح،ومراسلة الفاسقين والفاسقات، فإن هذا من كفر نعمة الجوال،فإن الجوال سلاح ذو حدين،فإما أن يكون في ميزان الحسنات أو في ميزان السيئات.

ومن هذه النعم:نعمة المواصلات من المراكب البرية والبحرية والجوية،كالسيارات والسفن والطائرات،فينبغي شكر الله عليها، واستعمالها في مرضاته، وفيما أباح الله،فينبغي اغتنامها في فعل الخير، فيحمل عليها المحتاج ،والمعسر، والمرضى، وطلاب العلم والدعاة إلى الله ،والكتب الدينية والمصاحف ،وبعض أثاث المساجد والمنشآت الخيرية،وغير ذلك.

ولا يحمل عليها الفسقة والمعاصي ،والأدوات والسلع المحرمة كأجهزة الدشوش ونحوها وشجرة القات والسجائر ومن يتعاملون بالمحرمات ونحو ذلك .

قال تعالى: { وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ } [المائدة : ٢]

وقال تعالى: {وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ } [يونس : ٦١]

وقال تعالى : {فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ } [الزلزلة : ٧ ، ٨]

المسابقة في فعل الخيرات عموما

ينبغي على العبد اغتنام فعل الخيرات، فيسابق إلى كل خير ،وإلى كل عمل يحبه الله فيعمله ،لأنه لا يدري ماهو العمل الذي يقربه إلى الله ويدخله الجنة ويباعده عن النار،ولا يدري العبد ماهو العمل الذي يكون خالصا لوجه الله ،فلذا ينبغي الإكثار من أفعال الخير،ليكون من المفلحين ،فإن فعل الخيرات هي عنوان السعادة وعلامة الفلاح،والفلاح هو الفوز بالمطلوب والنجاة من المرهوب،ورأس ذلك دخول الجنة والنجاة من النار.

قال تعالى: {وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} [الحج : ٧٧]

و قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : { فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ } [البقرة : ١٤٨]

وَقَالَ تَعَالَى : { وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ } [آل عمران : ١٣٣] .

وقال تعالى : {فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ } [الزلزلة : ٧ ، ٨]

فكل خير صغير أو كبير فإنه يدخل تحت هذه الآية الفاذة الجامعة كما سماها النبي صلى الله عليه وسلم بذلك ،كما في الصحيحين عن أبي هريرة - رضي الله عنه - ومثقال الذرة أصغر الأشياء ،تأتي يوم القيامة في موازين العبد.

قال المفسر البغوي - رحمه الله في تفسير قوله تعالى: { فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ } وزن نملة صغيرة أصغر ما يكون من النمل. { خَيْرًا يَرَهُ } { وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ } قال ابن عباس: ليس مؤمن ولا كافر عمل خيرا أو شرا في الدنيا إلا أراه الله إياه يوم القيامة ، فأما المؤمن فيرى حسناته وسيئاته فيغفر الله سيئاته ،ويثيبه بحسناته، وأما الكافر فترد حسناته ويعذبه بسيئاته"اه.

وقال تعالى: { وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ } [الأنبياء : ٤٧]

وروى البخاري ومسلم عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال « من أنفق زوجين في سبيل الله نودي في الجنة يا عبد الله هذا خير. فمن كان من أهل الصلاة دُعي من باب الصلاة ومن كان من أهل الجهاد دُعي من باب الجهاد ومن كان من أهل الصدقة دُعي من باب الصدقة ومن كان من أهل الصيام دُعي من باب الريان ». قال أبو بكر الصديق يا رسول الله ما على أحد يدعى من تلك الأبواب من ضرورة فهل يدعى أحد من تلك الأبواب كلها قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - « نعم وأرجو أن تكون منهم ».

ومعنى: (من أنفق زوجين): أي شيئين، كدرهمين أو فرسين أو نحو ذلك. وقوله: (في سبيل الله): أي في باب الجهاد، أو في باب الخير.

وروى مسلم عن عائشة - رضي الله عنها - قالت إن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال « إنّه خلق كل إنسان من بنى آدم على ستين وثلاثمائة مفصل فمن كبر الله وحمد الله وهلل الله وسبح الله واستغفر الله وعزل حجرا عن طريق الناس أو شوكة أو عظما عن طريق الناس وأمر بمعروف أو نهى عن منكر عدت تلك الستين والثلاثمائة السلاوى فإنه يمشى يومئذ وقد زحزح نفسه عن النار ». قال أبو توبة وربما قال « يمشى ».

وروى البخاري ومسلم عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن محمد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: « كل سلاوى من الناس عليه صدقة كل يوم تطلع فيه الشمس - قال - تعدل بين الإثنين صدقة وتعين الرجل في دابته فتحمله عليها أو ترفع له عليها متاعه صدقة - قال - والكلمة الطيبة صدقة وكل خطوة تمشيها إلى الصلاة صدقة وتميط الأذى عن الطريق صدقة ».

وروى مسلم أيضا عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - « من أصبح منكم اليوم صائما ». قال أبو بكر أنا. قال « فمن تبع منكم اليوم جنازة ». قال أبو بكر أنا. قال « فمن أطعم منكم اليوم مسكينا ». قال أبو بكر أنا. قال « فمن عاد منكم اليوم مريضا ». قال أبو بكر أنا. فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - « ما اجتمعن في امرئ إلا دخل الجنة ».

قال القرطبي: "وقوله: ((ما اجتمعن في امرئ إلا دخل الجنة)) ؛ ظاهره : أن من اجتمع له فعل هذه الأبواب في يوم واحد دخل الجنة ؛ فإنه قال فيها كلها : اليوم ، اليوم ، ولما أخبره أبو بكر - رضي الله عنه - أنه فعل تلك الأمور كلها في ذلك اليوم بشره بأنه من أهل الجنة لأجل تلك الأمور ، والمرجو من كرم الله تعالى أن من اجتمعت له تلك الأعمال في عمره ، وإن لم تجتمع في يوم واحد أن يدخله الله الجنة بفضلها ، ووعد الصادق "اه" (١) .

وسواء قصد اجتماع هذه الأربعة الأعمال في يوم واحد، أو عملها فاجتمعت بدون قصد، فيرجى أن يدخل ذلك في الحديث مادام أن العبد مريد للخير، والتنافس في أعمال الخير مشروع، وكرم الله واسع، وفصله شامل.

وقال النووي : "قال القاضي : معناه دخل الجنة بلا محاسبة ولا مجازاة على قبيح الأعمال ، وإلا فمجرد الإيمان يقتضي دخول الجنة بفضل الله تعالى "اه" (٢) .

١

(١) المفهم - (٢٠ / ٣) .

(٢) شرح صحيح مسلم (٨ / ١٣٠)

الخاتمة

وفي الختام أحمد الله الذي بنعمته تتم الصالحات الذي يسر وأعان في إتمام هذا البحث وإكماله على هذا النحو الذي يسره لنا، وأسأله جل في علاه أن يبتغله منا، وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفع به الإسلام والمسلمين، وأن يجعله في موازين حسناتنا، وأن يجعله حجة لنا لا علينا، وأن يجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

ولا أنسى أن أتقدم بالشكر لله فله الفضل أولاً وآخرًا، ثم لإخواني الذين أعانوني وشاركوني في نشره بالمراجعة والطباعة والنشر، فجزى الله خيرًا من كتب ومن قرأ ومن نشر ومن أعان في نشر هذا الكتاب ونشر الخير بين الناس، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

كتبه الفقير إلى عفو ربه أبو عبد الرحمن موفق بن أحمد بن علي الفاضلي
غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين

مسجد التوحيد/رداع/اليمن.

وتم مراجعته وتهذيبه يوم الجمعة ٥/جماد أول / ١٤٤٠ هـ ..

المحتويات

٢	مقدمة الشيخ طارق البعداني
٣	مقدمة الشيخ علوي الأحمد
٤	المقدمة
٦	منهج في تأليف الرسالة:
٧	مدخل وتمهيد
٩	الباب الأول
٩	اغتنام الأزمنة المباركة:
٩	الفصل الأول: اغتنام الأشهر المباركة:
١٠	المبحث الأول: اغتنام شهر الله المحرم:
١٢	المبحث الثاني:
١٢	بدع ومخالفات في شهر رجب:
١٢	أحاديث لم تثبت في فضل شهر رجب:
١٤	بدع جمعة رجب:

١٤	زيارة المسجد النبوي في شهر رجب:
١٥	زيارة المقابر في شهر رجب:
١٥	دعوة المظلوم في شهر رجب:
١٥	العمرة في شهر رجب:
١٥	إخراج الزكاة في شهر رجب:
١٥	الاحتفال بالإسراء والمعراج في ليلة ٢٧ من شهر رجب:
١٦	ذبيحة رجب:
١٧	المبحث الثالث:
١٧	اغتنام شهر شعبان
١٧	الحكمة من تخصيص شهر شعبان بالصيام:
١٨	- ومن فضائل شهر شعبان أن الله سبحانه وتعالى يغفر لجميع خلقه إلا من شاء .
١٩	الصيام من سرر شعبان
١٩	حكم صيام النصف من شعبان:
٢٠	حكم تخصيص ليلة النصف ويوم النصف من شعبان:
٢١	المبحث الرابع:
٢١	اغتنام شهر رمضان المبارك
٢٢	معنى فتح الأبواب وتصفيد الشياطين :
٢٣	فضائل شهر رمضان المبارك:
٢٥	ومن فضائل الصيام أن في الجنة بابا يقال له باب الريان ، لا يدخل منه إلا الصائمون .
٢٥	ومن فضائل الصيام أن من مات صائما دخل الجنة .
٢٦	تنبيهات للصائم:
٢٨	الفصل الثاني :
٢٨	اغتنام الأيام والليالي المباركات:
٢٨	اغتنام يوم الإثنين والخميس:
٢٩	حكم الاحتفال بيوم الإثنين:
٣٠	شبهة والرد عليها:
٣٢	اغتنام يوم الجمعة:
٣٢	- وهو خير الأيام ، ففيه خلق آدم عليه السلام وفيه تقوم الساعة .
٣٤	- ومن الأخطاء ، إفراد يوم الجمعة بصيام ، أو تخصيص ليلة الجمعة بقيام .
٣٥	اغتنام يوم عاشوراء:
٣٥	الأدلة على فرضية صيام يوم عاشوراء في أول الأمر:
٣٥	الدليل على نسخ صيام يوم عاشوراء من الوجوب إلى الاستحباب مع ما تقدم:
٣٦	استحباب صيام يوم قبله مخالفة لليهود:
٣٦	فإن قال قائل: ها أنتم تشبهون باليهود بصيام يوم عاشوراء !
٣٨	اغتنام ليالي العشر الأواخر
٣٨	من رمضان:
٣٨	اغتنام الاعتكاف في العشر الأواخر من رمضان:
٤٠	اغتنام ليلة القدر:
٤١	سبب تسمية ليلة القدر بهذا الاسم:
٤١	ليالي القدر:
٤٢	اعتبار الرؤى في معرفة ليلة القدر:
٤٣	الأدلة في أن ليلة القدر في العشر أو السبع الأواخر من رمضان:
٤٤	الاجتهاد في ليلة القدر وقيامها إيماناً واحتساباً:
٤٥	علامات ليلة القدر:
٤٦	سبب احمرار الشمس صبيحة ليلة القدر:
٤٧	اغتنام صيام الست من شهر شوال:
٤٨	اغتنام أيام عشر ذي الحجة
٤٨	فضل أيام العشر:
٤٩	فضل الأعمال الصالحة في العشر:
٥٠	التقرب إلى الله بالفرائض والواجبات، ثم النوافل:

٥٠	اغتنام الذكر في أيام العشر:
٥١	اغتنام الأضحية:
٥٣	المسابقة في الأعمال الصالحة عموماً في أيام العشر:
٥٥	اغتنام يوم عرفة:
٥٥	اغتنام يوم عرفة بذكر الله:
٥٥	اغتنام يوم عرفة بالدعاء:
٥٦	اغتنام يوم عرفة بصيامه:
٥٦	فضل أهل عرفات:
٥٧	يوم عرفة يوم عيد للمسلمين:
٥٧	إكمال الدين في يوم عرفة:
٥٨	الوقوف بعرفة ركن من أركان الحج:
٥٩	اغتنام يوم النحر:
٥٩	فضل يوم النحر:
٦٠	يوم الحج الأكبر:
٦١	يوم النحر عيد للمسلمين:
٦١	بعض آداب يوم العيد:
٦٢	التزيين ليوم العيد:
٦٢	حضور صلاة العيد واستماع الخطبة:
٦٣	صلة الأرحام يوم العيد:
٦٤	اغتنام أيام التشريق:
٦٤	اغتنام أيام التشريق بذكر الله:
٦٥	أيام التشريق أيام ذبح الأضاحي والهدايا:
٦٥	أيام التشريق من أعياد المسلمين:
٦٦	تحريم صيام أيام التشريق:
٦٧	الفصل الثالث :
٦٧	اغتنام الساعات والأوقات المباركة:
٦٧	تنبيه: لا تثبت البركة إلا بدليل:
٦٨	اغتنام الدعاء:
٦٨	اغتنام أوقات الإجابة:
٦٩	١: آخر ساعة من الليل وقت السحر:
٦٩	٢- عند السجود:
٧٠	٣: عند النداء وبين الأذان والإقامة:
٧٠	٤: ساعة من يوم الجمعة:
٧١	ذكر الخلاف في هذه الساعة:
٧١	٥: أديار الصلوات (قبل السلام):
٧٢	٦: في السفر:
٧٢	٧: عند الصوم:
٧٢	تنبيه:
٧٢	٨- عند نزول المطر:
٧٣	٩- عند التحام الجيشين:
٧٤	فهم خاطئ:
٧٤	١١- دعوة الوالدين:
٧٥	نصيحة للوالدين:
٧٥	تنبيه:
٧٥	١٢- دعوة المسلم لأخيه المسلم بظهر الغيب:
٧٧	أسباب الإجابة:
٧٧	دليل الإخلاص:
٧٨	- دليل رفع الكفين عند الدعاء:
٧٨	دليل استقبال القبلة:
٧٨	- دليل دعاء المضطر:

٧٩	- دليل انكسار القلب واقتناره إلى الله تعالى
٧٩	- الإكثار من الدعاء في الرخاء من أسباب الاستجابة في الشدة:
٧٩	- المداومة على النوافل والإكثار منها:
٨٠	- الدعاء بعد (لا إله إلا الله):
٨٠	- دليل العزم والإلحاح في الدعاء:
٨٠	- دليل حسن الظن بالله عند الدعاء:
٨١	- دليل اليقين عند الدعاء:
٨١	- دليل حضور القلب عند الدعاء:
٨١	- الدعاء باسم الله الأعظم:
٨١	- دليل التوسل بأسماء الله الحسنى والصفات العليا:
٨٢	- دليل التوسل إلى الله بالأعمال الصالحة:
٨٢	- دليل تسبيح الله وتحميده وتكبيره وتمجيده والصلاة على نبيه عند الدعاء:
٨٣	- دليل بر الوالدين:
٨٣	- دليل الدعاء يوم عرفة:
٨٣	- دليل خفض الصوت عند الدعاء:
٨٤	- دليل دعاء المريض والمكروب:
٨٤	- موانع الإجابة:
٨٤	- أولا: أكل الحرام:
٨٥	- ثانيا: الدعاء بإثم أو قطيعة رحم:
٨٥	- ثالثا: استعجال الإجابة:
٨٥	- رابعا: الغفلة عند الدعاء:
٨٥	- خامسا: الاعتداء في الدعاء:
٨٦	- سادسا: السكوت عن المنكر مع القدرة على تغييره:
٨٦	- ذكر بعض آداب الدعاء:
٨٧	- الباب الثاني:
٨٧	- فضل الأماكن المباركة:
٨٧	- واغتنامها:
٨٨	- الفصل الأول:
٨٨	- ذكر ما جاء في البقاع:
٨٨	- المبحث الأول: فضل مكة المكرمة:
٨٨	- فضائل مكة:
٩١	- المبحث الثاني:
٩١	- فضل المدينة النبوية:
٩٥	- المبحث الثالث:
٩٥	- فضل الشام:
٩٧	- الفصل الثاني:
٩٧	- ذكر ما جاء في فضل المساجد:
٩٧	- المبحث الأول: فضل المساجد عموما:
٩٨	- فضل الجلوس في المساجد ومعاهدتها وإقام الصلاة فيها:
٩٩	- ذم الجلوس في المساجد من أجل الدنيا:
٩٩	- فضل الجماعة في المساجد:
١٠١	- الجمع بين الروايتين، قوله صلى الله عليه وسلم: "بسبع وعشرين درجة" وقوله: "خمسا وعشرين درجة" أي في فضل الجماعة:
١٠١	- فضل انتظار الصلاة بعد الصلاة:
١٠٣	- المبحث الثاني:
١٠٣	- (فضل المسجد الحرام):
١٠٣	- واغتنامه:
١٠٥	- المبحث الثالث:
١٠٥	- (فضل المسجد النبوي):
١٠٥	- واغتنامه:

١٠٥ فضل الروضة:
١٠٦ شبهة والرد عليها:
١٠٨ المبحث الرابع :
١٠٨ (فضل المسجد الأقصى)
١٠٨ واغتنام الصلاة فيه
١٠٩ المبحث الخامس
١٠٩ (فضل مسجد قباء)
١٠٩ واغتنام الصلاة فيه
١١٠ الباب الثالث
١١٠ فضل ماجاء في الأعمال المباركة:
١١٠ التوحيد وفضله وتحقيقه
١١٠ وهو العمل ب(لا إله إلا الله)
١١٣ أفهام خاطئة في معنى (لا إله إلا الله):
١١٥ اغتنام السنّة بالتمسك بها
١١٧ حكم الاستهزاء بالسنة :
١١٨ اغتنام الصلاة:
١٢٣ اغتنام السنن الرواتب
١٢٣ فضل راتبة الفجر واغتنامها:
١٢٤ فضل رواتب صلاة العصر والظهر:
١٢٤ اغتنام النداء
١٢٥ فضل ترديد الأذان بعد المؤذن وفضل الذكر بعده:
١٢٦ فضل الصفوف الأول في الصلاة:
١٢٧ اغتنام قيام الليل
١٢٨ اغتنام قيام شهر رمضان:
١٢٩ أفضل وقت للقيام :
١٢٩ أفضل مكان لقيام الليل:
١٣٠ قيام رسول الله صلى الله عليه وسلم:
١٣٠ فكيف كان قيام نبينا صلى الله عليه وسلم؟
١٣٢ اغتنام ركعتي الضحى
١٣٣ اغتنام ركعتي الوضوء:
١٣٤ اغتنام الصدقة:
١٣٥ فضل الصدقة أيام المسغبة:
١٣٧ اغتنام الحج والعمرة
١٣٧ الحج المبرور من أسباب دخول الجنة:
١٣٨ الحج والعمرة من مكفرات الذنوب ومن أسباب البركة في الأرزاق :
١٣٩ الحج المبرور أفضل الجهاد:
١٣٩ الحج من علامات حسن الخاتمة لمن مات فيه:
١٤٠ التعجيل بالحج:
١٤١ اغتنام الصوم:
١٤١ معنى : (كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لي)
١٤٢ الصوم وقاية من الشيطان ومن العصيان ومن النيران:
١٤٣ اختصاص باب الريان للصائمين":
١٤٤ اغتنام الذكر
١٤٥ - الذكر من أحب الأعمال إلى الله
١٤٥ فضل الذكر ب(لا إله إلا الله)
١٤٦ فضل الحوقلة: (لا حول ولا قوة إلا بالله):
١٤٦ فضل التسبيح والتحميد والتهليل والتكبير:
١٤٦ فضل الاستغفار:
١٤٧ الذكر أفضل من الجهاد في سبيل الله:
١٤٨ فضل الذكر في الخلوات:

١٤٨	معية الله تعالى للذاكرين:
١٤٩	الذاكرون هم السابقون:
١٤٩	الذكر صدقة من لا مال له يتصدق به:
١٥٠	اغتنام الذكر في أدبار الصلوات:
١٥١	اغتنام الصلاة على {النبي صلى الله عليه وسلم}:
١٥١	أحاديث في فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم:
١٥٢	أفضل صيغة للصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم:
١٥٢	تنبيه:
١٥٤	اغتنام تلاوة القرآن وتدبره والعمل به:
١٥٤	فضل تلاوة القرآن الكريم:
١٥٦	القرآن يشفع لأصحابه يوم القيامة:
١٥٦	أهل القرآن هم القانتون والمقنطرون:
١٥٧	تدبر القرآن الكريم:
١٥٧	القرآن الكريم شرف ورفع لأصحابه:
١٥٨	قراءة القرآن وتدبره والعمل به من أسباب الثبات على دين الله:
١٥٨	كل إنسان مسؤول عن القرآن:
١٥٩	اغتنام اتباع الجنائز:
١٥٩	اغتنام النوافل:
١٦٠	اغتنام بر الوالدين:
١٦٠	بر الوالدين من أسباب دخول الجنة:
١٦٠	بر الوالدين من أعظم الجهاد:
١٦١	تأكيد حق الأم:
١٦١	تأكيد بر الوالدين عند الكبر:
١٦٣	اغتنام صلة الأرحام:
١٦٥	اغتنام كفالة الأيتام:
١٦٥	والإحسان إليهم:
١٦٦	اغتنام عيادة المريض:
١٦٧	اغتنام الزيارات في الله:
١٦٨	اغتنام المجلس الصالح:
١٧٠	اغتنام الصحة والفراغ:
١٧٢	اغتنام الشباب:
١٧٣	اغتنام الحياة:
١٧٦	اغتنام طلب العلم والجلوس في حلق الذكر:
١٧٧	طلب العلم بمنزلة الجهاد في سبيل الله:
١٧٧	ومن فضائل حلق العلم والذكر أن الملائكة تحف أهلها وتدعو لهم، ويباهي بهم الله ملائكته، ويظلمهم الله:
١٧٩	اغتنام الدعوة إلى الله:
١٨٢	اغتنام الجهاد في سبيل الله:
١٨٢	ذكر الأدلة في فضائل الجهاد في سبيل الله:
١٨٣	فضل الشهادة في سبيل الله:
١٨٣	حكم القتال إذا خرج عن المقاصد الشرعية:
١٨٤	اغتنام التواصل والمواصلات:
١٨٥	المسابقة في فعل الخيرات عموماً:
١٨٧	الخاتمة: